اللغة العربية

مجلة نصف سنوية محكمة تعنى بالقضايا الثقافية والعلمية للغة العربية



العدد العاشر، خريف 2004

اللغة العربية

مجلة نصف سنوية محكمة تعنى بالقضايا الثقافية والعلمية للغة العربية

العدد العاشر، 2004

اللغة العربية

مجلة نصف سنوية محكّمة تعنى بالقضايا الثقافية والعلمية للّغة العربية.

دورية تعنى بقضايا اللغة العربية وترقيتها يصدرها
المجلس الأعلى للغة العربية

المجلة منبر حر، وليس كل ما ينشر فيها معبرا بالضرورة عن موقف المجلس

قواعد النشر

- التقيد بالمعايير العلمية الأكاديمية المتعارف عليها: كالتوثيق إلخ...
- أن تكون الأعمال أصلية لم يسبق نشرها من قبل.
- ترسل النصوص مرفوقة بقرص مسجّل باسم رئيس المجلس أو رئيس التحرير على العنوان المذكور أدناه
- المقالات التي ترد إلى المجلّة لا تردّ إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر

التحرير والمراسلة : المجلس الأعلى للغة العربية
6، شارع العقيد أمحمد بوقرة، الأبيار – الجزائر
ص. ب . 575 ديدوش مراد – الجزائر
الهاتف : 24/25 07 23 21 (00213)
الناسوخ : 07 07 23 21 (00213)
الترقيم الدولي الموحّد للمجلاّت (ر.د.م.م) : 1112 . 3575
الإيداع القانوني : 02 7/20

محتويات العدد

كلمة رئيس التحرير...7

أ. د. مختار نويوات

التعوق العضوي والحسي الحركي وتأثيره على التكيف والتحصيل المدرسي........11

أ. د. محمد العربي ولد خليفة

تجارب عربية في تفصيح العامية...31

أ. د. عبد الجليل مرتاض

نحو استراتيجية عربية لنشر المصطلح الموحّد 81

أ. د. صالح بلعيد

مستقبل اللغة العربية... حوسبة المعجم العربي ومشكلاته اللغوية والتقنية أنموذجا 109

أ. د. عبد الله أبو هيف

واقع دراسات اللغة العربية وثقافتها في الصين الشعبية........................159

أ. شريف شي سي تونغ

الأفعال الكلامية عند الأصوليين.. دراسة في ضوء اللسانيات التداولية.................. 183

أ. مسعود صحراوي

التعدية عند عبد القاهر الجرجاني... دراسة في التراكيب والدلالة 241

أ. دليلة مزوز

حتمية الرهان على التكامل الثقافي في الوطن العربي للانخراط الإيجابي في العولمة 273

أ. د. عثمان بدري

التعليمية معرفة علمية خصبة.. 289
أ. د. بشير إبرير

المحاسبة وتبادل المعطيات الكترونيا.......................................309

أ. د. خالد أبو بكر سعد اللّه

ملامح من إسهامات الصحافة الوطنية بالجزائر في النهوض باللغة العربية........ 327

أ. د. محمد بن سمينة

فن الدراما الإذاعية.. 345

أ.إبراهيم جديدي

من نشاطات المجلس الأعلى للغة العربية....................................367

إعداد: أ. حسن بهلول

كلمة رئيس التحرير

أ.د. مختار نويوات
(جامعة عنابة)

محاور أساسية عديدة ومقالات متنوعة تهدف إلى خدمة اللغة العربية بما توفر من معلومات تاريخية اجتماعية تطبعها الروح العلمية المعاصرة، وبما تقترح من وسائل تقنية حديثة لمعالجة كبريات قضايانا بكفاءة ونجاعة، أو تبسط قضايا أدبية أو لغوية كان عالجها القدماء من علماء العرب بطريقتهم. تلك أهم مكونات العدد العاشر الذي نقدمه إلى القراء الكرام، شاكرين محرري مقالاته على مشاركتهم في إنجازه بالرغم من مهامهم الكبرى، آملين أن ينضم إليهم من ذوي الكفاءة ومن الغير على مستقبل الجزائر من يرافقهم في طريقهم الشاق الطويل.

من المقالات ما يعرض حال المنظومة الصحيّة الوطنيّة، وتحديدا التعوق العضوي والحسي الحركي وتأثيره على التكيف والتحصيل المدرسي وفيه تحليل لبعض المفاهيم وإعادة التذكير بمصطلحات عريقة في تراث الحكماء والأطباء المسلمين.

ومنها ما ينطلق من "تجارب عربية" يبسطها ليؤكد ما بين الفصحى واللهجات الدارجة من صلات وثيقة. ولا يخفى ما لمثل هذه الدّراسات من فوائد علمية تاريخية اجتماعية. وقد نشرت في هذا

المجال محاولات لا تفي بالغرض لندرتها وقلّة مادتها وعدم شموليتها. فلا يسعنا إلا تشجيع الباحثين على التأليف في هذا المجال وبيان أهميته.

أما الدعوة إلى توحيد جهود العلماء العرب المعاصرين، وحث المنظمات على تجاوز عقد الملتقيات وتحرير التوصيات إلى إنجازات حقيقية تلبي حاجتنا الملحة إلى حياة كريمة تقتضيها أوضاع العالم الراهنة وتدفع عنا التخلف المزري في ميادين كثيرة فقد خصص لها مقالات عديدة تدعو بحق إلى توحيد المصطلح في ميادين العلوم والفنون، أو تبرز مزايا استغلال الحوسبة في تيسير أعمال المجامع اللغوية والعلمية شرقا وغربا وفي التعليم والتأليف وفي وضع معاجم حديثة متطورة عامة أو خاصة، أو تبين مزايا التكامل الثقافي في الأقطار العربية وضرورة توحيد الجهود وتكثيفها لتدارك ما فات وللحفاظ على هويتها الثقافية والدخول إلى معترك العولمة بإمكانيات تكفل لنا البقاء في عالم لا حياة فيه لمن لا يأخذ بأسباب الحياة ولفرض وجودنا بإسهامنا الفعلي في الحضارة البشرية.

ويدعو بعض الباحثين إلى نبذ طرق التدريس العتيقة البائدة وتوخي المناهج المعاصرة المؤسسة على أحدث الاكتشافات العلمية وبخاصة في ميدان " التعليمية " التي أثبتت جدواها في التربويات وجعلت في متناول الطفل ما كان يصعب تحصيله على الراشد. غير أن "التعليمية" ليست فنا قارا في مناهجه ونظرياته. إنما لسنن التطور الحضاري والتكنولوجي، متجددة بتجددها كغيرها من العلوم والفنون. وما يدرينا أن ما يؤنسنا اليوم يوحشنا غدا ؟ الصعوبة كل الصعوبة، في استشراف المستقبل القريب والتهيئة له مع العلم بأن كل شيئ في

تغير مستمر. وبهذا نستطيع أن نجيب إجابة أولى وبطريقة ضمنية عن السؤال الوجيه الذي طرحه صاحب المقال: "ماذا ندرس ؟ وكيف ندرس؟"

ومن الباحثين من اهتم بدور الصحافة الأساسي في خدمة العربية، ورفع مستواها، وفي تكييفها بالواقع وتطورها مع الحفاظ على أسسها الراسخة وعلى عبقريتها. أعطى نماذج دالة من هذه الصحافة البناءة ممثلة في بعض صحف ما قبل الاستقلال وفي غيرها ممّا صدر ويصدر في فترة ما بعد استرجاع السيادة الوطنية. ومثل هذه المواضيع جدير بالعناية لأن محرري الصحافة اليوم كثير والقراء أكثر عددا وأقل مستوى في الغالب. فالصحافة، في معظم مضامينها، تصدر عن وكالات أجنبية وتلجأ إلى الترجمة. ولا يخفى ما في الترجمة من أثر إيجابي أو سلبي على اللغة المنقول إليها. فإن كان الناقل غير ضليع بلغته أساء إلى لسانه وإلى الناشئة التي تميز بين الصحيح وبين الفاسد فيما تقرأ من النصوص الصحفية. وقد لاحظنا ذلك في مراحل التعليم الثلاث. بل لاحظنا أن اللغة العربية أصابها من الهجنة ما يصعب استئصاله وما رسخته العادة في الأذهان فأصبح الفاسد مستساغًا والصحيح نابيا.

وفي هذا العدد مقال لأحد المخرجين الإذاعيين يتناول فيه جوانب عديدة من فن الدراما الإذاعية. يسهب في تعريف هذا الفن وأسسه ومقوماته وأهدافه وفي الحديث عن نشأته ببلادنا ومعالم تطوره وشروط نجاحه. ومن أهم أسباب نجاحه الكاتب الدراميّ الموهوب المثقف الواسع الأفق والمتلقّي الواعي. و "مجلة اللغة العربية" ترحب بمثل هذه الدراسات التي تجنبها الرتابة وتثريها.

وفيه مقال بعنوان: "الأفعال الكلامية عند الأصوليين" وهو، فيما يوضح صاحبه، دراسة في إطار اللسانيات التداولية. لم تتح لي الظروف أن أطلع على محتواه، وأظنه خاصا بما يسميه اللسانّيون المعاصرون "القول الفعل" (Performatif)" خصه الفيلسوف الإنجليزي J.L. AUSTIN بخمس عشرة محاضرة جمعها في كتاب دعاه: How to do Things with Words وترجم إلى الفرنسية بالعنوان: Quand dire c'est faire(**1970**). والحقيقة أن العرب تطرقوا إلى هذا الموضوع في كتب النحو وفي علم الأصول. ونحبذ أن يعنى به الباحثون في دراسات جديدة وافية. كما يتضمن العدد بحثا عرض فيه صاحبه الدلالة البلاغية لتعدي الفعل ولزومه، بالانطلاق من كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني.

ومما يلفت النظر عرض واف ممتع لواقع اللغة العربية وثقافتها والاهتمام بدراستها في مظانها وبنشر حضارتها في الصين الشعبية. حرر العرض مشكورا المستعرب الصيني أ. شريف شي سي تونغ فأعطانا صورة واضحة قيمة لأثر الحضارة العربية في الصين وذكرنا بما حفظنا في صغرنا: "اطلبوا العلم ولو كان في الصين". والحقيقة أن الصينيين عكسوا الحديث فقالوا وأتبعوا القول بالفعل: "اطلبوا العلم ولو في الأقطار العربية". لئن أعطاهم القدماء الأدب والفلسفة والعلوم بشتى فروعها فهل عندنا اليوم ما نعطيهم بفخر واعتزاز ؟.

ولا ننسى في الأخير الإشارة إلى بعض نشاطات المجلس المتنوّعة التي وردت في آخر هذا العدد بإيجاز.

التعوق العضوي والحسي الحركي وتأثيره على التكيف والتحصيل المدرسي*

د.محمد العربي ولد خليفة

جامعي

نعبر في البداية عن مشاعر الشكر والتشجيع، للاتحادية الوطنية لجمعيات أولياء التلاميذ التي تجمع في صفوفها تلقائيا، كل المعنيين بالمدرسة الجزائرية، من آباء وأمهات ومعلمين ومشرفين الذين يتقاسمون المهام والمسؤوليات، في العائلة الكبيرة للتربية والتكوين.

تستحق هذه المبادرة الثناء والتشجيع لأنها تجمع عددا كبيرا من الهيئات والمؤسسات العلمية والاجتماعية المعنية بحماية الطفولة، إلى جانب الباحثين والمختصين في علوم الطب وعلوم النفس والتربية والاجتماع بهدف التفكير في أشكال الرعاية التي ينبغي أن يحظى بها الأطفال المصابون بأمراض مزمنة، أو عاهات مقعدة، تعطل التمدرس العادي في واحدة من مراحل العمر الأكثر هشاشة وحساسية.

*. محاضرة افتتاحية في المعهد الوطني للصحة 2004.

من الملاحظ أن نسبة هذه الشريحة من الأطفال تتزايد باستمرار لأسباب كثيرة، من بينها انتشار ما يسمى أمراض العصر مثل القُلاب (أمراض القلب)، والسرطان، والسكري، والتشوهات الولادية، و"الإيدز"، والعجز الكلوي والربو....وكذلك عودة بعض الأوبئة وأمراض الطفولة، نتيجة نقص الوقاية، والتلوث، وندرة المياه، وسوء التغذية، وانعدام النظافة، بالإضافة إلى حوادث المرور والدرجات المختلفة للتعوق الحسي–الحركي مثل الشلل والكف (درجات فقد البصر) وعيوب السمع (درجات الصمم) والحُبْسة (درجات عيوب النطق) والقائمة طويلة....

ليست لدينا توصيفات دقيقة وموثوقة لما يمكن أن نسميه "الحالة الصحية للأمة" التي يقدم الإحصاء العام للسكن والسكان شكلها الخام فقط، ولكن حسب التقرير الأخير للمجلس الإقتصادي والاجتماعي، فإن نسبة المعوقين من إجمالي الأطفال الأقل من 15 سنة هي 1.2% يمثل الصم– البكم 41.71% أي أعلى نسبة.

وإذا رجعنا إلى بحث جزئي على سبيل المثال هو بحث د.بن قونبة الأستاذ بالمستشفى الجامعي بالبليدة الذي قام بمسح ومتابعة أو مراقبة طبية خلال السنوات الدراسية من 1995 حتى 1998 في دائرة القبة من ضواحي العاصمة وشملت المتابعة الطبية خلال السنوات الثلاث على التوالي 89.4% و95.36% و98.41% من مجموع تلاميذ المنطقة المدرسية، وكشفت عن مدى انتشار عدد من الأمراض والعاهات بين الأطفال المتمدرسين نذكر منها :

%	العاهات والأمراض
7.53	العمية
2.69	السكري
2.62	أورام الرقبة
2.04	القلاب
2.69	الربو
0.37	عيوب النطق
0.32	عيوب السمع
0.38	اضطرابات السلوك

ومن نتائج البحث السابق وفي حدود عيّنته فإن واحد من كل خمسة تلاميذ في حاجة إلى مساعدة طبية، غير أن طريقة المسموح وإن كانت مفيدة لأغراض الإستقصاء والتبويب، فأنها في هذا المجال في حاجة لأن تستكمل بالمدخل السرّيري (الإكلينيكي) أي دراسة الحالة باعتبارها تاريخا وحاضرا مرضيّا (باتولوجيا) ونفسيا خاصا فالفرد كما تقول (أنّا ستازي) سواء أكان مريضا أو سليما معافى "يشبه كل الناس، ولا يشبه أحدا من النّاس".

وحسب التقرير السابق يوجد 27 مركزا للصّم، 45 مركزا للأمراض العقلية و10 مراكز للحضانة أو الطفولة المسعفة...وعلى الرغم من قلة تلك المراكز فإنها لا تستوفي طاقتها في الاستيعاب لأسباب كثيرة من بينها حرص بعض العائلات على التكفل بأبنائها وخاصة المعوقين حركيا، أو ذوي العاهات الحسية الخفيفة أو المتوسطة، وثقل الإجراءات الإدارية والشك في كفاءة التأطير من طرف بعض الأولياء...

ويمكن القول بوجه عام بأن المراقبة والمساعدة الطبية والنفسية التربوية تعاني من صعوبات تتعلق بالتنسيق بين قطاعي الصحة والتربية، وقلة الفرق الطبية المتكاملة ومدى تعاونها مع المربين وهم أساسا الأولياء والمعلمون.

وإذا كانت هذه الملاحظة صحيحة فيما يخصّ المدن الكبرى للجمهورية، فإنها في المدن الصغرى والريف بوجه عام أصحّ، لأن المتابعة والرعاية فيها تكاد تكون منعدمة، وليس لمساهمة التلاميذ الرّمزية (5 أو 10دينار) أي تأثير على الرعاية الصحية، بل إن الحالة المتدهورة لكثير من المدارس ومحيطها

المباشر يؤكد بأنه لا تأثير لها حتى في تحقيق الحد الأدنى من النظافة المطلوب توفيرها في مؤسسات التربية والتكوين.

ونشير في هذا السياق –بدون تفصيل– إلى أن الأزمة المفروضة على بلادنا قد زادت من تعرض الأطفال لسوء التغذية بسبب إنتشار البطالة وضعف الدخل (فقدت العملة الوطنية حوالي 40% من قيمتها الشرائية خلال العشرية الأخيرة) ومضاعفات الوضعية الأمنية على المواطن الراشد فضلا عن الأطفال الذين ينعكس عليهم ما يعانيه أوليائهم من توتّر وقلق وضغط نفسي يجعلهم بين نارين: المنزل الضيق والمليء بالصراخ والشتم والضرب والشارع غير الآمن في بعض الأحيان.

قد لا نضيف إلى معلوماتكم شيئا جديدا إذا ذكرنا بأن أمرية الإصلاح الصادرة سنة 1976 قد أولت هذه الفئة عناية خاصة، وأوصت بضرورة توفير بيداغوجية ملائمة للأطفال الذين يمنعهم العجز والتعوق عن متابعة الوتيرة النمطية للمدرسة، وهي وتيرة مصممة للعاديين أو الأسوياء من أقرانهم، لأن إهمالهم يجعلهم عالة على المجتمع ويضاعف من إحساسهم بالعجز والإقصاء ويسبب لأوليائهم قدرا كبيرا من الحزن والشقاء.

إن القوانين والنصوص التنظيمية مهما كان نبلها وبعدها الإنساني، لا تساوي أكثر من تطبيقها بكفاءة وأمانة، هذه مسألة أخرى، لا يسمح هذا المجال بتفصيل القول فيها، ولكن هناك أعراف وتقاليد ترقى إلى مرتبة القوانين، تتمثل في واجبات التكافل والتضامن العريقة في مجتمعنا، والمطلوبة بإلحاح في عقيدتنا الإسلامية السمحاء، وقد تنبّه إبن خلدون إلى

أهميـة التكافـل الـذي يمنـع مـن إتسـاع الشـرخ الاجتمـاعي وتفـاقم الإحسـاس بالغبن والإحباط، واعتبره "أساس الملك (الدولة) وعماد العمران" .-(1)-

بـدون أن نخـوض فـي الأدبيـات الغزيـرة، والمتداولـة فـي علـوم الـنفس والتربيـة، وفرعها التطبيقي المتخصص في إشكاليات العجز والتعوّق، تحت إسم "التربيـة الخاصـة" (Spécial éducation) الـذي شـهد تطـورا كبيـرا بعد الحرب العالمية الثانية، وخاصة في العالم الأنغلو سكسوني، فإن هذه الورقة ستعرض بإيجاز لثلاثة مسائل وخلاصة علة النحو التالي:

1. العجز والتعوق وتأثيره على الفرد ومحيطه
2. توصيف وتصنيف حالات العجز والتعوّق
3. تأثير بعض الحالات السابقة على التحصيل المدرسي
4. خلاصة

1. العجز والتعوق وتأثيره على الفرد ومحيطه:

يعرف السادة الأطباء أفضل من غيرهم، أهمية الحالة الصحية وسلامة وظائف الجسم لدى الفرد، فالمثل الذي نظنه شائعا منذ جالينوس وأبوقراط يقول إن الصّحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى، غير أن لبناء الجسم والمظهر الخارجي والحالة الصحية تأثير نفسي إجتماعي لا يخفى، وخاصة في عالم الأطفال، فقد تعوّد عامة الناس على تقييم بعضهم من النظرة الأولى، ويقوم جزء كبير من ألعاب الأطفال على التنافس البدني، وخاصة في المرحلة الثالثة من الطفولة (9–12 سنة) والمراهقة. -(2)-

يتجاوز ذلك التأثير الصغار إلى الكبار، ومن دلائل ذلك أن الناس قد لا يعيرون إنتباها لمن يتهمهم بالشح أو الكسل مثلا، ولكنّهم ينزعجون إذا انتقد الآخرون مظهرهم الجسمي مثل السمنة والطول والقصر المفرط، كما أن أول ما يسترعي إنتباهنا في الصورة الفوتوغرافية هو وضعنا نحن في الصورة، فإذا كان للجسم هذه الأهمية، فإن تعرضّه للعجز والتعوّق تترتّب عليه سلسلة من المتاعب الناجمة عن الشعور بالقصور، وما ينجم عنه من اضطراب وإحباط، ويؤثر على الصورة التي يريدها الطفل لذاته المثالية ويجعله في صراع مرير مع ذاته الإجتماعية أي نوع الحكم والتقدير الذي تظهر به صورته في عيون الآخرين. -(3)-

يتبيّن مما سبق أن المرض والعاهة يؤثّران على مجموع شخصية الطفل وسلوكه فإذا كان من الممكن توزيع التأثير، لأغراض البحث على "مناطق" منفصلة، مثل القدرات والإستعدادات ونوعية الإستجابة للمثيرات ودرجة التوافق، فإن الشخصية من الناحية السيكولوجية تبقى كلا متماسكا في حالة تفاعل دائم وتبادل مقعد للتأثير والتأثر بين جوانبها الجسيمة (السوماتية) والنفسية الاجتماعية.

تأكدت هذه المسلمة بعد سلسلة من الأبحاث والتطبيقات على عينات كاشفة من المرضى والمعوقين من أهمها دراسة "ك.ه إلدج" التي أثبتت أن "فقدان أحد وظائف الجسم أو فقد عضو منه هو حادثة يضطرب لها كيان الطفل مهما كانت شخصيته وسلوكه من قبل" -(4)-

كما توصّل ف.مييننجر رئيس جمعية الطب النفسي الأمريكي إلى نفس النتيجة التي صاغها في التعميم التالي: "إذا كان صحيحا أن أي تحوير في

وضعية الفرد يستتبع إستجابة نفسية، فمن الأكثر صحة أن يثير العجز الجسمي لديه استجابة ليست مباشرة فحسب بل تتبع من أعماقه".-(5)-

هذا فيما يتعلق بتأثير المرض على الفرد نفسه أما علاقته بالمحيط فإنه يمكن إجمالها في النقاط الخمس التالية:

1. يشعر المصاب بمرض مزمن أو عاهة حسيّة-حركية أنه في حاجة إلى الآخرين أكثر من حاجتهم إليه.

2.عندما يصاب الفرد بالعجز والتعوق في مرحلة الطفولة، وهي المرحلة التي تشترك فيها الأسرة والمدرسة في عملية التنشئة والتطبيع، تكون الآليات الدفاعية النفسيّة، مثل الإعلاء والنكوص والتعويض في مرحلة تعلم وتجريب، أي أنها لم تصل إلى مرحلة الرسوخ و"الآلية"، ولذلك فإنه يرد على مثيرات المحيط بثلاثة أنماط من الاستجابات -(6)-

1.2. إما الإستجابة العقابية الداخلية، أي الإحساس بالذنب ومعاقبة الذات لمجرد ملاحظة أو حركة أو إيماءة يؤولها المعوّق على أنها موجّهة نحوه، فإذا تواصلت هذه الحالة مدة طويلة اتجه الطفل أو المراهق إلى العزلة والانطواء وأصيب بمرض الاكتئاب والذهان.

2.2. وإما استجابة عقابية خارجية أي إظهار درجة عالية من العدوانية وحدة المزاج والبحث عن كبش الفداء، فإذا استمرّ هذا السلوك تحوّل إلى مرض الوسواس أو البارانويا.

3.2. وإما استجابة محايدة أو لا عقابية، عندما يتجاهل الطفل مثيرات المحيط ويتمكن من تأجيل تأثيرها أي إنزالها من مستوى الشعور إلى مستوى

اللاشعور حيث تسفر عن نفسها في السنوات اللاحقة بأشكال مختلفة، غير أنه في مرحلة التأجيل تبدو علاقة الطفل بمحيطه سلبية وتسمى هذه الحالة بالكف ويعتبر الشخص "بارد" انفعاليا.

وقد لاحظنا أثناء البحث الذي أجريناه قبل عدة سنوات على المصابين بعاهات حسية-حركية أن النوعين الأولين من الإستجابات هو الأكثر شيوعا بين الأطفال والراشدين في مجتمعنا. -(7)-

3. يتعامل المحيط الإجتماعي مع المصابين بالمرض المزمن والعجز الحسي الحركي، حسب سلم ينظم التعوق وفقا للقيم السائدة، فالذين يصابون في ميدان الحرب أو أداء الواجب المهني، يعاملون معاملة تختلف عن أولئك الذين يولدون معوقين، أو يصابون في حوادث الطريق، وبالتالي فإن المحيط الاجتماعي يهتّم بسبب العجز والعاهة، بقدر ما يهتم بالعاهة نفسها.

4. هناك إتجاه عام لإعتبار المرضى والمعوقين أشخاص غير عاديين ولذلك فإن القليل من الناس يربطون معهم علاقات حميمية وتحرص الأغلبية على حد تعبير "ج.بولس" على الابتعاد عنهم "بمسافة مطمئنة" وإذا اقتربوا، فمن المحتمل أن يكون السبب هو إبداء الشفقة أو الإستغراب، مما يزيد من إحساس المصاب بأنه شاذ وغريب، وقد عبّر الباحث السابق عن هذه الوضعية بقوله: "إننا نراهم بيننا ولكنهم يعيشون في منفى من الناحية النفسيّة" -(8)-

5. إن المجتمع -لا حالة الجسم- هو الذي يحدد نوع استجابة الفرد للعجز الناجم عن المرض أو العاهات الحسيّة الحركية، وقد توصل "لي

مايرسون" -(9)- إلى بعض النتائج التي يقول إنها تنطبق على كل المجتمعات منها:

1.5. إن الوضع الجسمي يعتبر أحد المعايير التي على أساسها يسند إلى الشخص دور إجتماعي معين.

2.5. إن الحالة الصحيّة للفرد تجعل الآخرين يتوقعون منه الإتيان بسلوكات معينة والإمتناع عن أخرى.

3.5. إن الحالة الجسمية تؤثر في إدراك الشخص لذاته سواء بطريقة مباشرة، عندما يقارن الفرد نفسه بالآخرين أو بطريقة غير مباشرة، وذلك من جرّاء ما يتوقعه الغير منه.

2. توصيف وتصنيف حالات العجز والتعوّق:

يفضّل المشتغلون بالتربية الخاصة استعمال مصطلح التعوّق بدل مصطلحات أخرى مثل شاذ وناقص ومعطوب التي تحمل دلالات سلبية، فالتعوق يعني وجود صعوبة ينبغي التغلب عليها، وهي تضع الفرد أمام منافسة عادية مع غيره.

هناك تعريفات كثيرة للتعوق مستعملة في الطب والقانون وعلوم النفس والتربية، وتختلف من بلد إلى آخر، ولكن منظمة الصحة الدولية ترى أن أدقها هو التعريف الذي وضعته لجنة البيت الأبيض الأمريكي في الستينات، ومؤداه أن "الطفل المعوّق هو الذي لديه عيب خِلْقي أو مكتسب أثناء نموّه، بسبب مرض أو حادثة، ويمكن أن يجعله ذلك على الرغم من كل الاحتياطات يعاني من نقص كلّي أو جزئي في إستخدام جسمه أو حواسه أو أطرافه" -(10)-

ونتيجة لإختلاف التعريفات، تباينت التصنيفات فقد أعتمد بعضها على سبب العجز، وأعتمد بعضها الآخر على مكانه في الجسم، ونظر البعض الثالث إلى تاريخ الإصابة أو شدتها، نذكر منها التصنيف الثلاثي "لأوليرون" -(11)- حسب مكان الإصابة:

1. التعوق الناجم عن إصابة الوظائف الحسية، مثل درجات الصمم وكفّ البصر.

2. تعوّق يصيب الوظائف الحركية، مثل أنواع الشلل وفقد الأطراف.

3. تعوٌّ يصيب الوظائف العضوية، مثل أمراض القلب والسكّري ويلاحظ "أوليرون" أن أي تصنيف للتعوّق ينبغي أن يأخذ بعين الإعتبار ثلاثة مقاييس، وهي الشدّة والمدّة وتاريخ الإصابة، فهناك تعوّق دائم مثل العمى والصمم وفقد الأطراف، وهناك تعوّق مؤقت مثل أمراض الطفولة، هناك تعوقات ولادية، مثل التشوه والقصاع وأخرى تحدث في سنوات العمر اللاحقة، مثل الشلل إلخ....، ولكل واحدة من هذه الحالات، تأثيرها على شخصية الطفل وإمكانياته الباقية.

أما الأستاذ ديريفوس -(12)- فإنه يصنّف التعوق في نمطين كبيرين حسب درجة العجز:

1. تعوق ينجم عنه عجز يشمل الجسم كله.

2. تعوق يؤدي إلى عجز جزئي، في أعضاء الجسم ووظائفه.

ويقترح ل.لوفيفر وديلشيت -(13)- تصنيفا واسعا يجمع التعوق والعجز الحركي والحسي والنفسي والعقلي والتعوق المتعدد، والملاحظ أن

التصنيفات السابقة يغلب عليها الإتجاه السيكومورفولوجي والبيوتيبولوجي وبالنسبة للاتجاه الأول (السيكومورفولوجي) فقد دخل إلى متحف الآثار وقد عبر عن ذلك المفكر التربوي وليام جيمس بحالة دائرية تجعل السبب نتيجة والنتيجة بدورها سببا: "أنا أبكي لأنني حزين وحزين لأنني أبكي!" ، ولذلك ينبغي أن توضع كل تلك التصنيفات في ميزان آخر هو درجة العجز في منظور الفرد نفسه وفي تقدير محيطه القريب (الأسرة) والعام (المجتمع) وعندئذ نحصل على التدرج التالي:

1. العجز والتعوق الطفيف الذي لا يمنع الشخص من القيام بشؤونه الخاصة، ولا يلفت انتباه الآخرين.

2. التعوق المتوسط الذي يسمح للشخص بالقيام بجانب من حاجاته الضرورية، ولكنه يقلل من إستقلاليته ولا يلاحظه الآخرون إلا عندما يضطر الشخص لطلب المساعدة.

3. التعوق الملحوظ، وهو الذي يحول دون استقلالية الشخص، ولا يمكن إخفاؤه، ويعتبره الآخرون حالة مزمنة تتطلب رعاية ومساعدة دائمة.

ينبغي أن نشير إلى أن التصنيفات السابقة لا تعني وجود ترابط بين درجات العجز الجسمي والتعوق الحسي الحركي من جهة وبين القدرات العقلية للأطفال من جهة أخرى، فلم تظهر الدراسات التجريبية المقارنة بين المرضى والأصحاء وبين سليمي البنية وذوي العاهات عن أي تباين له دلالة في اختبارات الذكاء: نموذج "سيمون–بنيه"، أو "بيرسون"، وإن كانت تلك الدراسات قد أظهرت فروقا معتبرة في مقاييس النضج الاجتماعي والتوافق –(14)–

ويبدو لنا أن النقص في النضج والتوافق يرجع أساسا إلى عجز المريض والمصاب بعاهات حسية حركية عن إرضاء حاجتين لا يختلف في الحرص عليهما كل الناس، مهما كانت حالتهم الصحية، وهما الحاجة إلى الأمن والحاجة إلى التقدير، مما يؤدي إلى صراع ظاهر أو مكتوم بين مستويين للذات هما الذات الاجتماعية، أي أن صورة الشخص في نظر الآخرين، والذات المثالية وترتبط بمستوى الطموح أي صورة الفرد كما يريد هو أن يكون.

3. تأثير بعض الحالات السابقة على التحصيل المدرسي:

تظهر أعراض ضعف التحصيل أو التخلف المدرسي عادة بين السنة الثالثة والخامسة من المدرسة الأساسية، أي في الفترة الثالثة من الطفولة أو ما يسمى في علم النفس النمو، مرحلة الكمون التي يتباطأ فيها النمو الجسمي والعقلي والنفسي.

بالإضافة إلى هذه الظاهرة الطبيعية، فإن هناك أسباب ترجع إلى معوقات تتعلق بالصحة العامة وحالة الحواس الوثيقة الصلة بالتحصيل المدرسي، مثل السمع والبصر والنطق، وأسباب أخرى ذات طابع نفسي– اجتماعي وتجد جذورها في الوسط الأسري والمجتمعي بوجه عام نذكر من المعوّقات الحسّية ما يلي:

من الأسباب التي تمنع الطفل من متابعة الوتيرة المدرسية الأمراض المزمنة وضعف الصحة الناجم عن سوء التغذية التي توصل الأطفال إلى حالة الوهن وعدم القدرة على التركيز وبذل الجهد الذهني والعضلي، بالنسبة للصنف الأول (المرض المزمن أو العاهة الحركية المقعدة)، فإن

التكنولوجيات الحديثة قد حلّت جزئيا مشكلة التحصيل المدرسي بواسطة التعليم عن بعد عن طريق البث البيداغوجي المتخصص حسب الحالات وأماكن تواجدها، كما أن تدفق المعلومات بالصوت والصورة يساهم في تكوين الثقافة العامة ولا يتطلب استعمال أجهزتها جهدا عضليا، مثل الذي يقتضيه التردد على المدرسة، وتغيير الحجرات الدراسية.....

نقول إن ذلك هو حل جزئي للمشكلة، لأن البلاد النامية والجزائر واحدة منها لا تتوفّر على هذه الوسائط الباهضة الثمن والتي تحتاج إلى خبراء متخصصين في تصميم البرامج الملائمة، كما اتضح أنها مكملة لجوّ الفصل الدراسي ومجهود المُعلّْم ولا تُغني عنهما على الإطلاق.

غير أن أكثر أسباب التخلّف الدراسي انتشارا في مدارسنا هو ضعف حاستي السمع والبصر وعيوب النطق في نظام تربوي يعتمد عليهما وخاصة في المرحلة الإبتدائية التي تركّز على تعليم القراءة والكتابة والواقع أن هذه المشكلة لا تخصّ الجزائر فالنظام التعليمي في كل مدارس العالم يعتمد أساسا على المقروء والمسموع، فلم تتأكد لحد الآن مقولة شيخ المعلمين أفلاطون:

" إن العلم تذكّر والجهل نسيان" وبذلك فإن الأطفال المصابين بضعف السمع أو البصر يكونون من المتخلفين في المواد التي تعتمد على القراءة ويجدون صعوبة في التعرف على الأشكال المرسومة في كتاب أو على الصبورة.

إن الأطفال في السنوات الخمس الأولى من المدرسة الأساسية لم يتعودوا بعد على آلية التخمين النصفي وملء الفراغ الإدراكي، بمعنى قراءة الجملة أو المقطع دفعة واحدة، وسد الثغرات أو إكمالها من الذاكرة، وتنطبق

هذه الآلية أيضا على المسموع من الكلام، فحتى الشخص السليم السمع لا يصغي فعلا لأكثر من 30% من الكلام والأصوات ويكمل الباقي من ملابسات الموقف وسياق الحديث، والملاحظ أن ضعاف السمع لا يُكْتشفون بسرعة في الفصول المدرسيّة، وأحيانا يحكم على عدم استجابتهم للأصوات، على أنه خمول وبلادة، إذا كان بالإمكان معالجة هذه الحالات بالنظارات والسمّاعات الطبية، فإنّ لتلك الأدوات تأثيرات جانبية، من بينها الحد من النشاط التلقائي للطفل مثل الجري والقفز...كما أنها تجعله يشعر بالإختلاف عن الآخرين. -(15)-

ومن أسباب ضعف التحصيل عيوب النطق التي يسهل اكتشافها في الفصول المدرسية، وله أعراض وأشكال متعددة من بينها التمتمة والعجز عن نطق بعض الحروف، وقد يصحب ذلك بتشنج في عضلات الوجه والفم، ومنها الحبسة وهي مع التمتمة واللجلجة من الإضطرابات المؤثرة على التحصيل المدرسي، وخاصة ما يتعلّق منه بالقراءة والتعبير، وقد قدم المختصون تشخيصات كثيرة لاضطرابات النطق منذ "بروكا" إلى علم الأرتوفونيا الحديث الذي يهتم بمعالجة اضطرابات النطق والكلام، وله قسم نشيط بجامعة الجزائر ومعهد علوم النفس والتربية.

بالإضافة إلى القائمة الطويلة للعوائق المرضية والعاهات الحسية-الحركية فإن للتأخر الدراسي وضعف التحصيل عوامل أخرى في الأسرة والمجتمع تعرّض الطفل لإضطرابات لا تقل خطورة عن سابقتها الجسمية مثل مضاعفات الطلاق ومظاهر الشذوذ والانحراف والجناح وظروف السكن والفقر والحرمان وتأثير جماعة الأقران والسينما والتلفزيون ليست

موضوع هذه الورقة، وقد أشرنا إليها في دراسات سابقة (1989) و(1998) -(16)-

4. خلاصة:

إن مبدأ تساوي الفرص والمدرسة للجميع، مرضى وأصحاء، أغنياء وفقراء، سواء أكانوا من سكان المدن، أو من سكان البوادي والقرى، هو واحد من المبادئ النبيلة التي تأسس عليها النظام التربوي في الجزائر بعد إصلاح 1976 الذي اعتنى بالفئات الثلاثة التي يتكون منها الحشد المدرسي وهي:

1. العاديون أو الأسوياء وهم عادة الأغلبية من المتمدرسين، ويعتبرون عاديين لأنهم يحصلون في اختبارات الذكاء والتحصيل المدرسي على نسبة تزيد قليلا أو تنقص قليلا عن المعدل، ويمكن القول أنه على الرغم من النقائص الموضوعية والاحتجاجات الإيديولوجية فإن المدرسة الجزائرية قد حققت انتشارا أفقيا يشمل الآن ما لا يقل عن ثلثي أطفال المدرسة الأساسية، والمطلوب في رأينا هو تعبئة الجهود لاستئصال الأمية في أقرب الآجال، لأن الثلث المتراكم من الأميين يمكن أن يضاف إلى المعوقين الذين لن يجدوا أي طريق نحو التأهيل المهني والترقية الاجتماعية والمواطنة الفعلية في عصر سباق الفضاء والمعلوماتية.

2. الموهوبون وهم في الغالب الأعم فئة قليلة تتميّز بقدرات عالية تسمح لها بالتفوق في اختبارات الذكاء والقدرات والمهارات الأخرى ويكشف مسارها التعليمي على مؤهلات للامتياز، ويحدث أن تغرق هذه الفئة في طوفان الحشد المتوسط من التلاميذ بسبب اختلاط المقاييس، وضعف آليات

التوجيه المدرسي والمتابعة المبكرة، ولا شك أن ذلك يُكبّد النظام التعليمي وبلادنا كلها خسارة فادحة.

3. المرضى والمعوقون وهم جزء من المجتمع ينبغي أن لا تقتصر العناية بهم على عائلاتهم فحسب، بل على مؤسسات الدولة وهيئات المجتمع الأخرى أن تساهم في مساعدتهم على التغلب على الإعاقة والانخراط في الحياة عن طريق التعليم والتكوين والتأهيل فالإنسان الكفؤ والمنتج هو ثروتنا الحقيقية، وأطفال اليوم هم الذين سيصنعون الغد.

جزائر الرحمة والتكافل في حاجة إلى جميع أبنائها ولذلك ينبغي أن يتغلب الأمل على الخوف، والسعادة على اليأس، والابتسامة على البؤس أليس المستقبل المنشود هو أن تكون أجيال المستقبل –أبناؤنا– أكثر كفاءة وسعادة وفائدة للوطن؟

إن المستقبل الحقيقي ليس هو أمجاد الماضي فحسب بل أيضا ما نضيفه إليها أي ما نفعله نحن الآن !

ومقابلها المستعمل في الإنكليزية أو الفرنسية

الجانب الجسمي والحسي–الحركي		الجانب التربوي النفسي الاجتماعي	
التعوّق	Handicap- Disability	الإستبصار	Insight
الكفّ (عُمْية)	Cecité	الحَصْر	Anxiety- (Inhibition)
الوهن	Asthenie	المسح (استقصاء)	Survey (enquête)
الخمول	Apathie	الذات	Self (le moi)
القُصاع	Cretinisme	الذات المثالية	Le moi idéal
الكُساح (الفالج)	Paraplegie	الذات الاجتماعية	Le moi social
الزَّورَ (الجنَف)	Scoliose	التوافق	Adjustment- (ajustement)
الحُبْسة	Dysarthrie	الإحباط (الحَرَد)	Frustration
التّمتمة (اللجلجة)	Dyslexie	التحصيل المدرسي	Achievement- (apprentissage)
القُلاب	Cardio	االكمون	Latence
السكّري	Diabeto	الترابط	Correlation
الغَفَيان (الرعشة)	Abasie	نسبة الذكاء	I.Q
الربو	Asthme		

إحالات مرجعية

1. إبن خلدون: كتاب العبر، الفصل الأول ص35، بيروت 1979

2. A.Gezel others : Youth, the years from Ten to sixteen, p.59, N.y 1950.

3. J.Havighurst : Development of ideal self
j.ofeduc.research, 4 1976

4. د.مختار حمزة: سيكولوجية المرضى وذوي العاهات، ص16 دار المعارف، القاهرة 1954

5. DV.w Minninger: Emotional adjustments of the handicapped children j.of social issues N.Y 1984

6. DV.Silvaldon : L'inadaptation social, I.S, n13 Paris 1981

7. محمد.ع.ولد خليفة: ملامح الشخصية عند المجاهد معوق حرب التحرير (غير منشور، مكتبة جامعة الجزائر)

8. H.Combs : Self acceptence and adjustment,
J.of Consulting Psych.N16M Chic. 1964

9. L.Meyerson : Somato Psychology of Physical disability Psy.of exceptional Children and youth, in W.CRINKS 1955

10. White house conference : report on child health…..
washington cong.1963.

11. Marin : Problemes posés par le handicapé
physiqueet son reclassement Professionnel,
oct.I.S, Paris 1969.

12. Dr-Drefus : Les grandes catégories des déficients et leurs orientations sur les métiers inf.sociales Paris oct 1970.

13. op.cit

14. S.Fouché : La psychologie de l'infirme, I.S N19 Paris 1968.

15. J.Ajuriaguera : L'apprentissage de la lecture et ses troubles p.22 PUF Paris 1967.

16. محمد.ع.ولد خليفة: مهام المدرسة والجامعة الجزائرية مساهمة في تقييم نظام التربية والبحث العلمي ص.ص 41-49 المطبوعات الجامعية 1989

17. محمد.ع.ولد خليفة: الأبحاث النفسية والتربوية وقضايا مجتمعنا الحديث منشورات معهد علم النفس والتربية 1999 (جامعة الجزائر)

تجارب عربية في تفصيح العامية

أ. د. عبد الجليل مرتاض
جامعة تلمسان (الجزائر)

1. العامية الجزائرية وعلاقاتها بالفصحى

مما أجده ميسرا للإفضاء به أن ممارستي لمثل هذه الإشكالية اللغوية المعقدة ليس على مستوى الجزائر وحدها، ليست الأولى من نوعها، لقد قضيت أكثر من ربع قرن انطلاقا من اللهجات العربية القديمة وفوارقها المتنوعة، وكان آخر عمل نهضت بإنجازه يدور حول تواصلات عربية قديمة، عادة ما كان علماء اللغة العرب القدماء يطلقون عليه «لغة العامة» أو «لحن العامة»، وقل من العلماء من كان يجرؤ على تلحين عالم لغوي، وربما رُدَّ لحنه عليه إن لم يكن ضليعا في العربية وأسرارها ولهجاتها.

إن إنجازنا المشار إليه أعلاه لم يكن أكثر من قراءة لغوية مقارنة، حاولت أن ترصد تلك التكلمات التي كان يتخاطب بها العامة من العرب في كل من الأندلس وصقلية وبغداد، ومقارنة كل تكلم من تلك التكلمات على حدة بلغتنا الجزائرية المتداولة بيننا، وخاصة تلك المتصلة باللغة الطبيعية

التي نشأت وكبرت معها في قرية «مسيردة» الجبلية الساحلية المعزولة عزلاً كليًا عن العالم الخارجي، وكان لمقياس أو المعيار اللساني الفصيح من غير الفصيح، لإعلاء منزلة لغة عامية على لغة عامية أخرى، هي العربية الفصحى نفسها.

وباتخاذي مدوّنات لغويّة معاصرة لتلك التكلمات الثلاث تبيّن لي ميدانيًا أن اللغة الجزائرية كانت الأقرب دائمًا إلى العربية الفصحى منها إلى تلك التكلمات، وأن كثيرا من الألفاظ التي قد نعدها عامية ومذمومة مطَّرحة ما هي إلا ألفاظ أفصح مما قد نتصور، وأن عاميتنا الجزائرية ضاربة بجذورها في عمق الفصحى البعيد، لعوامل تحتاج إلى دراسة ميدانية مضنية لا يستطيع فرد واحد أن يقوم بها.

ونحن إذا استثنينا أسماء النبات الهائلة عندنا، والتي لا تزال تسمى بأسمائها الجزائرية الأصلية؛ والتي لا يعرفها كلياً إلا الفلاحون والرعاة والقرويون، فإن لغة التواصل العام بيننا لغة عربية فصيحة، لا يشوبها إلا تكسير في محاصيلها الصوتية، بل حتى أسماء الأماكن والقرى والجبال تتنافس فيها الفصحى والعامية جنبًا إلى جنب، ترجع إلى أسباب ثابتة ومتحركة، وإلى ما هو منعدم أصلاً في أرض مما هو موجود في أرض أخرى، وإلى ما يطفو في كل عصر من أداءات وخطابات جديدة، وفي الوقت نفسه تندثر كلمات وتراكيب قديمة لم تعد من سلوك أو احتياج المجتمع الخلف، وهذا قد يصدق على الفصحى أزيد مما ينطبق على العاميات العربية برمتها، لكون الأولى معرضة لانتهاكات لسانية وثقافية وإبداعية مستمرة، بينما الثانية عادة ما يغلب عليها الانغلاق والثبوت.

ومن الخطإ المريب أن نذهب ذلك الذهاب التقليدي، بأن الطفل الجزائري في المدرسة يقضي وقتا طويلاً من أجل أن يتعلم الفصحى، ويفهم النصوص والحوار، والمواد الرياضية والعلمية، فهذا وهم ليس بعده وهم، لأن الطفل يدخل في سن السادسة برصيد لغوي هائل، إلا إذا كانت المناهج المدرسية تحاول أن تجعل منه ناشئا غريبا عن بيئته ومحيطه، لكن الإشكال أن الطفل يشعر بين عشية وضحاها بغرابة الاستعمال، والقهر اللساني، والتعسف التربوي، ودورها يكمن في كيفية إزالة هذه العوائق الثلاثة من نفسية الطفل، الذي يغدو ويشعر بنفسه وكأنه منذ الحين أمام عالمين، عالم مألوف، وهو عالم بيته وأمومته وطرائق محاكاته، وعالم أجنبي، هو عالم المدرسة الذي لا يتصوره أقل من سجن مؤقت.

وبإمكان كتبنا المدرسية أن تلعب دورها الناجح في تقريب العامية من الفصحى، من خلال تفصيح الرصيد اللغوي الذي اكتسبه الطفل خارج المدرسة من خلال إزالة الحواجز الثلاثة المشار إليها آنفًا، وتركه يفصح ويعبر عن نفسه بأي كلمة يشاء، ويكون دور المعلم الإشراف على التصحيح الصوتي، وإبدال ما هو أجنبي عن الفصحى، وهو نادر جدًا، بما هو فصيح سليم، بحيث سيصبح الطفل نفسه يشارك في عملية تفصيح العامية، إذا لم نقتل فيه روح المبادرة، وهذا دون إهمال وسائل أخرى في إنجاح هذه العملية التي لايمكن تحديدها بزمان ولا مكان، لأن اللغة ما هي إلا مستويات اجتماعية وحقلية وفنية دائمة.

وأهم قضية تُراعَى في هذا الموضوع أن نأخذ بعين الاعتبار المستوى الذي نتعامل معه، وكذا خصوصية المنطقة، كلما أردنا أن نتطاول على

تفصيح كلمات عامية، لأن الاحتكاكات اللغوية مختلفة نسبياً بين منطقة وأخرى في بلد كالجزائر، مساحته مليونان ونصف مليون كيلومتر مربع، فضلاً عن كون مناطق بلادنا متباينة في طبيعتها وطبائعها، وحتى المناطق التي لا ننكر أن لها خصوصية لغوية معينة موروثة عن أسلافنا، تحتوي خطاباتها اليومية على نسبة معتبرة من الكلمات العربية التي امتزجت بها كامتزاج دمائنا بدماء الفاتحين العرب المسلمين منذ أربعة عشر قرنًا، وكذلك لا يتردد غير واحد من الدارسين المختصين أن القبائلية عندنا آلت إلى هجين لغوي عربي أمازيغي، وأنها تحوي 49% من الكلمات العربية، وذهب البعض الآخر إلى رقم 65 %، وهذا التداخل لا يعد قصورًا في لغة أمام كمال في لغة أخرى، لأننا لا نعرف لغة حية غير متداخلة لغويًا مع كلمات ثقافية ودينية وعلمية مستوردة من لغات تمازجت بها تاريخيًا وعرقيًا وحضاريًا.

وبالنسبة للغتنا الجزائرية المتداولة شعبيًا، وبصرف النظر عن تعدد مستوياتها تبعًا لتعدد مستويات المتكلمين بها حسب مراكزهم وثقافاتهم ومهنهم، فإنها ليست فقط قريبة من الفصحى، بل هي كنز وذخيرة لها، وحسب تقديرنا أن الكم الفصيح فيها لا يقل عن تسعين في المائة، وما هو نقي ونظيف فصاحةً أكثرُ نسبةً مما هو مشوه، والنقاوة نجدها في البنيات الإفرادية للكلمات، وأما التشوه فيلاحظ في اللواحق والسوابق والقواعد النحوية والتحقيق الصوتي، وهي ترجع لأسباب لا يجهلها علماء اللسان العام.

2. التجربة العربية القديمة

ومما أتمثله أن التجارب العربية تجربتان: تجربة ميدانية قائمة على التخاطب والتواصل والممارسة الكلامية والاستعمال، وتجربة نظرية لم تجد طريقها بعد إلى التنفيذ الإجماعي والتوظيف.

يمثل التجربة الأولى العربُ ومن تعرب ولحق بهم في العصور السليقية التي كان القوم يتواصلون فيها على سجيتهم، كتواصلنا نحن اليوم بهذه العاميات العربية منذ فساد السليقة اللغوية، وأما التجربة الثانية فتمثلها المجامع اللغوية والهيئات الأكاديمية ومراكز البحث وشخصيات عربية واستشراقية لها حظ وافر، وباع فكري في مجال الاهتمام لمحور هذا الموضوع، دون أن ننسى علماء اللغة العرب من قدماء ومحدثين، والذين لم يقصروا ولا آلوا جهداً في إثارة هذه الإشكالية الازدواجية في التواصل اللغوي بالعربية.

أ. أي فصيح ؟

إننا نعترف اعترافًا جميلا بالجهود المحمودة التي بذلها القدماء من متكلمين سليقيين أو عفويين من جهة، ولسانيين ملاحظين وحتى مشاكسين ومتصلبين من جهة أخرى.

ولعل تردد آراءٍ كثيرة في مادة «فصح» نفسها لدليل فصيح على تناول القدماء لهذه الكلمة ومشتقاتها، ونحن لا نريد أن نقع أسرى هذه المشتقات مادام الانطلاق من الكلمة في أي بحث انطلاقا خاطئا وثقيلاً، غير أن ما هو آكدُ لدينا؛ أن العرب كثيرًا ما أُولِعُوا وَلُوعًا بهذه الكلمة، وظلوا يمدحون من اتصف بها أو الرقعة الجغرافية التي اشتهر غلمانها ونساؤها، ورجالها

بها، ولما كان جماع اللغة ورواتها اتخذوا هذه الصفات شهادة لسانية، فقصدوا تلك الأصقاع لا يلوون على شيء للسماع والحفظ والتدوين عنها.

وكلمة الفصاحة التي لا أريد التورط في أسرها أيضاً تطلق على العربي والأعجمي سواء بسواء، لأن كليهما يفصح لك عن مراده وجهات كلامه، الأهم أن يتكلم كلامًا عربيًا سليمًا، بل قد « يجيء في الشعر في وصف العُجْم أفْصَحَ يريد به بيان القول، وإن كان بغير العربية، كقول أبي النجم:

أعْجَمْ في آذانها فصيحا

يعني صوت الحمار أنه أعجم، وهو في آذان الأُتُن فيصيح بين»[1]. والأَوْلى أن تطلق فَصُح على الأعجمي حقيقة منها على الدواب مجازًا، وربما تجاوزت كلمة فصيح معناها التقليدي، الدال عادة على البلاغة والبيان وحسن مخارج الأصوات، وتقريب آخر الكلام بأوله إلى مفاهيم دلالية أخرى محال عليها في المعاجم اللغوية، ولكنا لا نقبل تلك التفسيرات الانطباعية لها، من خلال تجزئة الكلام أو الخطاب إلى جيد ورديء، وهذا موضوع آخر، وكل ما في الأمر، كما سيشار لاحقًا، أن هناك مستويات من الخطاب والتواصل بين الناس.

وليس معنى ما سبق أننا نسوِّي بين مطلع بسيط، وآخر ضليع في هذه اللغة، التي يقترب ما هو مستعمل منها من مائة ألف كلمة، وإنما الناس في ذلك صنفان: صنف شغل بفرع علم العربية سطحيًا، فلا يكاد يعرف سواه، وصنف آخر، إلى جانب اهتمامه بالفرع، شغل أيضًا بالأصل وتعمقه، ومع ذلك فإن كلام العرب أكثر من أن يحاط به فرديًا[2]، وما كان أصدق الزجاجي إذ يقول: «وليس كل العرب يعرفون اللغة كلها غريبها

وواضحها ومستعملها وشاذها، بل هم في ذلك طبقات يتفاضلون فيها»[3]، وبتعبير لساني حديث يريد الزجاجي أن يقول لنا إن العرب في تواصلهم مستويات، فعبر عن المستويات بالطبقات.

وعمومًا، فإن «اللغة العربية بالنسبة للمفهوم العربي القديم؛ هو ما نطق به العرب وتواصلوا به، ولافرق في هذا بين العرب والأعراب، أو حتى من الأجانب الذين نزلوا البادية وجاوروا البادين وظعنوا بظعنهم»[4]. والفرق بين هذه الفئة أو تلك، أن من جاوروا البادية وارتحلوا بارتحالهم فهم أعراب، ومن نزل بلاد الريف مستوطنًا المدن والقرى العربية وغيرها ممن ينتمي إلى العرب فهم عرب حق، وإن لم يكونوا فصحاء[5]، والفصاحة في تقديرنا سمة تكتسب جبلة لا صفةٌ تترسخ صناعة. وهنا يطرح تساؤل أحسبه مشروعًا: من أين أتت كلمة «التفصيح»؟ ومتى ظهرت في العربية الحديثة؟ ومن أول من استعملها؟ وماذا يقصد بتفصيح العامي إذا كنا لا نستطيع تحديد العامي تحديدًا لسانيًا موضوعيًا؟.

ومما نحن متأكدون منه؛ أن هذه الإشكالات أو ما يقترب منها قد لاكتها الألسن، وتداولتها المجالس الخاصة منذ فجر الإسلام وحتى قبله في العصر الجاهلي، ودليلنا على ذلك وقد ذكرناه في عمل آخر،[6] أن إحساس العربي بالتباينات اللغوية ومستويات التواصل الكلامي قد طفا جليًا في فضاء الثقافة العربية الجديدة، ومن عينات ما نحن فيه ما أورده المبرد: «وحدثني من لا أحصي من أصحابنا عن الأصمعي... قال معاوية يومًا: من أفصح الناس؟ فقام رجل من السماط، فقال: قوم تباعدوا عن فراتية العراق، وتيامنوا عن كشكشة تميم، وتياسروا عن كسكسة بكر، ليس فيهم

غمغمة قضاعة، ولا طمطمانية حمير، فقال له معاوية: من أولئك ؟ فقال: قومي يا أمير المؤمنين! فقال له معاوية: من أنت؟ قال: أنا رجل من جرم، قال الأصمعي: وجرم من فصحاء الناس»[7].

وربما رفع إلى النبي ﷺ حديث، ورد فيه شيء يشير بقوة إلى ما نحن بصدده لقوله عليه السلام: «أنا أفصح العرب مَيْدأني من قريش، وأني نشأت في بني سعد بن بكر»[8] وقال عمر بن الخطاب قولته المشهورة: «لا يملين في مصاحفنا إلا غلمان قريش وثقيف»[9] ليعقبه عثمان بن عفان بأمر آخر يشبهه في شق منه: «اجعلوا المملي من هذيل والكاتب من ثقيف»[10] مفرقًا بين فصاحة النطق وبيانه، ودقة الرسم وحذاقته في حين أن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود (32هـ) ذا الأصل الهذلي، والذي أبدى معارضة شديدة لعثمان في توحيد المصاحف، كان يستحب أن يكون الذين يضطلعون بكتابة المصاحف من مضر[11]، ومما هو غريب أن أحد الشعراء الفرنسيين قال منذ القرن الثاني عشر: «لهجتي خير اللهجات، لأني نشأت في باريز»[12] عكس اعتذار جان دومان (صاحب الجزء الثاني من رواية «الوردة» بقوله: « لئن بدت لك لهجتي وحشية لاتهذيب فيها فعذري أني لم أنشأ في باريز»[12].

ونجد في غير مصدر أن قريشا أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة، وكانت «مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب»[13]، ولا أدل على فصاحتهم وصفاء لغتهم ان القرشية

سليمة من عنعنة تميم، وعجرفية قيس، وكشكشة أسد، وكسكسة ربيعة، ومن ذلك الكسر الذي نجده في أوائل الأفعال المضارعة التي على وزن فعل (بكسر العين) يفعل (بفتح العين)، ولا من ذلك الإتباع الصوتي في نحو شِعير وبِعير بدل فتح الشين والباء، لأن هذه الأشكال التواصلية الأخيرة من اللغات المذمومة لدى الفقلغيين العرب، على الرغم من أنها منسوبة لأقوام بأعيانهم.

ب. مستويات داخل الفصحى

وحين نتكلم عن إشكالية العامي والفصيح، فإنه يجب علينا أولاً التفكير في تحديد مستويات ما هو فصيح، قبل أي مقارنة بينه وبين ما هو عامي، حتى وإن كنا لا ننكر أن العامي نفسه لا يخلو هو أيضًا من مستويات ما، لكن تحديده وتشريحه سيظل أكثر اعتياصًا من الفصيح.

وحسب وجهة نظر بعض العلماء العرب أن التواصل لا يقتصر على الفهم والإفهام على شرط لغة كل متكلم كمجرد إعراب عن النفس ذاهبين إلى ان هذه المرتبة من التواصل الأدنى أخس مراتب البيان، مادام ان الأبكم قد يتواصل معك بإشارات وحركا ت ليدُلَّك على مراده دون أن يسمى متكلما «فضلاً عن أن يسمى بينًا أو بليغًا»[14]، ومن ثم رأى بعض العلماء العارفين بخبايا اللغة العربية وأسرار علومها ومكنون صفاتها وخصائصها أن أحدًا من التراجم لا يقدر على نقل القرآن إلى شيء من الألسنة، لأن سائر اللغات لم تتسع في مجازها اتساع العربية.

وفي تقديرنا أن اللغة العربية التي كانت تستعمل في وظائف تواصلية مختلفة لم تكن على نسق واحد، بل كانت تراكيب وأنساقًا متباينة لم تستطع

المعيارية البصرية الصارمة طمس معالمها، بل عمل البصريون أنفسهم على حفظها وتسجيلها كتراث لغوي متنوع ذي أبعاد نحوية وصرفية وصوتية متباينة، غير ان أبعادها المختلفة في النطق والإعراب والأداء لم تكن لتبعدها كل الإبعاد عن مجال كل ما هو فصيح مستعمل.

ودون أن نتورط في التاريخيات اللغوية للعربية، فإننا نشير إلى أن العملية بدأت أول ما بدأت بتفصيح الفصحى نفسها، وتنقيتها من شوائب العامية التي كانت تَعْلَقُ بها في الأمصار التي اتسعت رقعتها، حيث أضحى من العسير على العلماء أن يراقبوا كل التكلمات الشفهية من جهة، وأن توفر الإمكانات التربوية والعلمية للشعوب المتعربة الجديدة، من جهة أخرى، فجنحوا باهتمامهم نحو الفصحى لصيانتها، دون إيلاء اهتمام كبير موازن للدراسات والملاحظات والتحقيقات النظرية والميدانية التي كانت تُولَى للفصحى.

وثمة ظواهر لسانية فصيحة متعددة قضي عليها، ولم تعد كلها مستعملة استعمالاً شائعًا فيها هو فصيح، ومن هذه الظواهر التي كانت يومًا فصيحة:[15]

1. كسر حرف المضارعة.
2. تسكين ما هو مفتوح أو تحريك ما هو مُسكَّن

ومن يتَّقْ فإن الله مَعْـهُ   ورزقُ الله مؤتابٌ وغـادِ

3. إبدال الأصوات غير المتقاربة مخرجًا ولا تصنيفًا بعضها ببعض

ألالِك قومي لم يكونوا أُشابَةً   وهل يعظ الضليل إلا ألا لكا؟

4. التخفيف والتحقيق بالنسبة للهمز.

5. الاختلاف في تقديم صوت على صوت، أو تأخير أحدهما على الآخر: صاقعة في صاعقة ونحو هذا.

6. الحذف تارة لصوت والإثبات له مرة : استَحَيْتُ في استحيَيْتُ.

7. إبدال صامت بصائت معتل : أيْما في أمّا.

8. الإمالة والتفخيم : قضى ورمى.

9. الاختلاف في واو الجماعة الساكن يستقبله حرف مثله:

اشتروا الضلالة (بكسر الواو) واشتروا الضلالة (بضمها).

10. التذكير والتأنيث: وهو باب واسع: هذه النخيل وهذا النخيل،

11. الإدغام والإظهار : مهتدون ومهدّون.

12. الإعراب ما هذا بشرًا، ما هذا بشر، إن هذان لساحران :

13. صورة الجمع : أَسْرى وأُسَارى.

14. التحقيق والاختلاس : يأمركم ويأمُرْكم، عُفيَ لهُ وعُفْيَ له.

15. الاختلاف في الوقف على هاء التأنيث: هذه أمَّهْ وهذه أمَتْ.

16. إشباع صائت قصير ليتحول إلى صائت طويل :

الله يعلم أنّا في تلفُّتنـا يوم الفراق إلى جيراننا صُورُ.

وأنني حيث ما يثْني الهوى بصري من حيث ما سلكوا أدنو فأنظورُ

وإذ نورد هذه الأمثلة القليلة من التراكيب اللغوية التي كانت تضمها العربية السائرة الفصيحة، فلسنا ننكر أنها تراكيب لهجية منسوبة إلى أقوام بأعيانهم، ولكنها في مجملها متداولة في كلام العرب من شعر ونثر وأمثال وخطاب عام، ثم مالبث القراء منذ فجر الإسلام وصدره أن تبنوا ظواهر منها

في القراءات السبع والعشر والأربع عشرة بله القراءات الشاذة، بل بقيت حية في خطاب العرب عاميه وفصيحه، سواء شعرنا بذلك أم لم نشعر، ولكنا لا نزعم أن الظواهر الصوتية لم تتغير وبقيت صورتها الصوتية السمعية نسخة طبق الأصل لها دونما تبديل.

وهذه التراكيب وغيرها لتدل دلالة تقودنا إلى الاعتقاد الذي لا مرد له؛ بأن الخطاب اللغوي العام بالنسبة للعربية الكلاسيكية لم يكن كله . كما سبق أن ألمحنا . على نسق واحد من الفصاحة الشريفة والأداءات المتميزة لصورة موحدة بين طبقاتها المتواصلين بها.

وأعتقد ان العربية مهما أحاطها علماؤها الأجلاء من إثراء وتقديس، فهي في النهاية لا تتناقض نواميسها مع أية لغة إنسانية أخرى، وفي أي عصر من عصورها، مما ييسر لنا القول بأن داخل الفصحى نفسها مستويات مشروعة، قد يكون بعضها أفصح من بعض، إذا جعلنا الأفصح من خاصة الخاصة أو الطبقات النبيلة الشريفة، والفصيح من عامة العامة أو الطبقات الدنيا من المجتمع، ولكن هذا التحديد إذا صدق على صفات العرب النفسية وأحوالهم الشخصية، فإنه لا يصدق بتاتاً على لغتهم، لأن الطبقات النبيلة من كانت ترسل أبناءها إلى البادية موئل الجبلة والطبع.

وبكلمة أخرى، لا يمكن لما هو فصيح أن يتحدد إلا بمقابلته بما هو غير فصيح، فضلا عما هو عامي، وسنكون من العقوق بمكان إذا لم نحل إحالة لا تخلو من إشارة اعتراف وتقدير على جهود علمائنا الفطاحل، الذين سبقونا إلى تناول وعلاج ما نحن فيه، علاجًا لا نرقى نحن اليوم إليه إلا حلمًا.

ج. جهود القدماء في تحديد العامي والفصيح

فبالنسبة إلى ثعلب (291هـ) صاحب كتاب الفصيح الذي عكف عليه الناس واهتموا به اهتمامًا في الحفظ والشرح والتذليل، ان مدار الفصاحة في الكلمة يكون على كثرة استعمالها من العرب لها[16].

وحدد العلماء الفصيح في أضرب شتى:

1. ألا يكون مفرد الكلمة متنافرا لحروف ولا مخالفًا للقياس ولا دالاً على الغرابة كما في قول عيسى بن عمر وقد سقط على حمار، فاجتمع الناس عليه من باب الشفقة أو الفضول: «ما لكم تكأكأتم عليَّ تكأكؤكم على ذي جنة، افرنقعوا عني»[17].

ويرى العلماء أن مخالفة القياس إذا كان لدليل فلا يخرج عن كونه فصيحًا، كجمع فعيل على فُعُل في مثل سُرُر جمع سرير، وقياسه أن يجمع على أفعلة وفُعْلان، مثل أرغفة ورُغفان، ومثل سرر الفعل استحوذ،... خلافا لقوله: الحمد لله العلي الأجلل

حيث فك الأجلل، وهو مدغم، أو صرف مالا ينصرف، أو منع ما ينصرف من الصرف، أو الحذف المجحف لصوتين من كلمة: دَرَسَ المنا بِمُتالِعٍ فأبانا

حيث حذف الزاي واللام من المنا.

2. ألا تكون الكلمة مبتذلة كتغيير العامة لها من وضع إلى وضع ثان أخرجها عن الأصل، وقد وصف وعدد حازم القرطاجني الفصيح الخالي من الابتذال عن النحو التالي:

أ. كل ما استعملته العرب وخاصةُ المحدثين دون عامتهم.

ب. ما كثر في كلام العرب وخاصةِ المحدثين وعامتهم، ولم يكثر في ألسنة العامة، فهذا الصنف المتشارك فيه كلامًا وخطابًا لا ألسنة وتوليدًا لا بأس به في فصاحته.

ج. أن تكون الكلمة أكثر دوراناً لدى الخاصة والعامة جميعا، لعدم وجود بديل لها، وليست العامة أحوج إلى ذكرها من الخاصة، ولم تكن من الكلمات المهنية، فهذا النوع غير مبتذل.

د. إذا حافظت العامة على ما نطقت به العرب، ولو استعملته دون الخاصة، من غير تغيير له، فإنه لا يعد مبتذلا، لأن الابتذال في الألفاظ «ليس وصفًا ذاتيًا ولا عرضًا لا زمًا، بل لا حقًا من اللواحق المتعلقة بالاستعمال في زمان دون زمان، وصُقع دون صُقع».[18]

3. ألا تكون الأصوات ثقيلة على اللسان أي متنافرة، ذاكرين أن أكثر الأصوات استعمالاً عند العرب الواو والياء والهمزة، وأقلها استعمالاً لثقلها على ألسنتهم الظاء، ثم الذال، ثم الثاء، ثم الشين، ثم القاف، ثم الخاء، ثم العين، ثم النون، ثم اللام، ثم الراء، ثم الباء، ثم الميم[19].

والفصيح عند العلماء العرب مراتب ودرجات في الاستعمال، مادام هناك مستويات: فصيح وأفصح:

أ. البُر أفصح من قولهم : القمح والحنطة

ب. أنصبه المرض أعلى درجة من نصَبَه.

ج. الحِبر بكسر الحاء أفصح من فتحها، لأنه يجمع على أحبار أي أفعال، بينما الحَبْر (بفتح الحاء) يجمع على فُعول مثل فَلْس وفُلوس.

د. الأنْمُلة التي تطلق على طرف الأصابع أفصح من ضم الهمزة.

هـ. أوفى بعهده أفصح من وفى الثلاثية.

و. الفصحاء يقولون: حرص يحرص بالفتح في الماضي، والكسر في المضارع، والعامة تلفظ هذه المادة على وزن تعب يتعب، ولكنها صحيحة ،... الخ.

وعلى عكس الفصيح والأفصح، فهناك صفات شتى وصفت بها اللغة وصفًا مشينًا، وكأنها كائن حي يلام ويذم فيما تحتوي عليه من ظواهر لسانية لم ترق علماء اللغة، منها:

أ. الضعيف، وهو ما انحط عن درجة كل ما هو فصيح، كقولهم: انتُقع، لونه في امتقع إذا تغير وجهه من ترح أو مرح، وتمندل بالمنديل بدل تندّل، وواخاه في آخاه ،... وجمع الأم أمات، وجمعها الفصيح: أمهات، وهذا ما جاء في شرح ابن دَرَسْتَوَيهْ لفصيح ثعلب، على الرغم من أن الشائع في أمهات ما تعلق بالناس، وفي غير الناس: أمات للفرْقِ[20].

ب. ما سموه منكرًا، وهو مالا يعرف في أصل اللغة كقولهم: نبلة في النبل، مع أن واحد النبل ليس من لفظه وهو سهم.

ج. ما سموه متروكًا أو مهجورًا، كقول بعضهم : محبوب من حببت، ومثل أسماء الأيام في الجاهلية:

1. السبت : شِيَار.
2. الأحد : أوّلُ.
3. الإثنين : أهون وأوهَدُ
4. الثلاثاء : حُبارُ.
5. الأربعاء : دُبار.

6. الخميس : مؤنِس.

7. الجمعة : عروبة.

ومثل الأيام أسماء الشهور الجاهلية قد تركت

د. المذموم من اللغات، وسبق أن أشرنا إلى هذا النوع، كالعنعنة والكسكسة والكشكشة، وغيرها.

هـ. الرديُ، ويقصد به عادة ما لم يشع استعماله مثل : أرابني الرجل في رابني، وفَكاك الرقاب(بفتح الفاء بدل كسرها)، واندخل في دخل، وأخيرا في خير، وأشغله في شغله ،...الخ.

و. المواقف الشخصية المحافظة للعلماء إزاء تكلمات وقواعد معينة، أو إزاء متكلمين وخاصة المحدثون منهم، فأبو عمرو وجماعة من تلامذته كانوا لا يحتجون ببيت شعر أو كلام من ولدوا وعاشوا في العهد الإسلامي، فهذا الأصمعي يرفض كلمات وتراكيب لغوية كقوله مثلا: «لا يقال إلا فلانة زوج فلان، ومن قال فلانة زوجة فلان فقد أخطأ»[21]، فإذا رُدَّ قولُه ببيت شعر لذي الرمة:

أذو زوجةٍ في المصر أو ذو خصومة أراك لها بالبصرة العام ثاويا

أجاب: « ذو الرمة أكل المالح والبقل في حوانيت البقالين»[22].

ج. الفضاءات العربية الفصيحة من غير الفصيحة

وسجل الفارابي نصًا مشهورا عادة ما اتخذه جماعة من المعياريين والمحافظين المتشددين حجة في تسويغ القبول والرفض والتحفظ والتردد، لثروة لغوية ما كانت العربية لتتطور بدونها، ورأيت انه من الأنسب لعملنا هذا أن أثبته: «كانت قريش أجود العرب انتقاءاً للأفصح من الألفاظ،

وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعا، وأبينها إبانة عما في النفس؛ والذين عنهم نقلت اللغة العربية، وبهم اقتدي، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس، وتميم، وأسد؛ فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثرُ ما أخذ ومعظمه، وعليهم أتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف؛ ثم هذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم، وبالجملة، فإنه لم يؤخذ عن حضري قط، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم»[23].

ويضيف الفارابي أنه لم يؤخذ:[24]

1. من لخم ولا من جذام، لمجاورة هؤلاء أهل مصر والقبط.

2. من قضاعة وغسان وإياد، لمجاورتهم أهل الشام، فضلا عن كون أكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانية.

3. من تغلب واليمن، لمجاورتهم اليونان.

4. من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس

5. من اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة.

6. من عبد القيس وأزدعمان، لأنهم كانوا بالبحرين يخالطون الهنود والفرس.

7. من بني حنيفة وسكان اليمامة وثقيف وأهل الطائف، لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم.

8. من حاضرة الحجاز، لأن ناقلي اللغة حين ابتدأوا نقلها صادفوا لغتهم فسدت، لمخالطتهم غيرهم من الأمم.

د. نشوء الخطاب بالعامية

وإضافة إلى نص الفارابي الذي لا يلقى إجماعا، وإلا محونا أكثر من نصف اللغة العربية مادام أنه يمحو أكثر من ثلثين للخريطة اللغوية الموروثة، فهذا أبو الطيب اللغوي (351هـ) يقول: «فأما مدينة الرسولﷺ فلا نعلم بها إمامًا في العربية»[25] داعمًا قوله بشهادة الأصمعي(216هـ): «أقمت بالمدينة زمانًا ما رأيت بها قصيدة واحدة صحيحة إلا مصحفة أو مصنوعة»[26].

ويردف الوصفان السابقان للمدينة بوصف آخر لأبي حاتم(255هـ) لكن لأهل بغداد، بأنهم حشوا عسكر الخليفة «ولم يكن بها من يوثق به في كلام العرب، ولا من ترتضى روايته، فإن أدعى أحد منهم شيئًا رأيته مخلطًا صاحب تطويل وكثرةِ كلام ومكابرة...»[27].

وتواصلت الملاحظات الميدانية صوب الخطابات الشفهية في الأمصار والحواضر التي بدأت الفصحى تنحط فيها وتتكسر على ألسنة عامتها، فجعلت العربية تتباين وفق مستويات لم تعد متمسكة بقواعد واحدة في الأداء والخطاب، ولا حظ العلماء المتأخرون أن العرب من عادتها تتكلم طبعًا لا تعلمًا، حتى إن عالمًا مثل نفطويه (233هـ) ألف كتابًا يستدل فيه على أن العرب تتكلم طبعًا لا تعلمًا[28]، وألف غيره كتابًا بعنوان «ما قاله العرب وكثر في أفواه الناس»[29]، ولأبي عمر الزاهد (345هـ) كتاب يدعى ما أنكرته الأعراب على أبي عبيد فيما رواه وصنفه، وذكر ابن النديم في فهرسته أن أبا عمر الزاهد كان يقول الشعر مع عاميته[30].

إذا ما الرافض الشاميُّ تَمَّتْ   معايبُهُ تخَتَّم في يمينـهْ

فإما إن أتاك لسمـت   فإن الرفض بادٍ في جَبينِهْ

وللأصمعي كتاب موسوم بـ «كتاب ما تكلم به العرب فكثر في أفواه الناس» أي ما شاع أكثر من غيره استعمالاً، وكان هذا الأخير يتعجب من راوٍ روى أن أعشى همدان قال بيتا لا يخلو من ظواهر عامية[31].

من دعا لي غُزَيِّلـي   أربح اللهْ تِجارتَـهْ

مضيفا: «يا سبحان الله! يحذف الألف التي قبل الهاء في «الله» ويسكن الهاء، ويرفع «تجارته» وهو منصوب»[32].

هـ. الإعراب والمعنى وصلتهما بالقواعد

وفضلاً عن ملاحظة الأصمعي السابقة التي لا غبار عليها عروضيًا ونحويًا، فإن علماء اللغة يرفضون أن يقال: «من دعالي» ويرون أن هذا التركيب على هذا النحو محال، والقول الصحيح: «من دعا لغزيِّلي»، ومن دعا لبعير ضال[33]، مما حدا ببعض العلماء أن يذهب إلى أن الحركات الإعرابية ليست دوال على معانيها مُجيزًا أن العرب «نطقت أولا بالكلام غير معرب، ثم رأت اشتباه المعاني فأعربته، ثم نقل معربًا فأعربته فنتكلم به»[34]، ويدعم هذا الرأي مذهبه، بأن المرء في العربية يجد في كلام العرب أسماء مختلفة في إعرابها متفقة في معانيها، «فما اتفق إعرابه واختلف معناه قولك: إن زيدًا أخوك، ولعل زيدًا أخوك، وكأن زيدًا أخوك: اتفق إعرابه واختلف معناه، ومما اختلف إعرابه واتفق معناه قولك؛ ما زيد قائما، وما زيد قائم ،... ومثله: ما رأيته منذ يومين، ومنذ يومان، ولا مالَ عنك، ولا مالٌ عندك، وما في الدار أحدًا إلا زيد، وما في الدار أحد إلا زيدًا، ومثله، إن القوم كلَّهم

ذاهبون، وإن القوم كلُّهم ذاهبون، ومثله: «إن الأمر كلَّه لله» و«إن الأمر كلُّه لله» قرئ بالوجهين جميعًا[35]، ومثله: ليس زيد بجبانٍ ولا بخيلٍ ولا بخيلاً،... فلو كان الإعراب إنما دخل الكلام للفرق بين المعاني، لوجب أن يكون لكل معنى إعراب يدل عليه لا يزول إلا بزواله»[36]

ولعل ما يناسب ما نحن فيه، ان أحد اليزيديين من علماء اللغة قال: سألني الواثق، وقد دخلت داره: «كيف تقول: قام زيد؟ فقلت: قام زيد، فقال: كيف تقول: لم يقم زيد؟ فقلت: لم يقم زيد، فقال: كيف تقول: أقيم زيد؟ فقلت: أقيم زيد، قال: مرفوع إذا فعل وإذا لم يفعل وإذا فُعِل به»[37]، الأمر الذي جعل اليزيدي ينشد:

أحدث الواثق بالله لأهل النحو كيدا

وهو المانع أن يضرب عبدُ الله زيدا

حتى إن بعض الروايات التي تكررت في أكثر من مصدر، وهي على هشاشتها وضعفها، تشير إلى أن بعض القادة العرب في حدود منتصف القرن الأول الهجري لما استشير في وضع صناعة النحو رفض قائلا:«لا نؤمن من أن يتكل الناس عليه، ويتركوا اللغة، وأخذ الفصاحة من أفواه العرب، إلى أن فشا اللحن وكثر وقبح، فأمره أن يفعل ما كان نهاه عنه»[38].

ولربما عارض بعض الأعراب ما غدوا يسمعون من مصطلحات لغوية، تغزو لغتهم الطبيعية من خلال ردود أفعالهم التي نجدها في كتب الطبقات، واللغة والآداب، يهجون فيها النحاة ويندّدون بما أحدثوه من قواعد، لم يسبق لهم أن سمعوها، وهي تجري على ألسنتهم طبعا وجبلة، كأنهم اعتبروا أن وضع شيء من الصناعة النحوية إيذان بوفاة تلك اللغة الشفهية

الطبيعية، لأنه من المؤسف في حق اللغة الشفهية العربية «إن اللغة الخطية عملت على قوقعتها والحد من تفتحها، وقلت من إبداعها، وأشلت حركة تطورها، وحدت كثيرًا من حريتها، فحكمت عليها بالطبقات الاجتماعية والشعبية، وصنفتها تصنيفًا جائرًا وفق مستويات راقية ومنحطة، وتكلمات فصيحة، وأخرى دميمة مطروحة، وكأن اللغة شكل مادي يعشق فيوصل، أو ينفر من محياه فيهجر»[39].

وكان ثعلب ممن يرى أن العرب تخرج الإعراب على اللفظ دون المعاني، وأن الإعراب حتى ولو دخل اللفظ فإن دخوله لا يفسد المعنى، لأنه إذا كان الإعراب مما يفسد المعنى فليس ذلك من كلام العرب، لأنه لم يوجد في خطاب العرب الموروث ولا أشعار الفحول إلا ما المعنى فيه مُطبِّق للإعراب، والإعراب مطبِّق للمعنى، مشيدًا بأستاذه الفراء (206هـ) الذي حمل العربية على الألفاظ والمعنى، فبرع خلافًا لسيبويه الذي عمل كلام العرب على المعاني، ولذا فهو لا يعيب الفراء الذي دخل على الرشيد فتكلم كلامًا لحن فيه مرات، لأن حجة الفراء أن طباع أهل البدو الإعراب، بينما طباع أهل الحضر اللحن، «فإذا تحفظت لم ألحن، وإذا رجعت إلى الطبع لحنت»، مما جعل الرشيد يستحسن كلامه.

وفي الاتجاه السابق نفسه نجد بعض العلماء يحكي عن ثعلب قائلا: «ولم يكن مع ذلك موصوفًا بالبلاغة ولا رأيته إذا كتب كتابًا إلى بعض أصحاب السلطان خرج عن طبع العامة، فإذا أخذته في الشعر والغريب ومذهب الفراء والكسائي رأيت من لا يفي به أحد، ولا يتهيأ له الطعن عليه»[41].

والأمثلة في تعدد المستويات داخل العربية الفصحى أكثر من أن تحصى وتحصر، وكل من وقف على نماذج من الموروث اللساني العربي القديم يدرك هذه الحقيقة ويقربها، ولا يلتفت في كل مرة إلى تعسف القدماء وتضييقهم على العامة، فالناس ليسوا كلهم مثل الأصمعي الذي كان لا يجوِّز إلا أفصح اللغات، وكيف لا يكون من حقه ذلك، وهو الذي كان يجيب في ثلث اللغة، أو أبي عبيدة الذي كان يجيب في نصفها، أو أبي زيد الأنصاري الذي كان يجيب في ثلثيها، أو أبي مالك عمرو بن كركرة الذي كان يحفظ العربية كلها؟[42].، فمثل هؤلاء يحق لهم أن يُضيقوا ويَلِجّوا ويمْحكوا ويتشددوا، لكن ذلك مع اللغة في ذاتها ولذاتها قد يكون محمودًا أو مقبولاً، لكنه غير مسوّغ مع كل طبقات المتلقين، وخاصة المتعلمين أو حتى خاصة الخاصة، من هذا عتاب الرشيد للأصمعي وكان قد استبطأه، فقال الأصمعي:« ما أَلاَقَتْنِي أرض حت رأيت أمير المؤمنين، فلما خرج الناس، قال: ما معنى ألا قتني؟ قلت: ما ألصقتني بها ولا قبلتني، فقال: هذا حسن، ولكن لا تكلمني بين يدي الناس إلا بما أفهمه حتى أجد جوابه، فإذا خلوتُ فقل ما شئت، فإني أسألك عما لا اعلم، وإنه يقبح بالسلطان ان يسمع مالا يدري»[43].

و. غموض الفصيح مما هو غير فصيح

وحتى الآن لم تظهر لنا بعد مقاييس ما هو فصيح مما هو غير فصيح لأسباب عدة:

1. ما ذكر من تراكيب إفرادية أو تركيبية غير مقنع لنا ولا لمن يقيض له أن يطلع على هذا العمل.

2. كان من الممكن تناول الموضوع الذي نحن بصدده وعلاجه بطرق أخرى غير المنهج الذي عالجناه به.

3. الإشكالية لم تحدد حتى الآن تحديدًا صارمًا بشأن المسمى فصيحًا وما يقابله من غير فصيح.

4. عادة ما يقابل الفصيح ويعرّف أكثر بكل ما هو رسمي، بينما يطلق العامي على كل ما هو شعبي.

5. تضارب العربية وقواعدها من الداخل وفي معظم مستوياتها، بما في ذلك القلة والكثرة والاطراد والشذوذ والقياس ونحو ذلك، فبينما يجمع العلماء على أن اللغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن، ولا خلاف في ذلك، ولكن القرآن نفسه وردت فيه نبذٌ من الأمثلة الشاذة قياسًا، المطردة استعمالاً كقوله تعالى: «ولا يحْزُنْك»، فذكرُوا أن يَحْزُنُه من الرباعي وليس من الثلاثي، وهذا في نظرهم شاذ.[44]

6. لم يحسن علماء التعقيد اللغوي التعامل مع العناصر اللسانية، حيث كان تعاملهم يرتكز على الأعلى والأدنى، مع ان أحد المستويين لا يستطيع أن يقوم مقام الآخر، لأننا لا نستطيع أن نتواصل بمستويين أو مستويات في الان ذاته، فنحن إما أن نقول:

. أقائم أخواك أم قاعدان؟

وإما أن نقول:

. أقائم أخواك أم قاعدهما؟

والمعيارية التي توجب التركيب الثاني لا تستطيع أن تحل مشكل التركيب الأول:

ومثل ما تقدم ما يقوى قياسًا ويضعف استعمالاً، كاستعمال عسى مفعولاً صريحًا لا مصدرًا مؤولاً:

عسىالغوير أبؤسًا.

وقريب مما مضى نصب المسند إليه والمسند معًـا بالحروف المشبهة بالفعل[45].

إذا اسود جنح الليل فلتأت ولتكن خطاك خفافًا إن حراسنا أسدا

وفي الحديث: «إن قعر جهنم سبعين خريفًا» وذكر الخليل «أن ناسًا من العرب يقولون: إن بك زيد مأخوذ، مؤولاً هذا التركيب على بنية عميقة هي: إنه بك زيد مأخوذ، ووردت في أشعار العرب تراكيب أخرى كثيرة، أبطل فيها وظيفة «إن» كعنصر نحوي، ولا سيما إحدى أخواتها، وهي كأن، حيث أبقى فيها على وظيفتها الثانية، وهو التشبيه، وألغي عملها النحوي ،... من ذلك قولهم:

ووجه مشرق النحـر كأن ثدياه حقان»[46].

ومثل إن وأن وكأن سائر الحروف الباقية كقول العجاج

يا ليت أيام الصبار رواجعا

بل من هذه الحروف ما يجر، مثل: «لعل أبي المغوار منك قريب»، ومنها ما يرفع المسند إليه، «إن هذان لساحران».[47]

7. لم يأخذ اللسانيون العرب القدماء كل العناصر اللسانية على قدم المساواة، بل قعّدوا لما شاؤوا، وردوا على العرب ما شاؤوا، فحل النحاة المتحرون المتشددون محل النصوص المتحركة التي لم يألوا جهدا في تحويلها إلى مدونات ثابتة، فذهب من العربية ثروة لم تعوض حتى الآن،

وما بقي منها غير مهيأ، حتى الحين لا تجرؤ هيئاتنا ومجامعنا والقائمون على شؤون البرمجة والتعليم في الوطن العربي قاطبة على إدماجه في كتب التعليم لأطفالنا، ولا يجد كتابنا بالعربية، إن فقهوه، جرأة على توظيف عنصر من العناصر اللسانية المهجورة، ولو فعل ذلك لرمي بزندقة لسانية.

8. سواء أحببنا أم كرهنا فهناك قواعد أسيرة داخل اللغة العربية، موازية لما هو شائع بيننا من قواعد، ولا تزال تنتظر الانعتاق من أسرها، لتستعمل مثلما كان أصحابها الأصليون، يستعملونها ويتواصلون بها.

ز. لغات العامة

وعلاوة على اهتمام القدماء بقضايا اللغة العربية من بنياتها المختلفة، فإنهم نهضوا بمتابعة ومراقبة ما تلحن فيه العامة، بعد ما شاكسوا الخواص منذ العقود الأولى من تأسيس القواعد، وسرد الأمثلة في هذا الميدان يطول، ولكنه باب مشهور لدى علماء اللغة والباحثين، ولكن العزوف على ذكر مناظرات ومشادات بين مستعملين ولغويين لا يمنعنا من أن نشير إلى أن ما ألف في حقل ما تلحن فيه العامة، ومنها:

1. ما يلحن فيه العامة لثعلب (291هـ).
2. الفاخر فيما يلحن فيه العامة للمفضل بن سلمة (300هـ).
3. ما تلحن فيه العامة لأبي الهيذام العقيلي.
4. ما تلحن فيه العامة لأبي عبيدة (210هـ).
5. ما يلحن فيه العامة لأحمد بن حاتم (231هـ).
6. ما يلحن فيه العامة للمازني (236هـ).
7. ما يلحن فيه العامة لأبي حاتم السجستاني (255هـ)

إلى غير ذلك من الرسائل التي لا مست الموضوع قربًا أو بعدًا، ولكنها لا تخلو كلها من دلالات تدور حول الطروحات المثارة هنا.

ويجب أن ننوّه ببعض العلماء الذين رزقوا علمًا واسعًا في العربية وعلومها ودقائق أبعادها وغور أسرارها أنهم كانوا يتسامحون مع المتكلمين والمستعملين لأشكال لغوية منسوجة على طراز قواعد لم تصلنا، أو من اجتهاد المتكلم في ظل سعة العربية ودرجات فصاحتها وحقيقتها ومجازها، ومن هؤلاء العلماء أبو عمر، وبن العلاء الذي كان أوسع علمًا بكلام العرب ولغاتها وغريبها، حيث كان يسلِّم للعرب ولا ينتقدهم، وكان ممن تعاطف مع الفرزدق في بعض تراكيبه الشعرية المشهورة التي ردها عليه بعض اللغويين، وخاصة عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي[48].

ويظهر أن أبا عمرو كان من القدماء الأوائل الذين أدركوا ما في العربية من لغات، أو مستويات تداخل لغة واحدة، لأن أحدًا لما سأله: «أخبرني عما وضعت مما سميته عربية، أيدخل فيها كلام العرب كله؟ فقال: لا، فقلت: كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب، وهم حجة؟ قال: أعمل على الأكثر، واسمي ما خالفني لغات»[49].

والسؤال نفسه وجه إلى عيسى بن عمر (149هـ)[50].

. خبِّرني عن هذا الذي وَضعت، أيدخل فيه كلام العرب كله؟

. فقال عيسى: لا

ـ فقال السائل: فمن تكلم بخلافك، واحتذى على ما كانت العرب تتكلم به أتراه مخطئًا؟

. قال عيسى : لا

. فقال سائله: فما ينفع كتابك؟

ومن الكتب المؤلفة في اللغات:

1. كتاب اللغات ليونس بن حبيب (183هـ).
2. كتاب اللغات لأبي عبيدة (210هـ).
3. كتاب اللغات للفراء (207هـ).
4. كتب أخرى في اللغات لكل من أبي زيد (215هـ) والأصمعي وأبي عمرو الشيباني (206هـ).

ح. المستويات اللغوية في نظرنا

ومن المصنفات التي ألفت فسميت بـ «كتاب لغات القرآن» كتب كثيرة،... وهذا يدل بقوة على الإدراك المبكر من العلماء العرب لمستويات اللغة في العربية، والتي يمكن أن تجمل حسب المستويات التالية:

1. العربية الفصحى.
2. العربية الفصيحة.
3. العربية الأكثر شيوعًا حتى وإن كانت قليلة.
4. العربية الأقل استعمالا لقدمها أو غرابتها أو عزوف الناس عنها أو رفضها من اللغويين.
5. اللغة المهجورة المسماة باللغات المذمومة مثلا:
6. اللغة المولدة من العربية مباشرة، أو المغيرة من المولدين نطقا وتحقيقا أو دلالة، ومما هو معرب ومترجم ومنحوت.
7. لغة العامة غير المعربة كليًا او الملحونة جزئيًا.

8. اللغة السفلى: لغة الصنائع والمهن والسوق والشارع والجند،...

ط. خلاصة تحليلية في التجربة العربية القديمة

والخلاصة ان التجارب العربية القديمة كانت ذات أبعاد علمية ودينية وقومية، تشبه إلى حد ما أسباب وضع القواعد، لكنها كانت أعم وأوسع وأكثر تحديًا لما واجههم من احتكاكات لغوية مفروضة بقوة الفعل من الخارج، وهم وإن لم يغلقوا أبواب العربية أمام الزحف الحضاري والشعبي وكل ما من شانه أن يعبر عن المدنية العربية الجديدة، فإنهم في المقابل لم يتهاونوا ولا تقاعسوا فرادى وهيئات ومسؤولين في تشجيع العاملين عليها، لما تتمتع به من حرمة تاريخية وقدسية روحية مرتبطة بكتاب الله عز وجل، هذا الكتاب الذي لا تدرك أوامره ونواهيه، ومحظوراته ومباحاته، وما فيه من صور حقيقية ومجازية والتفاتات بعيدة، إلا بهذه اللغة الفصيحة.

ومما يمكن تلخيصه من هذه التجارب علاوة على ما ذكر آنفًا:

1. صيانة الفصحى من العامية ودخول الدخيل فيها، حتى وإن كانت هذه الصيانة لم تفلح فلاحًا شاملاً وبشكل دائم، بل ظلت العامية تكسب المواقع تلو المواقع، وأصبح الإقبال عليها يعظم من العامة والخاصة سواء بسواء؛ في الأسواق، والشوارع والتعاملات الإدارية الرسمية الشفوية، والعلاقات الاجتماعية والتجارية والمهنية، وداخل الدواوين والقضاء والشرطة والجيش، ومجالس السمر للأمراء والقادة والملوك.

2. صدم القدماء أمام واقع لساني شعبي جارف، الأمر الذي قادهم إلى العمل الجدي لإخضاع مائات من الكلمات الدخيلة لقوانين اللغة العربية

وخصائصها الصوتية، مما جعل العربية تثرى بمداليل جديدة، كانت في أمس الحاجة إليها:

3. ظل معظم علماء اللسان العربي القدماء لا يعترفون إلا ضمنيًا بالمستويات اللغوية، على الرغم من نباهة نوابغ منهم وتنبيههم على ذلك، وعلى الرغم من ان العربية في حد ذاتها مزيج من اللهجات القبلية التي نتج عنها لغة مشتركة يتعاطاها كل العرب، إلا ما قل وندر من خصوصيات لهجية محلية لم تشع شيوعا عامًا، وربما اشتهر عنصر منها وعم العرب جميعا.

4. لم يهتد العرب القدماء إلى تأسيس علم اللهجات مستقلاً يدرس المستويات اللغوية ويضبطها ويقننها، فبقيت دراستهم الجليلة تتسم بالأحادية، ولعلهم عزفوا عن ذلك حفاظًا على الوحدة اللغوية، ظنًا منهم أن مادة مثل علم اللهجات لا تزيد الطين إلا بلة، مع انهم كانوا يوظفونه ضمنيا دون أن يصرحوا به.

5. خلفوا لنا منجزات علمية في تفصيح العربية ومحاربة العامية، تتمثل في عناوين تحمل مصطلحات عديدة.

وحسبنا تأكدًا من الجهود العربية القديمة لبيان الروابط والصلات الوثيقة بين فصحانا وعامياتنا في مشارق الوطن العربي ومغاربه، أن نسرد هنا جانبا حيًا للدلالة على مدى فزع علماء اللسان العربي القدماء ومن لحق بهم على مدى قرون متتالية متبادلين المشعل نفسه:

1. لحن العامة للكسائي (189هـ).
2. إصلاح المنطق لابن السكيت. (216هـ).

3. أدب الكاتب لابن قتيبة: (276هـ).

4. الفصيح لثعلب (291هـ).

5. لحن العامة للزبيدي (379هـ).

6. ثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكي الصقلي (501هـ).

7. درة الغواص في أوهام الخواص للحريري (516هـ).

8. التكملة فيما يلحن العامة للجواليقي (516هـ).

والأمثلة كثيرة، بحيث كل عمل أنجز في هذا الموضوع الذي يعد في نظرنا أمرًا طبيعيًا بالنسبة للغةٍ كالعربية انتشرت انتشارًا شفهيًا إلا وتصدى للتكلمات التي كانت تؤدي بأداءات منحرفة عما كان يعتقده أولئك العلماء، خرقًا لغويًا في اللغة المعتادة، وظل العلماء لا يكادون يجرؤون على الطعن فيما قد يقع بعضهم في لحن أو خرق لغوي، ويظهر أن الحريري ممن كانت له الجرأة في مواجهة ما أسماه بأوهام الخواص، بدل مصطلح العامة الذي لم يكن يراد به جوهرًا إلا ما ولَّده الجيل الجديد ممن لهم رصيد مرموق من الثقافة اللغوية والدينية والعلمية.

3. التجارب العربية الحديثة في العامي والفصيح

وأما التجارب العربية الحديثة في تفصيح العامية فهي تجارب فردية وخواطر شخصية، فليست هناك دراسة علمية موضوعية ولا أكاديمية لهذا الموضوع، عبر هيئات رسمية أو علمية في مراكز البحث والجامعات العربية، ولربما أضحت العامية وآدابها والفنون الشعبية المتصلة بها زادًا للارتزاق ونيل شهادات، إذ الأبحاث التي تعالج باسم العامية في جامعاتنا

أبحاث لا تسلط الضوء على العامية نفسها، بل تكتفي بتناول عنصر أو جزء منها، تناولا بعيدًا عن أهل الميدان والاختصاص.

إن عاميتنا هبة لسانية طبيعية مجانية، وتوظيفها اليومي في شتى المجالات والتعاملات توظيف يفوق توظيف الفصحى بشيء كثير، ودون عناء ولا بذل دينار واحد من أجلها، خلافًا لفصحانا التي توفر لها كل دولة عربية إمكانات مادية وبشرية هائلة، إلى جانب هياكل استقبال من مدارس وجامعات ومراكز، وإقامة مجامع أكاديمية ومجالس عليا ،... كل هذا من أجل تعليمها وإثرائها وترقيتها، ومحاولة تعميم استعمالها، وفي كل مرة نجد أنفسنا ندور في حلقات مفرغة، وكل ما ينجز فيها يبقى نظريًا.

إن عاميتنا ظاهرة من ظواهر التواصل اللغوي التي صمدت صمودًا شعبيًا وقوميًا، يدعونا إلى أخذ العبرة، ويلفت نظرنا إلى التفكير في إعادة النظر في هذا الموروث اللساني الأصيل، الذي ليس كل ما فيه نحسًا وشرًا بالنسبة للرؤية العربية الأحادية إيديولوجياً، لأنه موروث يكتنز في أحشائه ذخائر لغوية فصيحة وتاريخية مهمة، ولذلك كان المحتل غبيًا حين تصدى إلى مقاومة الفصحى، وهي لغة مفبركة، أو اصطناعية بالنسبة إلينا، وسها عن العامية، وهي لغة طبيعية وجبلة فينا.

وأول إشكال يطرح؛ يتعلق بهذا المستوى الشعبي العريض من التبليغ، أي حول تحديد هويته والاعتراف به أو رفضه لأنه مستوى يعمل على زيادة الطين بلة بالنسبة للهوية الوطنية الواحدة.

ب. تشبيه مآل الفصحى بمآل اللاتينية

إن الذين يدعون إلى التخلي عن الفصحى والتحول إلى العامية، يستندون في دعوتهم إلى تشبيه العربية باللاتينية قائلين: «إن حالة العربية الفصحى الآن، لا تختلف عن حالة اللاتينية الكلاسيكية قديمًا، فمصيرها سيكون شبيها بمصير اللغة المذكورة حتمًا»[51]. والتي ولَّدت لغات أوروبية عامية، ما لبثت بعد قرون أن تحولت إلى لغات علم وأدب، بينما اللاتينية الأصلية قد أَمَّحَتْ واندثرت، بعد ان كانت لغة العلم والأدب في معظم بلاد الغرب.

وفات هذا الرأي أن اللغة العربية موروث لساني بدوي، ولم يكن تكلمها حكرًا على طبقة اجتماعية راقية دون طبقات أدنى من ذلك، على عكس اللاتينية التي انتشرت شفاهيا، كان لا يتكلمها إلا الطبقات الأرستوقراطية، ولا يحسنها إلا النخب الممتازة من القوم، وكان حالها بمثابة حال فصحانا اليوم، «ومن الطبيعي أن اللاتينية الكلاسيكية بقيت . خلال هذا الانتشار . كما هي: بمفرداتها وقواعدها الصرفية والنحوية المدونة في الكتب، ولكن اللاتينية العامية لم تسلم من التغير والتحول، لأنها كانت تنتقل وتنتشر عن طريق المشافهة وحدها، فكان من الطبيعي أن تتأثر . خلال هذا الانتشار . من خصائص اللغات المحلية القديمة، ولا سيما من أساليبها الصوتية»[52].

ج. تعريف العامية

ويعرف الدكتور حسين نصار اللغة العامية، وهو يقدم «معجم تيمورالكبير في الألفاظ العامية بأنها: «اللغة التي نتخاطب بها في كل يوم، عما يعرف لنا من شؤون حياتنا مهما اختلفت أقدارنا ومنازلنا: لسان المتعلمين منا وغير المتعلمين، على اختلاف فئاتهم وحرفهم، والمثقفين وغير المثقفين ،... يتقارب المتحدثون بهذه «اللغة العامية» على «اختلاف

أقدارهم ومنازلهم» فيتم التفاهم في يسر وسرعة في أكثر الأحيان ويتباعدون بسبب هذا الاختلاف حتى يتعذر التفاهم»[53] على الرغم من أن المتحاورين قد يكونون من بلد واحد.

د. الصلة بين العامية والفصحى في عملية الاستعمال

«الصلة بين العاميات العربية والفصحى لا يشك فيها أحد، ولكن هذه الصلة قد تتفاوت قربًا أو بعدًا، لأن هناك عاميات من جهة، ولغات فصيحة من جهة أخرى، فلما يتفق او يختلف العامة يتفق أو يختلف الخاصة، والفرق بينهما أن مجال اللغات الفصيحة مجال محدد، خلافًا للعامية التي مجالها مفتوح وصعب؛ بل مستحيل تحديده بالسياسات اللغوية العربية الراهنة[54].

ولعل منهجية القدماء في التعامل مع هذه الإشكالية متباينة مع منهجية المحدثين، لأن حرب القدماء كانت متوجهة ضد خرق كل ما هو رسمي في لغة الدواوين، والرسائل، ولغات الآداب والشعر، في حين أن منهجية المحدثين صارت توجه سهامها إلى لغة الحديث الجارية على لسان العامة، التي تمثل أدنى الطبقات الثقافية من المجتمع، لتليها لغة الإعلام والصحافة.

ومن المؤلفين المحدثين من لم يرد حرب العامية ولا تفصيحها، « بل اعترف بها حفيدة شرعية للعربية الفصيحة من بناتها المتعددات التي كانت لقبائل تتحدّث بها»[55]، في حين اعترف البعض الآخر بها كلغة مكتملة، وعالجها علاج اللغات ذات الكيان المستقل بنفسه، مستدلين بذلك على ما لهذه العامية من انتاجات أدبية وفنية ملحونة، اهتم بها القدماء قبل المحدثين دراسة وتدوينا، مثلما نجد لدى صفي الدين الحلي في كتابه «العاطل

الحالي»، وعند ابن حجة الحموي في كتابه «بلوغ الأمل»، ولدى الأبشهي في «المستطرف في كل فن مستظرف».

وممن استخدم العامية في أجناس أدبية وفنية شتى عبد الله النديم (1896م)، الكاتب المصري دون ان يدعو إليها أو يتعصب على الفصحى، ففي نظر هذا الكاتب أن العامية «ليست منمقة بمجاز واستعارات ولا مزخرفة بتورية واستخدام ،... ولكنها أحاديث تعودنا عليها، ولغة ألفنا المسامرة بها، لا تلجئك إلى قاموس الفيروز أبادي، ولا تلزمك مراجعة التاريخ، ولا نظر الجغرافيا، ولا تضطرك لترجمان يعبر لك عن موضوعها، ولا لشيخ يفسر لك معانيها..»[56].

وإذا كنا مقتنعين مبدئيًا بأن للغة الشفوية تقليدًا عن اللغة الخطية وثابتًا على نحو آخر، حسب تعبير دي سوسور[57]، فإننا كنا قد أشرنا إلى أن اللغة الشفهية الممثلة في عاميتنا غالبا بنية لسانية ما قبلية، بينما الخطية المتمثلة دائمًا في فصحانا بنية لسانية ما بعدية، وكل ما في الأمر أن اللغة «الخطية تنتهي فور انتهاء المراسلة أو الخطاب المراد رصده، من أجل توصيله للآخر، بينما تظل الشفوية على حالها»[58]، ولذا فإن نص عبد الله النديم السابق نص غير مقبول عندنا، من حيث بعده اللساني العام، فللعاميات قواعدها وبلاغتها وأساليبها وإبداعاتها، وهي ليست أكثر مرونة ولا سهولة من الفصحى، بل هي أعقد وأعوص منها، ويتجلى ذلك من خلال الصعوبة التي يجدها عراقي في تعلم عامية جزائري، والعكس صحيح بالنسبة للجزائري، والسهولة التي أشار إليها عبد الله النديم تأتي من كون

عامية كل واحد منا جبلة وطبعًا قائمين في نفوسنا، وهي فوق ذلك ملكة لسانية اجتماعية[59].

هـ. دعوة إلى تبني العامية

ومن الأجانب الذين دعوا إلى ترك الفصحى، وتبني العامية التي يفهمها الشعب كله، الألماني «ولهلم سبيتا» الذي كان يشغل مديرًا لدار الكتب المصرية، مؤلفًا كتابه «قواعد العربية العامية في مصر»، مشبهًا العربية الفصحى باللغة اللاتينية، متنبئًا بالموت والفناء لها، متهمًا إياها بالصعوبة والجمود، وشتى الاتهامات الهشة الأخرى التي تدحضها وقائع تاريخية وحضارية ولسانية دحضًا لا يقبل مجالاً للنقاش[60].

وكان الإنجليزي وليم ولكوكس ممن حذا حذو الألماني ولهلم سبيتا، حيث دعا الناس إلى نبذ الفصحى واعتناق العامية كأداة للكتابة والتأليف، ذاهبًا إلى ان عدم وجود قوة اختراع علمي لدى المصريين يرجع إلى تبني الناس لهذه الفصحى.

ومن العرب من ذهب مذهبًا أكثر غرابة وشراسة في الهجوم على الفصحى والازدراء بتراثها من هؤلاء أمين شميل الذي سخر من العربية وقواعدها: «فكانت الوطنية قولهم ضرب زيدا عمرًا، واشتعل الرأس شيبًا»[61]

و. دعوة إلى تكسير الفصحى

بينما اقترح سلامة موسى منهجًا لتيسير الفصحى لا يقبله متكلم، لأنه منهج يكسر ما هو فصيح، بدل أن يفصح ما هو عامي، ويزيل ما هو كائن، عوض أن يبدع وييسر أو يثري العربية بما تحتاجه فعلاً من تعابير جديدة، واصطلاحات علمية وتقنولوجية عصرية، إذ كيف يقبل متكلم.[62]

1. إلغاء الألف والنون من المثنى.
2. حذف الواو والنون من جمع المذكر السالم.
3. إلغاء التصغير.
4. إلغاء جمع التكسير كله، والاكتفاء بالألف والتاء لغير المذكر السالم.
5. إلغاء الإعراب والاكتفاء بتسكين أواخر الكلمات.

في حين أن حسن الشريف اقترح:

1. حذف موانع الصرف
2. جعل العدد من جنس المعدود.
3. إلتزام المنادى والمستثنى حالة واحدة من الحالات، بحيث يكون منصوبًا دائمًا او مرفوعًا دائمًا[63].

ز. تقاطع العامية بلغات أخرى

وهكذا نرى ان هذه الدعوات المنحرفة التي لا تخلو من تأثيرات خارجية وشبة داخلية باءت كلها بالفشل الذريع، وكنا تمنينا لو كانت دعوات بريئة، تنادي بتيسير الفصحى وتفصيح العامية وخلق لغة وسطى يتفاهم ويتواصل بها كل الطبقات، ذات المستويات الثقافية المتباينة، لأن غير واحد من الباحثين الأكاديميين لاحظ أنه بقدر ما يوجد من بعد مستمر بين فصحانا وعاميتنا، فإن هذه الأخيرة لها من المؤهلات التي تتيح لها أن تتجاوب بيسر ومرونة مع لغات أصلية لها، أو أجنبية متعايشة معها، بفعل عوامل

خارجية، فتعطيها وتأخذ منها، من ذلك أن العامية العراقية أخذت غير قليل من الألفاظ الفارسية والتركية، والعامية السورية افترضت كلمات من اللغة السريانية، والعلمية والمصرية دخلها ألفاظ تركية وإيطالية، فضلاً عن كلمات قبطية محلية، ونحن نعلم ان العامية الجزائرية غزتها كميات من المفاهيم التركية والإسبانية والفرنسية والإيطالية فضلاً عن كلمات من اللغة الأمازيغية القديمة.

ح. إنجازات علمية في تأصيل العامية: وصف ومنهج

ومن الجهود الميدانية التي اضطلع بها المحدثون في التقريب بين الفصحى والعامية، وخاصة في مصر تلك المؤلفات والمعاجم التي أنجزوها، ومنها:

1. لف القماط على تصحيح بعض ما استعمله العامة من العربي الدخيل والمولد والأغلاط، لصاحبه صديق بن حسن خان القنوجي، وألفه عام 1878.
2. الدليل إلى مرادف العامي والدخيل لرشيد عطية طبع عام 1898.
3. معجم عطية في العامية والدخيل طبع عام 1944.
4. أصول الكلمات العامية لحسن توفيق عام 1899.
5. الحكم في أصول الكلمات العامية، د. احمد عيسى.
6. معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية المشار إليه.
7. القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغة العرب لمحمد بن أبي السرور البكري.
8. التحفة الوفائية في اللغة العامية المصرية للسيد وفا محمد القوني.

9. معجم الألفاظ الحديثة لمحمد دياب.
10. قاموس العوام لحليم دموس طبع عام 1923.
11. تهذيب العامي والمحرف لحسن علي البدراوي طبع 1912.
12. تهذيب الألفاظ العامية لمحمد علي الدسوقي طبع 1913.
13. المحرف والعامي لحليم فهمي طبع عام 1923.

وممن وصف مضمون وهدف ومنهج هذه المؤلفات التي كُتِبَت بالعامية وعلاقتها بالفصحى الدكتور حسين نصار: «وابتدأت الكتب المؤلفة في العامية برسائل موجزة، تكتفي بإيراد اللفظ الخاطئ وتصويبه مع شاهد من القرآن أو الشعر، ولكنها أخذت في الطول شيئا فشيئًا حتى ارتمت في أحضان الأخبار والأشعار والأحاديث والتعليقات النحوية والصرفية والاستطرادات في القرنين الخامس والسادس تميل إلى نظام المتون تارة وإلى نظام الأخبار الأدبية والاستطرادية أخرى، وتتوسط بين ذلك ثالثة، حتى غلب عليها الإيجاز والتوسط في العصر الحديث»[64]. مردفًا القول بأن الكتب الأولى من العاميات لم تكن تلتفت إلى ما فيها من دخيل، ولكن سرعان ما تداركت الأمر، مثلما نجد ذلك لدى ابن قتيبة في أدب الكاتب، ليظهر الاهتمام نفسه ثانية في القرن التاسع عشر، بعد تقاطع الثقافة العربية بالثقافة الغربية الحديثة التي شهدت تطورًا مذهلاً قياسًا بثقافتنا العربية الضحلة في جميع مستوياتها.

والواقع أن وصف الدكتور حسين نصار لمنهجية بعض الأعمال التي عنيت بتهذيب العامية وتفصيحها ومحاولة رد كل كلمة منها إلى أصلها يصدق كل الصدق على بعض المحاولات المحتشمة من هذا القبيل، والتي

ظهرت عندنا في الجزائر على شكل مقالات أو كتيبات، فهي أعمال على الرغم من قيمتها التثقيفية اللسانية العامة في اللغة العربية وآدابها وتراثها، تظل بعيدة عن الطابع العلمي الأكاديمي، لأنها أعمال تغلب عليها الانطباعية، وتسودها الإنشائية، وتغمرها روح علمية استعراضية استطرادية، أو قل هي مطبوعة بطابع البحث العلمي الانفعالي المراهق، في المجال اللغوي الذي غدا منذ زهاء قرنين مجالاً قائمًا بذاته، ومنذ قرن نبذ كل ما هو خارجي غريب عن حقله.

وبالنسبة للأستاذ تيمور في معجمه وهو يتحدث عن الكلمات العامية، أن أصول العامية ثلاثة أقسام.[65]

1. قسم عربي الأصل، وهو الغالب.
2. قسم دخيل من لغات شتى.
3. قسم عامي محض لا أصل له، أو غاب عنا أصله.

فالعربي الأصلي ما أبقي على أصله وحوفظ على استعماله في مدلوله الذي وضع له، ومنه ما حرّف صوتيًا في حركاته، ومنه ما أبقي على أصله، ولكنه عاد مستعملاً في غير معناه، وأما الدخيل فكل ما دخل العربية من ألفاظ أجنبية، بينما العامي المحض هو ما ارتجلته العامة، أو لم تستطع إدراك أصله.

وتعرض المعجم في عمله إلى:[66]

1. الحروف وإبدالاتها الصوتية المشهورة.
2. النطق الحركي القصير.
3. الأسماء.

4. الاشتقاق.
5. النحت.
6. أبواب نحوية وصرفية شتى.
7. أبواب بلاغية.
8. أنواع الشعر كالفنون السبعة (الدوبيت، الزجل، القوما، كان وكان، المواليا ،...)

ومنذ إنشاء المجمع اللغوي العربي بمصر بدأ يلتفت إلى هذه الإشكالية عملاً وإفتاء، وتصدى رئيسه (محمد توفيق البكري) إلى وضع عشر كلمات.[67]

1. مرحى كلمة براقو Bravo.
2. برحى عكس مرحى.
3. مسرة (لم تشكل) للتلفون.
4. عم صباحا لبونجور Bonjour.
5. عم صباحًا لبنوسوار Bonsoir.
6. بهو للصالون Salon.
7. قفاز للجوانتي.
8. نمرة لنمرو Numéro.
9. وشاح للكوردون Cordon.
10. مدرة للافوكاتو Avogat.

وأول ملاحظة أن هذه الكلمات التي وضعها المجمع ترجمة، وليست تهذيبًا لكلمات غربية عامية، والملاحظة نفسها تكاد تنطبق على الكلمات العشر التي وضعها أمين سر المجتمع (محمد بيرم).

ومما يدعو إلى الأسف؛ أن هذه الكلمات العشرين التي وضعها المجمع أثارت جدالاً ونقاشًا بين عدة شخصيات علمية وثقافية فاعلة، فالأستاذ جرجي زيدان أقر ثماني كلمات مما وضعه البكري، ورفض كلمتيْ (مدرة للأفوكاتو ونمرة لنمرو)، وناقشها كذلك عبد الله النديم، لكن النقاش احتدم بينه وبين زيدان؛ أي حول الكلمتين اللتين رفضهما هذا الأخير[68].

ط. ارتياح جماعة للكتابة بالعامية

والغريب ان عبد الله النديم حين طالع قراءه برغبته في الإقلاع عن الكتابة بالعامية ثارت ثائرة جمع منهم، بمن فيهم أدباء مصر وعلماؤها، مبينين له حجج اعتراضهم على إغلاقه باب الكتابة بالعامية، وهذه الحجج ملخصها:

1. إغلاق باب العامية سيحرم كثيرًا من قرائه.

2. إن العامية قد وجدت بجانب الفصحى منذ القرن الأول الهجري، ومع توالي القرون لم تشكل أي خطر على الفصحى الأصلية.

3. إن اختلاف عبارة العامة عن عبارة العلماء والأدباء والكتاب أمر جار في كل أمة لها لغة مستقلة، بما في ذلك أوروبا التي يوجد بها جرائد تكتب بالعامية.

4. أن المدرسين يعبرون أحيانا عن القواعد النحوية والصرفية بعبارات عامية، لتقريبها إلى الأفهم وأذهان التلاميذ.

5. أن المواليا والزجل والقوما من فنون الشعر لا تكتب ولا تقرأ إلا إذا كانت ملونة ومكسرة.

6. أن كثيرًا من العلماء كتبوا في علوم عقلية ونقلية بالزجل تسهيلاً للعامة.

7. أن الضرر الذي يخشى منه على لغتنا الفصحى لا يتأتى إلا من طريق نقل العلوم والتعلم في المدارس ومجامع العلماء باللغة العامية.

ي. كيف تذهب العامية؟

وإذا كان لهذه الدعوة ما يبررها في القرن التاسع عشر؛ حيث لم يكن التعليم متاحًا للمجتمع العربي كله، فإنه لم يعد لها في القرن العشرين، وخاصة مع بداية هذه الألفية الثالثة ما يبررها إطلاقًا، فالأمور تغيرت تغيرًا جذريًا منذ عصر النديم إلى عصرنا، وكل ما يمكن عمله هو النظر إلى لغتنا الفصحى على أنها مستويات، كنا أشرنا إليها آنفا، وأن نعمل بدون هوادة عملاً مزدوجًا، وفي الآن ذاته:

1. تثقيف المجتمع فرادى وجماعات، بتوفير شروط المقروئية ونشر التعليم.

2. الاستمرار على خطى علمائنا القدماء والمحدثين في تهذيب العامية وتقريبها من الفصحى، من أجل خلق لغة وسطى، تفهمها وتتواصل بها طبقات العامة والخاصة من المجتمع، وهذه اللغة الوسطى تعني استعمال مستوى ميسر مزيج من الفصحى والأصلية، ومما هذب وفصح من الكلمات العامية القريبة من أمها الفصحى، التي بعدت أو انحرفت عنها لظروف قاهرة لم تكن ترغب فيها إراديا أيما رغبة.

ويمكن تسجيل عينات من تجارب العرب المحدثين في تفصيح العامية والاشتغال فيها فيما يلي:

I. انصب اهتمام الهيئات والمجامع على ترقية الفصحى، واتبعوا خطوات القدماء.

أ. التعريب

ب. الترجمة

ج. المولد عن:

1. طريق التحول المعنوي الذاتي للكلمة.

2. طريق الوضع اللفظي.

3. طريق الوضع المجازي.

4. طريق الاشتقاق الاسمي، ومنه النحت.

II. هناك التفاتات وجهود فردية نهض بها أعضاء مجمعيون في المشرق العربي، ولكن تلك الالتفاتات بقيت جهودًا ضيقة محلية وبوادر شخصية.

III. ظل الناس إلا من ندر ينظرون إلى العامية نظرة لا تختلف عن رؤية القدماء.

IV. ليس للعرب حتى الآن في جامعاتها وهيئاتها ومراكز بحثها حقل خاص بعلم اللهجات، أسوة بما وجد لدى الغربيين منذ مائة وعشرين سنة على الأقل.

V. لم ندرك حتى الآن بأن عاميتنا هي التي تمثل ذخيرة الفصحى، وهي التي حافظت عليها في أحلك ظروفها وليس العكس، باعتبار أن كل الدعوات الاستشراقية والتغريبية الهدامة كانت ضد الفصحى، ولم تكن ضد

لغة الشعب الطبيعية، التي لا يمكن لقوة أن تتحكم في رقاب جملة واحدة منها.

VI. عمل مثل هذا يجب ان يكون جماعيا وحقليا:

أ. لهجات.

ب. آداب وفنون قول شعبية.

ج. خطابات مهنية وصناعية وزراعية.

د. تواصلات ريفية وحضرية.

هـ. كل شكل من أشكال التعبير اللساني الشفهي من هنا وهناك.

دليل البحث من إحالات ومراجع :

1. لسان العرب، م:544/2 لابن منظور، ط:1990/1

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

2. راجع هذه الأفكار في فقه اللغة، ص:29. 31 لابن فارس، تحقيق : د. مصطفى الشويمي، ط: 1963 مؤسسة بدران، بيروت.

3. الإيضاح في علل النحو، ص:92 الزجاجي.

4. علم اللهجات اللغوي والأدبي عند العرب، ص:6 عبد الجليل مرتاض (الكتاب قيد الطبع).

5. راجع المصباح المنير، ص:400، الفيومي، المكتبة العلمية بيروت.

6. أعني بهذا العمل «علم اللهجات اللغوي والأدبي عند العرب»

7. الكامل: 2/ ص:223 المبرد، تحقيق أبو الفضل وشحاتة، نهضة مصر، القاهرة.

8. فقه اللغة لابن فارس، ص:57.

9. نفسه، ص:57 . 58.

10. نفسه، ص:58.

11. انظر المرجع السابق، ص:57.

12. مدخل إلى اللسانيات، ص:37. رونالد إيلوار، ترجمة، د.بدر الدين القاسم، ط:1980 جامعة دمشق.

13. فقه اللغة لابن فارس، ص:52.

14. نفسه، ص:40.

15. هذه التراكيب التالية (ستة عشر تركيبا) في فقه اللغة لابن فارس ص:5048.

16. راجع المزهر 1/ص:185 الشبوطي، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

17. السابق، ص:187.

18. السابق، ص:.191

19. نفسه، ص:195.

20. انظر المصباح المنير، ص:23 وغيره من مراجع اللغة مثل مراتب النحويين، ص:92.

21. طبقات النحويين واللغويين ص: 172 للزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر.

22. نفسه، ص:172.

23. المظهر1/ص:211. 212.

24. راجع المصدر السابق، ص:212.

25. مراتب النحويين، ص:155 أبو الطيب اللغوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي.

26. نفسه، ص:156.

27. نفسه، ص: 156 .157.

28. الفهرست، ص:90 لابن النديم، تحقيق رضا تجدد، ط:1971 مطبعة طهران.

29. نفسه، ص:88.

30. نفسه، ص:83.

31. انظر مراتب النحويين، ص:156 .157.

32. نفسه، ص:156 .157.

33. نفسه، ص:157.

34. الإيضاح في علل النحو، ص:68. 69.

35. قر أ أبو عمر وبن العلاء ويعقوب « كله » رفعًا على الابتداء والباقون نصبًا على القاعدة الشائعة (التوكيد).

36. الإيضاح في علل النحو، ص:70.

37. نور القبس، ص: 94 للمرزباني من اختصار اليغموري وتحقيق رودلف زلهايم، ط:1964 نشر فرانتس شتاينر بقيسبادن.

38. الإيضاح في علل النحو: ص: 89.

39. اللغة والتواصل (اقترابات لسانية للتواصليين، الشفهي والكتابي) ص:108 عبد الجليل مرتاض . ط2000/1 دار هومة الجزائر.

40. طبقات النحويين واللغويين، ص:131.

41. السابق، ص:143.

42. أنظر مراتب النحويين، ص:73.

43. نور القبس، ص: 142.

44. انظر المزهر 1/ص: 230.

45. الموازنة بين اللهجات العربية الفصيحة(دراسة لسانية في المدونة والتركيب) ص: 199 عبد الجليل مرتاض. دار الغرب للنشر والتوزيع وهران الجزائر، ط:1/2002.

46. نفسه، ص:192.

47. راجع هذه القضايا النحوية في المرجع السابق، ص:192 . 198

48. انظر بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب ص: 128-125 عبد الجليل مرتاض، ط1/1988 دار الأشرف بيروت.

49. طبقات النحويين اللغويين، ص:39.

50. المصدر نفسه، ص:45.

51. مجلة المجمع العلمي العربي مجلد :32/ج2 ص:241 عام 1957

52. نفسه، ص:245.

53. معجم تيمور الكبير، ج5/1، أحمد تيمور، وتحقيق د. حسين نصار، ط1971 الهيئة المصرية العامة للكتاب.

54. نفسه، ص:6.

55. نفسه، ص:7.

56. عبد الله النديم بين الفصحى والعامية، ص:61 . 62. دة، نفوسة زكريا سعيد، ط :1966 الدار القومية للطباعة والنشر الاسكندرية.

57. محاضرات في الألسنية العامة، ص:40 ف، دي سوسور . ترجمة يوسف غازي ومجدي النصر، دار نعمان للثقافة بيروت.

58. اللغة والتواصل، ص:127.

59. راجع اللغة والتواصل، ص:124 . 127.

60. راجع عبد الله النديم بين الفصحى والعامية، ص:132 . 133

61. نفسه، ص: 152.

62. نفسه، ص: 153.

63. نفسه، ص: 153

64. معجم تيمور الكبير 9/1.

65. نفسه، ص: 19 . 10.

66. هذا الوصف التالي لا يعني إلا الجزء الاول من المعجم المشار إليه.

67. عبد الله النديم بين الفصحى والعامية، ص: 192.

68. راجع المرجع السابق، ص:192 وما بعدها.

69. راجع المرجع السابق، ص: 209 . 210.

صفحة بيضاء

نحو استراتيجية عربية لنشر المصطلح الموحّد

الأستاذ صالح بلعيد.
جامعة تيزي وزو

المقدمــة: أبـدأ مـداخلتي بتـذكير القـرّاء بمـا تقـرّر فـي مـؤتمر التعريـب الثالـث المنعقد بـالجزائر سنة 1973 حيث رأى أنّ "قضـية المصـطلح العلمـي لم تنل من العناية في التنفيذ، قدر ما نالت من عناية **فـي الإعداد والدراسـة والإقـرار**. وأنّـه إذا كانـت عمليـة المصـطلح عمليـة مستمرّة، فـإنّ ذلك يقتضـي ألا يستمرّ الجدل النظري حولها إلـى مـا لا نهايـة. وأنّـه لابدّ أن يخـرج هـذا النقاش النظري إلـى مرحلـة **التطبيـق** والتجربـة العلميـة، حتـى يكـون اسـتخدام المصـطلح هو الـذي يحقّق امتحانـه والحكم عليـه" وهـذا سـنة 1973، فكيـف الحـال بعد مرور 31 سـنة وذات المشـكل قـائم، ومـا زلنـا نقتـرح نفس الحلـول التي قُدمت منذ أزيد من 50 سنة، ومن يتّصفح الكتب المعاصرة يلفى نفس الحـديث يتكـرّر عـن المصـطلح، فلقـد مـرّت عقـود علـى هـذه الاقتراحـات والتوصـيات، فلـم نصـل إلـى مـا يمكـن أن يوصـف بقاعـدة متواضـعة مـن المصـطلحات المتّفـق عليهـا، وإنّ كثـرة الـدعوات إلــى توحيـد المصـطلحات يوحي للأجنبي بـأنّ اللغـة العربيـة الواحدة أضـحت لغـات، والمصـطلح الواحد

صار مصطلحات. علماً أنّ كماً معتبراً من المصطلحات قد وُضع، ومنهجيات أُسديت، ولكن أين محالُها من **التطبيق!** وأين التزامنا بما نقرّر!

في نفسي شيء أرغب البوح به، فما أحوجنا إلى خطاب واقعي حول المصطلح العلمي، إنّ المشكل لا يكمن في وضعه، بل في **تعريب التعليم العالي** وفي **نشر المصطلح** الذي أحسبه عالة على الوطن العربي إنتاجاً. وهنا أسأل **أين مسؤولية المجامع، واتّحاد المجامع، والمؤسّسات المصطلحية والجامعات العربية، وكلّ المؤسّسات العاملة على وضع المصطلح، وأين استراتيجياتها الكفيلة بإيصال سفينة تعميم استعمال اللغة العربية إلى شاطئ الأمان عن طريق تعميم المصطلح المنتوج**. وأين مسؤولياتها في نشر الوعي المصطلحي بين صفوف الأساتذة والطلبة؛ بتوفير و**نشر** المعاجم التخصّصية والنشرات والمجلات والدوريات التي تعنى بالمصطلح العلمي. وأين مسؤولياتها في إثراء مكتبات الجامعات بكلّ ما يصدر من معاجم متخصّصة ومجلات ونشرات ودوريات ذات اهتمامات بالمصطلح العلمي. ولكن ما دمنا نتردّد في تعريب التعليم العالي، فلا تسأل عن المصطلح عامة، وما دمنا لا نهتمّ بمستقبل الطفل العربي ونخصّص مشاريع لتطوير لغته، فلا نسأل عن المصطلح العلمي. أليس مؤسفاً أن تعجز اثنتان وعشرون دولة عربية بمختلف ما لها من إمكانيات بشرية ومادية عن وضع المصطلح العلمي و**نشره** على نطاق واسع.

إنّ مشكل المصطلح العلمي لا يكمن في منهجية وضعه، فلدينا منهجيات رصينة، ويكفي أن نعتمد تلك المنهجية العلمية التي انبثقت عن ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية التي نظمها مكتب تنسيق

التعريب في الرباط 18-20 شباط (فبراير) 1981، وهي منهجية أبانت عن نتائج ممتازة في وضع المصطلح العلمي، فنحن لا نفتقر إلى منهج علمي لصياغة المصطلحات، بقدر ما نفتقر إلى منهجية **نشرها** في ضوء حاجاتنا المعاصرة، فإذا نظرنا في أعمال المنظّمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الأليكسو) لا نجد **استراتيجية** تعمل على نشر المصطلح الموحّد، كما لا نجد تخطيطاً لغوياً دقيقاً يراعي كيفية نشر هذا المنتوج الكبير الذي بقي بين دفات المعاجم وفي رفوف المكتبات، ولا نجد **استراتيجية** تحدّد وسائل العمل ومتطلّباته، وتشير إلى اتّجاهات التخطيط ومساراته قصد إحداث نقلة نوعية تجاه ما ينتج، ولا نجد **استراتيجية** معنية بالمستقبل؛ فيها بدائل جديدة وقابلة للتطوّر حسب المستجدات، ولذلك فإنّ التحدّي الذي يواجه العربية في المرحلة الراهنة يتمثّل في **نشر** هذا **الكمّ التخمة** الذي نجده منثوراً في كثير من المؤلّفات. ومن هذه المقدمة أنطلق لتحليل الموضوع الذي تتوزّع محدّداته كما يلي:

أولاً: هل أزمة المصطلح العلمي في منهجية وضعه؟ وهل تكمن **أزمة** المصطلح العلمي العربي في **عدم وجود المنهجية** العلمية لدى علمائنا أو مؤسّساتنا المصطلحية؟ أقول: لدينا منهجيات[1] وكلّ منهجية تتضح بما فيها؛ بعضها متقاربة وبعضها متباعدة، وهذا شيء طبيعي، ويدلّ على النشاط العلمي والتقني في كلّ لغة مفعمة بالحياة، وينتشر استعمالها في رقعة كبيرة

1. أشير هنا إلى بعض المنهجيات الفردية، وهي تتقارب في كثير من أبعادها: منهجية محمد شرف. منهجية مصطفى الشهابي. منهجية أحمد عيسى. منهجية حسن حسين فهمي. منهجية أحمد شفيق الخطيب. منهجية جميل الملائكة. منهجية محمد يوسف حسن. منهجية محمد رشاد الحمزاوي...

من الأرض، واللغة العربية من بين هذه اللغات المفعمة والمنتشرة على مستوى عالمي، إضافة إلى ما لها من خصائص، يمكن إجمالها فيما يلي:

1. المصطلح العلمي مشكل كلّ اللغات.
2. اللغة العربية لا تتطوّر بسرعة، ولا تضع المصطلح العلمي بسرعة، لما لها من خصائص.
3. البعد الحضاري، والنشاط العلمي السابق للغة العربية.
4. الامتداد الجغرافي للعربية بين قارتي إفريقيا وآسيا، فيتلاغي بها حوالي ثلاثمائة مليون عربي.
5. الامتداد الإسلامي؛ فالعربية تستعمل من أكثر من مليار مسلم في العالم.
6. عدم وجود عاصمة لغوية تحميها.
7. كثرة المجامع والمؤسّسات العربية والمحلية.
8. اختلاف الأرضية المعرفية لدى واضعي المصطلحات، وتعدّد أذواقهم.
9. العمل الفردي لا الجماعي.
10. غياب صيغة **التزام وإلزام** بما تقرّه المؤسّسات المصطلحية في هذا المجال.

أمام هذه الأمور وغيرها، لابدّ وأن يظهر الخلاف في منهج وضع المصطلح وفي استعماله، ولذا لا يجوز قياس اللغة العربية باللغة الفرنسية مثلاً التي لها جزر محدّدة خارج وطنها، ولها عاصمة تحميها ولا يمكن قياسها باللغة الكورية التي لها حدود ضيّقة، فهي جزيرة لغوية، فمن السهولة الاحتفاظ بالمصطلح الواحد، كما يمكن أن تحصل المتابعة في كلّ قرار يُؤخذ. فالمسألة بالنسبة للعربية أعمق فهي لصيقة بمنظومة اجتماعية كبيرة

يصعب الفصل فيها، لصيقة بالوطن العربي الكبير، ولكن لا أرى أنّ هذا الامتداد للوطن العربي يشكّل قضية لو رسمنا استراتيجية **ترويج وتنقّل واستعمال المصطلح.**

ثانياً: هل أزمة المصطلح العلمي في تعدّد اتّجاهات صنّاعه؟ نعرف أنّ المصطلح العلمي العربي يقوم على صناعته علماءٌ مختصّون ولهم دراية وافية به، ولكن نجد هؤلاء الصنّاع لا تحكمهم منهجية وضع المصطلح بشكل علمي جيّد، فراح كلّ واضع يتعصّب لاتّجاهه، ممّا خلق تذبذباً في وضعه، ويمكن إجمال هذه الاتّجاهات فيما يلي:

1.2. اتّجاه تاريخي: يتعصّب للمصطلح التراثي، ولا يهمّه ما يصدر في الغرب، ويرى أنّ العربية قادرة على الوفاء باحتياجاتنا المعاصرة، كما كانت في السابق، فلا خروج عن المصطلح التراثي، وكلّ خروج فهو عقوق، وأنّ استعمال مصطلحات التراث واجب ديني. فانطلاقاً من هذا يدافع أصحاب هذا الاتّجاه عن المعالم القديمة الكبرى التي ترسّخت بواسطتها المصطلحات العلمية آنذاك، وتحكّمت دلالاتها، وبخاصة عاملي الاشتقاق ومرجعية السماع؛ اللذين استُغلا في أبعادهما الكبرى، ويركّز على طواعية العربية في مجالات الاشتقاق[1]. ولعلّ فِعْل القدامى في توليد المصطلحات باستغلال الاشتقاق الصغير وحده يعطينا عبرة بأنّ اللغة العربية قادرة على العطاء المصطلحي؛ حيث الأصل الواحد يولّد عدة فروع لغوية، وكذا الاقتراض اللغوي، وترقية الألفاظ العامية المعبّرة، وكذا ما قيس على كلام

1. أحمد شفيق الخطيب "حول تطوير منهجية **وضع** المصطلح العربي وبحث سبل نشر المصطلح الموحد وإشاعته" مجلة اللسان العربي. الرباط: 1995، مكتب تنسيق التعريب، العدد 39، ص 154–158.

العرب جزء لا يتجزّأ من لغتهم، فعومل المعرّب المنقول معاملة العربي الأصيل، ولم يلجؤوا إلى النّحت إلا لضرورات علمية. وفي الأخير يعزو هذا الاتّجاه مشكلة وضع المصطلح إلى **عدم تمثّل وسائل التراث بكلّ ما تملكه العربية من خصائص.**

2.2. اتّجاه إلغائي: ويرى بأن نتصرّف بكثير من الشجاعة، ونقول بأنّ العربية الآن لا تفي بالحاجات المعاصرة أمام التطوّر السريع، ، ونقرّ بأن العربية الآن ضعيفة مصطلحياً وتعيش على المصطلح المستورد، فالأحرى أن تُهجر في كثير من أبعادها باستثناء عاملين يفيدان في تكييف واستقبال المصطلحات الغربية، وهما: **التعريب والترجمة**[1] لأنّهما يعملان على الإسراع في نقل العلوم، فلا **ضير في التعريب كلما مسّت الحاجة إليه.** ويرى هذا الاتّجاه بأنّ العرب الأوائل لم يتحرّجوا من **التعريب** بعد صوغ المعرّب في صيغة تتّفق مع الأوزان الصرفية العربية المعروفة حتى يتلاءم مع الذوق العربي، وإنّ من أحد معاني التعريب هو: **استعمال اللفظ الأجنبي بناء على مقاييس اللغة العربية المرنة.** وأما **الترجمة** فيعطيها أهمية باعتبارها عملاً إبداعياً يتطلّب مهارات وتدريباً مكثفين، فيقتضي التعرّف على المصطلح في لغته الأصل قبل وضع ترجمته، وبذلك يسهل تحديد المعنى المقصود، ويُصاغ بصيغة تحمل معنى واحداً مستساغاً. وفي الأخير يؤكّد قضية التعريب والترجمة بأنّهما وجهان لورقة واحدة لا يمكن الفصل بينهما؛ لأنّ المصطلح ينال مكانته بالتعريب أو بالترجمة.

---

1. ينظر مقالة لصاحب الكتاب "قراءة في محاور ملتقى المصطلح" مجلة الملتقى. تلمسان: 18-20 آذار (مارس) 2002.

3.2. اتّجاه معتدل: يعمل على تحاشي الفجوة بين الاتّجاهين، فهو معتدل فيقرّ من جانب بدور هذه اللغة فيما مضى، ومن جانب آخر يراجع مصداقيتها الحالية في إنتاج المعرفة مصطلحاً وخطاباً، ومدّ الثقافة الإنسانية بهما وفق أفضل الظروف، ولهذا لا يرى مانعاً من وضع المصطلحات بالاستعانة بكلّ الوسائل اللغوية المرنة التي تتمتّع بها العربية، لامتلاكها غزارةً خاصة بوسائلها الداخلية، كما تملك القدرة على التعامل بمرونة مع المستجدّات، ولكنّه يؤكّد ضرورة توسيع قنوات استقبال المصطلح أمام التدفّق المعاصر، بالحرص على إيجاد الوسائل العصرية والصيغ الكفيلة باستقبال الوافد من المصطلحات وتمثّله، فلا مانع عنده أن ننسخ بعض المنهجيات إذا لم تكن تستجيب للوضع الحالي، طمعاً في وحدة المنهاج لوضع المصطلح العلمي العربي الموحّد، ويؤكّد حقيقة المشكل في غير الوضع، فهي في **إشاعته وتوحيده واستعماله.**

نقد أفكار الاتّجاهات الثلاثة: وهكذا يتبدى لي بأنّ الاتّجاهات الثلاثة تدور بين **أصالة وتطرّف واعتدال**، وهذا الأمر يؤدّي إلى التخالف في القضية وهي مسألة مرفوضة، فما حصل هذا عند قدمائنا؛ حيث طلبوا المصطلح فيها ووجدوه مطواعاً، ولم تكن هناك مؤسّسات، وكان موضوع المصطلح مقروناً بالتعريب والترجمة. ولقد كان التعريب مورد إغناء لا ينضب، وجسراً يمتدّ بين العالم العربي وسائر العوالم الأجنبية، ووسيلة انفتاح على العالم. ولكن يجدر بنا أن نضع في الاعتبار أنّ مسألة المصطلح تتحكّم فيه العادة، والعبرة للمصطلح الغالب والشائع لا النادر، ومن هنا كان الأفضل لو يستمد المصطلح من **اللسان الجماعي**، وهذا

بتـرك القـديم علـى قدمـه مـا كـان صـالحاً، والحـرص علـى اسـتعمال المصطلحات المعاصرة السهلة والميسّرة، والبعد عن الألفاظ المتقعّرة القديمة والحديثة. ومن الضروري كذلك أن ترافق مجالات وضع المصطلح نشاطات تعريبيـة لتهيئـة مستلزماته، وتكـون أولويـة الوضـع للمصـطلح المتحـرّي مـن التراث، ولا نغلق عيوننا على المصطلحات الغربية فهي نافذتنا على الخارج.

ومهمـا انتقـدنا هـذه الاتّجاهـات الثلاثـة لا نجـد اسـتراتيجية وضـع المصـطلح، وكـأنّ المشـكل فـي العربيـة يعـود إلـى وضـعه وكفـى، ويتناسـى هـؤلاء بـأنّ المشـكل الآن لا يكمـن فـي الوضـع بقـدر مـا يعـود إلـى **غيـاب استراتيجية لغوية رشيدة تعمل على تعميم استعمال العربيـة وكيفيـة نشرها في الداخل وفي الخارج**، وهكذا تتبيّن لنا الحاجة القصوى إلى سدّ هذه الثغرة في سياستنا اللغوية، فمن العبث إضافة مصطلحات جديدة قبل العمل على **نشـر** مـا هـو موجـود، أو تنقيحـه أو علـى الأقـلّ مراعـاة إمكانيـات قبـول المصطلح الموضوع.

ثالثاً: هل الأزمة في وضع المصطلح من قبل المجامع والمؤسّسات العلميـة؟ تنصّ قوانين ونصـوص المجـامع علـى بـذل الرعايـة للمصـطلحات والعناية بها، وتوجيه مجهوداتها عن طريق وضعها ونقلها وتعريبها ونشرها، واتّخاذ خطّة عامة، أو مبادئ كبرى لوضـع المصـطلحات، ومن خـلال هذه التوجّهات الكبرى، وضعت المجامع خططاً لصياغة مصطلحاتها، واجتهدت في إعطاء المصطلح صبغته العلمية باللغة العربية، بتوظيف طرائق الوضع المختلفـة، ولا نحتـاج إلـى إعـادة المنهجيـات العديـدة التـي أعـدّت فـي هـذا المجال.

وإنّ التعليق الذي يمكن الإدلاء به على هذه المنهجيات المجمعية، تقوم على الأسس الكبرى السليمة بل تعمل على تحديد منهج دراسي لساني بتحديث الرؤى الموجّهة للدراسات القديمة لربط الماضي بالحاضر، وبالتالي وضع تصوّر منهجي للمصطلحات اللاحقة. ولكنّي أقف عند الحديث عن المصطلحات العلمية عند مؤسّسة تنسيق المصطلح؛ وأعني **مكتب تنسيق التعريب** الذي له صولات علمية متميزة، باعتماد منهجية معاصرة لا تلغي التراث، لكنّه لا يعتمده أساساً في تعامله، ولذا فقد بنى مبادئه الكبرى على الخطوط التالية:

أ. مسايرة المنهج الدولي في اختيار المصطلحات العلمية.

ب. مراعاة التقريب بين المصطلحات العربية والعالمية لتسهيل المقابلة بينهما للمشتغلين بالعلم والدارسين.

ت. اعتماد التصنيف العشري الدولي لتصنيف المصطلحات حسب حقولها وفروعها.

ث. تقسيم المفاهيم واستكمالها وتحديدها وتعريفها وترتيبها حسب كلّ حقل.

ج. إشراك المختصين والمستهلكين في وضع المصطلحات[1]".

وهذه المبادئ خرجت من المراحل الثلاث التي كان يعتمدها، وهي:

المرحلة الأولى: وفيها مراسلة الدول العربية والمؤسّسات لتوافيه بما يتوفّر لديها من مصطلحات في مجال ما ثمّ تنسّق المادة ضمن قائمة ثلاثية اللغة وتُعقد ندوة لدراسة المشروع مصطلحاً مصطلحاً.

---

1. جواد حسني سماعنه "منهجيات **وضع** المصطلح العلمي العربي وتوحيده" مجلة اللسان العربي. الرباط: 1995 مكتب تنسيق التعريب، العدد 40، ص 13.

المرحلة الثانية: وفيها يُكلّف المكتب خبيراً بإعداد ورقة عمل مستأنساً بما صدر في هذا المجال عن المؤسّسات والمجامع، مع التقيّد بمنهجية المكتب، ويُعهد المشروع إلى خبير متخصّص في العلم والمراجعة والتدقيق، ويرسل المشروع إلى الجهات العربية المختلفة لإبداء الملاحظات.

المرحلة الثالثة: وفيها تُعقد دورة خاصة للنظر مرة أخرى في المصطلحات المعدّة، وتُقدّم الملاحظات والتصحيحات، ويتمّ توحيد المصطلحات في مؤتمر التعريب.

وبهذا المنهج العلمي والمتميّز، بنى منهجية وضع المصطلح العلمي بصورة جيّدة في ندوة الرباط 18-20 شباط (فبراير) 1981م، ومن أُسس تلك المنهجية اعتماد طرق الوضع من **مجاز واشتقاق وتعريب ونحت** عند الضرورة، وتفضيل الفصيح المتواتر على المعرّب، وتجنّب الكلمات العامية، واختيار الصيغة الجزلة الواضحة، والكلمة التي تسمح بالاشتقاق، والكلمة المفردة على المركّبة، والدقيقة على العامية، والمرادف الذي يقرب من مفهوم الجذر الأصلي...الخ[1]". وإنّي أنوّه بالجهود المتميّزة للمجامع والمؤسّسات، والتي لم تترك باباً من أبواب وضع المصطلحات العلمية إلا وعالجته، ويمكن التذكير بكثير من أبعاد اختيار المصطلح:

* وضع المقابل بعد الرجوع إلى المعاجم القديمة والحديثة، وإلى كتب التراث والمعاجم الأجنبية ومعاجم المصطلحات العلمية الحديثة: العربية والأجنبية.

---

1. محمد رشاد الحمزاوي "المنهجية العربية **لوضع** المصطلحات من التوحيد إلى التنميط" مجلة اللسان العربي. الرباط: 1986، العدد 24، ص 45.

* ضرورة وجود مناسبة أو مشابهة بين مدلول اللفظ اللغوي ومدلوله الاصطلاحي.

* لا يشترط في المصطلح أن يستوعب كلّ دقائق المعنى.

* رفض الترادف في المصطلحات العلمية.

* الترجمة الدلالية المباشرة، واستخدام المجاز.

* إذا تعذّر إيجاد مصطلح عربي يُلجأ إلى التعريب.

* تحديد الدلالة العلمية للمصطلحات المتقاربة، وعدم تقييدها.

* توخّي وضوح الدلالة وتجنّب الإبهام.

* توحيد ترجمة المصطلحات المشتركة بين مختلف العلوم.

* ضرورة وضع تعريف موجز لكلّ مصطلح عربي إمعاناً في تحديد الدلالة.

* مراعاة صلات الترابط الاشتقاقي والتصريفي والمعنوي بين المصطلحات.

* تقدّم الكلمة الخاضعة للاشتقاق على التي يصعب الاشتقاق منها.

* تقدّم الكلمة الكثيرة الدوران على النادرة، والكلمة المنسجمة الحروف على المتنافرة.

* تفضيل الكلمات العربية الفصيحة على الكلمات المعرّبة.

* اعتماد تعريف المصطلح عند دلالته على معنى خاص.

* تجنّب استخدام العامية وخاصة المحلية أو الإقليمية.

* تقدّم الكلمة الخاضعة للاشتقاق على التي يصعب الاشتقاق منها.

* استعمال المصطلح الأجنبي لضرورات قاهرة.

* الالتجاء إلى النّحت عند الضرورة العلمية[1].

نقد جهود المؤسّسات: رغم الجهود والأفكار التي أنتجت كمّاً معتبراً من المصطلحات والتي نشرها كلّ مجمع الذي قدّم تُخمة مصطلحية، ومع كل ما سُجّل من توصيات في مختلف مؤتمرات التعريب، أو ما أقرّ من مبادئ في المجامع اللغوية والمؤسّسات المصطلحية، ظلّت معيقات المصطلح العلمي قائمة وظلّ الاختلاف يشتدّ، فهل لا مخرج من هذه الأزمة. أقول **إنّ الحلّ بيدنا إذا عالجنا النقائص التي علقت بهذه المؤسّسات:**

1. عدم اتّباعها منهجية موحدة لتنميط المصطلحات وتوليدها: لقد غلب الخلط بين وسائل الوضع وتقنيات ترجمتها، ومناهج التوحيد والتقييس[2] وحصل عدم التفريق بين التوثيق وتوحيد المصطلح، أضف إلى هذا غياب التنسيق الذي يعمل على التقليل من التشعّب في الرأي والتشتّت في الجهد.

2. اعتماد الجانب النظري: إنّ الروح النظرية لا زالت طاغية، وتتحصر داخلها المبادئ الكبرى لوضع المصطلحات، ومن هنا بقي المصطلح يُراوح مكانه، فلم يجد أرضية تطبيقية تتناسب وواقعه، إلى جانب الروح العفوية، وهذه الروح لا تصلح في كلّ الأحوال، ويتمثّل لنا ذلك في

1- وبالنسبة للنّحت فإنّه لم يعتمد بالشكل الذي يعطيه أهمية، فوضعته المؤسّسات المصطلحية في آخر المطاف، ويمكن اللجوء إليه بعد تعذّر كلّ الوسائل الممكنة لصياغة المصطلح، "ففي إحصاء أجراه الأستاذ وجيه عبد الرحمن شمل ثلاثة معاجم صدرت عن مكتب تنسيق التعريب في الفيزياء والنفط والطبّ، مداخلها تزيد عن أحد عشر ألفاً، لم يجد سوى ثلاثة عشر مصطلحاً صيغت بالنّحت[1]". ويمكن القول بأنّ واضعي المصطلحات قد احترموا هذا البند، وحاولوا تجنّب النّحت قدر الإمكان.

2. فارس الطويل "نحو منهجية شاملة للعمل المصطلحي" مجلة اللسان العربي. الرباط: 1995، مكتب تنسيق التعريب العدد 39، ص 227.

المصطلح المتعدّد للهاتف النقّال مثلاً: خلوي/ الجوّال/ النقّال/ المحمول/ الجيبي/ الهاتف النقّال/ اللاسلكي/ الموبايل... فلم توضع ضوابط من البداية، فقد كان متروكاً للمصطلحين، وكلّ يغرف حسب ثقافته، وهذا ما سبّب التباين في الوضع بشكل كبير "فأعتقد أنّ أهمّ ما يتّسم به وضع المصطلح هو طابعه العفوي، وهي عفوية لا تقترن بمبادئ منهجية دقيقة، وباكتراث بالأبعاد النظرية للمشكل المصطلحي، وقد قادت العفوية إلى كثير من النتائج السلبية، وفي مقدّمتها الاضطراب والفوضى في وضع المصطلح، وعدم تناسق المقابلات[1]".

3. ظهور نزعة المحلية في بعض المصطلحات: يلاحظ على مصطلحات المجمع المصري والمجمع الأردني تقصير جهدهما أحياناً على المصطلحات المتداولة في مصر والأردن. وهذا ما يعطي صفة المحلية للمصطلح العلمي أو المصطلح ككلّ. وكان أحد أسباب ذلك هو عدم العودة إلى الدراسات الميدانية العربية؛ باعتماد المشهور أو المتواتر في المجتمع العربي وإلى الرصيد اللغوي المشترك.

4. غياب المنهج العام: والذي يدخل فيها البحوث والقرارات والمناقشات التي تتحدّث عن منهجية وضع المصطلحات ومبادئها وقواعدها. وغياب النظرية الخاصة التي تتناول الحقول المصطلحية الخاصة بالبحث والدراسة والتمحيص[2]. وكان المطلوب وضع مبادئ أولية فقط، من مثل التصوّرات الضابطة للمفاهيم، ويُترك باب الاجتهاد مفتوحاً؛ لأنّ معطيات حديثة تظهر،

---

1. عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص 396.

2. جواد حسني سماعنه "منهجيات **وضع** المصطلح العلمي العربي وتوحيده" مجلة اللسان العربي. الرباط: 1995 مكتب تنسيق التعريب، العدد 40، ص 128.

فلابدّ أن يحصل التطوير بناءً على ما يُستجدّ في الأبحاث اللاحقة ضمن آليات المزيد مما يدرّه سوق الإنتاج من وسائل.

5. عدم توظيف التقنيات المعاصرة: ما زالت المؤسّسات تعتبر المصطلح في بُعده القديم هو اعتماد الاقتراض والمجاز والنّحت والمجاز وكلّ ضروب الاشتقاق، في الوقت الذي قطعت فيه المؤسّسات العالمية أشواطاً كبرى من مثل اعتماد **التعيير والتنميط**، وهذا ما لم تدركه المؤسّسات العربية باستثناء مشروع **راب**[1] الذي أشرف عليه الأستاذ رشاد الحمزاوي، وهو مشروع قديم، إلا أنّه هام جداً وهي تجربة فريدة لأنّها تبرز لنا أهمية استثمار التقنيات المعاصرة في وضع المصطلح وفي نشره.

6- عدم وضع منهجية زمانية للقضاء على معيقات المصطلح: وهي الافتقار إلى الجدول الزماني لعملية التعريب التي تجبر المؤسّسات على وضع المصطلح واستعماله.

رابعاً: هل الأزمة في نشره؟ هنا تكمن الأزمة التي تعمل على وضع حدّ لهذه التخمة الفوضى، وإنّه يتبدّى لي بأنّه حان الوقت لوضع استراتيجية نشر المصطلحات، وهذا يستدعي ما يلي:

1. وضع سياسة لغوية رشيدة: إنّ الوضع القانوني للغة ما لا يكفي لجعلها لغة استعمال حقيقي، ومن هنا تأتي أهمية السياسة اللغوية المصاغة لتقوية التخطيط اللغوي الذي يجب أن يصاحب التطوّر الاقتصادي والاجتماعي، وإنّه حان الوقت بأن نؤكّد وعي جديد بأهمية البحث في

---

1. رشاد الحمزاوي "المنهجية العربية **لوضع** المصطلحات من التوحيد إلى التنميط" مجلة اللسان العربي. مكتب تنسيق التعريب: 1985، العدد 24، ص 41. وينظر: رشاد الحمزاوي: مجمع اللغة العربية تاريخه وأعماله/ العربية والحداثة/ الفصاحة فصاحات.

القضايا اللغوية للعربية في العصر الحديث، وأن نخطّط لسياسة لغوية مصطلحية تتموقع في إطار تركيبة من الأهداف يشكل مجموعها تجسيداً لسياسة معيّنة للغة، وهذا التخطيط يمثل تحسين جودة اللغة وإصلاحها، وتعليمها لغير الناطقين بها، وتدريس اللغات الأجنبية، وتنمية اللغات المحلية، فنحن أمام خيار سياسي يجب أن يوفر:

- التشريع الثقافي والإعلامي في نشر المصطلح الموحّد.
- دعم المؤسّسات أدبياً ومادياً لإنجاز مشاريع تعريب الكتب.
- إعداد القوى المؤهّلة القادرة على القيام بعملها جيّداً.
- مؤسّسة مرجع.

وهذا بعد بناء سياسة لغوية تراعي، مسح الحاجات، وتحديد الأهداف، وتوفير الوسائل اللازمة لذلك وتنفيذ الخطة، ثمّ تقويم النتائج.

2. القرار السياسي الملزم: أعرف سلفاً بأن صدور القرار السياسي الملزم يلاقي بعض الصعوبات وسوف نعاني بعض ردّ الفعل، ولكن سيكون المخرج من النفق، ومن دورة الأماني والتنظير إلى تحقيق كلّ ما كنّا قد خططناه. لقد سبق وأن وضعنا قوانين وشرعنا وقرّرنا، ولكن دون جدوى، فالأمر يعود إلى القرار السياسي الملزم، كما سبق وأن جرّبنا ترك الأمر على عواهنه لم تأت النتائج المنتظرة، بل تدهورت الأوضاع، ومن هنا فإنّ اتّخاذ القرار ومتابعة تنفيذه أثمر عن نتائج طيّبة، وإنّ المعطيات الحالية تستدعي استحصال القرار السياسي الملزم **لتوحيد المصطلح ونشره**، وفق سياسة موحّدة في الوضع والتقييس والاختيار الدقيق المتّفق عليه، ثمّ تأتي مرحلة التقيّد بما يصدر عن مكتب تنسيق التعريب، باعتبارها المؤسّسة

الوحيدة التي تعمل على تنسيق كلّ المنتوج المصطلحي. ولا أعتقد أنّ هذا الأمر صعبٌ أو مستحيلٌ، إذ يستلزم تحديد مهام كلّ مؤسّسة ضمن **استراتيجية** عربية شاملة ملزمة، ويتعلّق الأمر على قرار الجهة العليا في الدولة ليكون فعل المجامع والمنظمات والمكاتب قادراً على التأثير، ومعترفاً بها للاتباع في جميع الجامعات، مع إلزام معدي الكتب بتوظيف المنتوج المصطلحي، إدراكاً مني أنّ التعليم هو الركن الأساس في عملية توحيد ونشر المصطلحات، وكذلك "يتطلّب من ساسة الدول العربية وقادتها دعم ما وصل إليه العلماء واللغويون والمجامع والجامعيون من نتائج، وتطبيق ذلك ليس بشكل مبعثر، لكن بشكل موحّد على الصعيد العربي[1]".

3. توحيد المصطلح قبل نشره: تلعب اللغة دوراً أساسياً في عملية التنمية الروحية والاجتماعية والعلمية، وهي وسيلة من وسائل توحيد الأمة فكرياً وسياسياً، وفي هذا المجال نجد المصطلحات الموحّدة تتجاوز حدود الدولة الواحدة لتحقّق الاستمرار، كما تقوم بمهام متعدّدة، فهي أداة وعي الإنسان بنفسه وبعصره وتشكيل مستقبله. ولقد بذلت جهود معتبرة من أجل توحيد منهجية علمية تعتمد لصياغة المصطلح العلمي وصناعته، وخرجت منهجيات، ولا يمكن نكران أنّ تلك المنهجيات أغنت اللغة العربية بوافد من المصطلحات العلمية، حيث كانت النيّة بأنّ وحدة المصطلح يعني توحيد اللغة العلمية بمصطلحاتها ورموزها، كما يعني تعريب العلم، ولكن بقيت **استراتيجية نشر المصطلح الموحّد غائبة** رغم الإقرار بها في المؤسّسات العاملة في هذا الاختصاص، ويمكن الاحتجاج في هذا المجال بما أقرّته

---

1. محمد مجيد السعيد "دور مؤسسات التعليم العالي في توحيد المصطلح وإشاعته" مجلة اللسان العربي. الرباط: 1987، مكتب تنسيق التعريب، العدد 29، ص 148.

ندوة حول (تطوير منهجية وضع المصطلح العربي وبحث سبل نشر المصطلح الموحّد وإشاعته) بالتنسيق المشترك بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (مكتب تنسيق التعريب) ومجمع اللغة العربية الأردني في رحاب المجمع بعمان أيام: 6-9 أيلول (سبتمبر) 1993م، ونشرت الأعمال في مجلة اللسان العربي للمكتب، العدد 39 لعام 1993، وأشيد بجهد الندوة المتميّز، وما قدمه من إضافات في مجال منهجية وضع المصطلح، وما نصّت عليه من توصية فيما يتعلّق بنشر المصطلح الموحّد:

"- العمل على ترويج المعاجم العلمية الصادرة عن مجامع اللغة العربية وتوفيرها لدى الهيئات المهتمة بتدريس العلوم، وبالتأليف فيها بالعربية وترجمتها إليها، فذلك يساعد على إشاعة استعمال المصطلحات المتّفق عليها مجمعياً.

- العمل على عقد اتّفاقية أو معاهدة على مستوى الجامعة العربية لحماية حقوق المؤلفين والمترجمين والمبدعين عموماً. فقيام هذه الاتّفاقية سيشجّع حركة التأليف والترجمة في مجالات العلوم، وسيكون له أثر طيّب في العمل على توحيد المصطلحات وإشاعتها بين الأقطار العربية.

- تعميم تجربة مجمع اللغة العربية الأردني بين بقية المجامع، في ترجمة أمهات الكتب العلمية بأقلام علماء متخصّصين ذوي خبرة عالية في فن الترجمة، وفي وضع اختيار المصطلحات المناسبة. ولا شكّ في أنّ تعميم هذه التجربة سيكون له أثر كبير في العمل على توحيد المصطلحات، وتعجيل إشاعتها في أنحاء الوطن العربي، طالما كان الالتزام تاماً في هذه الحركة بمقررات مؤتمر مجمع القاهرة السنوي وقراراته بشأن المصطلحات

العلمية ومنهجية وضعها، مما يتيسّر في مجاميع المصطلحات والمعاجم المتخصّصة الصادرة عن مجمع القاهرة.

– العمل على زيادة فعالية اتّحاد مجامع اللغة العربية[1]".

ويبدو لي أنّه ليس من الضرورة التعليق على أنّ الداء في المصطلح يكمن في النشر لا في الوضع.

4. التوظيف: إنّ المصطلح ليس مجرد وضع، بل كلمة لابدّ من أن تستعمل وأن يجرب استعمالها؛ فهناك كثرة وتعدّد للاستعمالات، وهي ظاهرة طبيعية تستدعي غربلتها بعدما توضع على محكّ الاستعمال. إنّنا محكومون **بمنظومة اجتماعية قومية** علينا أن نجاريها ضمن أرضيتنا المعرفية، وإنتاجنا العلمي، وما يستعمل، كما أنّ **التداول** هو الذي يرسّخ المصطلح ويعطيه دلالاته، ويغربله ويُبقي الصالح منه، وينبذ النافر، فهو الإكسير الذي يمنحه الدوام. وإنّ الاستعمال لا يأتي عفواً، فكان يحتاج إلى تواجده في الكتاب المدرسي والجامعي وهو سلّته التي يتغذّى بهما، وحياته في الاستعمال، وعن طريقهما يكون ما يكسبه الدارس تمثلاً فإبداعاً لا ترديداً فقط. مثلما أنّ عملية التعريب ليست عملية حِرَفية يتمّ بموجبها إدخال كلمات أعجمية في اللغة العربية، بل في التوظيف والممارسة والإبداع في دورة الكلام. وهكذا فإنّ الاستعمال يجعل المصطلح موحّداً تلقائياً، **والنشر سبيل من سبل الاستعمال.** ومن هنا تأتي ضرورة وضع **استراتيجية نشر المصطلح** الموحّد، بالتعاون مع المجامع والمؤسّسات اللغوية والعلمية

1. محمد يوسف حسن "في تمكين العربية من الأداء العلمي وصياغة المصطلحات الحديثة، وسبل إشاعتها" مجلة اللسان العربي. الرباط: 1995، مكتب تنسيق التعريب، العدد 39، ص 45–46.

ومنظمة المواصفات، كلٌ في اختصاصه الدقيق، لإحداث تقارب عربي- عربي يؤدّي بنا إلى التفاهم العلمي، ومن المؤسف أن نقول إنّ مكتب تنسيق التعريب في مؤتمراته التعريبية العشرة أنجز معجمات كثيرة والحصول عليها أمر متعذر، ومن المؤسف كذلك بأن نقرّ بأنّنا نعيش سنة 2004م ولم تدخل هذه المؤسّسة مصطلحاتها في منظومة الشبكة الدولية للمعلوميات، أو نسخها على مستوى CD-ROM.

ويقول المصطلحي علي القاسمي "غير أنّنا نلاحظ على جهود مكتب تنسيق التعريب الجبّارة ملاحظتين أساسيتين: أولاهما عدم توفر الالتزام الفعلي باستخدام المصطلحات الموحّدة في الكتب المدرسية التي تعدّها وزارات التربية والمعارف والتعليم، على الرغم من أنّ المكتب يزوّد هذه الوزارات بمعاجم المصطلحات الموحّدة، وإنّه أنشأ مؤخراً وحدة لمتابعة استخدام المصطلحات الموحّدة في المناهج المدرسية. وثانيهما أنّ المكتب – بسبب إمكاناته المحدودة وخطّته المرسومة- انصرف إلى توحيد المصطلحات العلمية دون المصطلحات الحضارية[1]".

وبعد هذه الحلول المبدئية **لتوحيد المصطلح ونشره**، تأتي مسؤوليات أخرى تقع على عاتقنا وعلى المؤسّسات الأخرى، وتحتاج إلى تضافر الجهود، فهي مثل المعركة التي لا يمكن أن يقودها فرد، بل تحتاج إلى تجنيد كلي من أجل الظفر بالنصر، وهكذا يتبدّى لي العمل لاحقاً يكون عبر تكاتف شراكة المسؤوليات الجماعية التالية:

---

1. علي القاسمي "تخطيط السياسة اللغوية في الوطن العربي ومكانة المصطلح الموحّد" مجلة اللسان العربي. الرباط: 1983، مكتب تنسيق التعريب، العدد 23، ص 51.

1. مسؤولية المصطلحي: وهي مسؤولية ذاتية عليه الإقرار بسياسة الأبواب المفتوحة على العالم في محيط الأخذ والعطاء للوقوف نداً للندّ، وإنّ المرجعية الغربية لا الاستنساخ أكثر من ضرورة في وضع المصطلح بعد تمثّل أصالته العربية، فلا تجديد دون أصالة تربط الحاضر بالماضي، وهذا ما يعمل على تفادي تلك الفجوة التي تفصلنا عن التطبيق. فمن مسؤولية **الاصطلاحي** أن يراهن على الحاضر والماضي في صناعة الرأي العام، وصوغ الوعي الجمعي للتأثير في موقع **القرار السياسي** لمحلّ المصطلحات العربية. وهو البديل الأساس الذي يتركنا لا نتراجع عما أقررناه، ولا نختلف لنشكّل البون الكبير الذي يشتّتنا، وهنا يأتي الالتزام الفردي والجماعي بما اتّفق عليه من قبل المؤتمرات المعنية، وما تصدره المجامع في ما يتعلّق بأمر المصطلح الموحّد وكيفية نشره.

2. مسؤولية الحكومات العربية: تتحمّل الحكومات العربية المسؤولية التاريخية، والقسط الأكبر في هذا اللغة القومية والتي بإمكانها أن تستصدر **القرار السياسي بشأن تعميم استعمالها**، وهذا ما لم تفعله، وصاحب هذا تردّد كثير من الجهات الأخرى الملحقة بتخطيط السياسة اللغوية، وتنظر إلى العربية في الوقت الحالي أنّها لا تستجيب للمعطيات المعاصرة في ميدان الهندسة والطبّ، وأبقت للإنجليزية والفرنسية هذا الميدان. وهنا لا بدّ من تحرّك جرئ لمواصلة تعميم هذه اللغة. وهذا ليس بالأمر الصعب إذا توفّرت شروط العمل للباحثين والأساتذة والطلبة على كلّ المستويات، وكلّ اللغات مرّت بمراحل الضعف، وما أهملت من أهاليها.

3. مسؤولية المؤسّسات اللغوية والمصطلحية: لهذه المؤسّسات دور هام في وضع المصطلح وفي إشاعته، وتتحمّل مسؤولية كبيرة إزاء التطوّر العلمي الذي تتوفّر عليه العربية وبقي مغموراً، كما تتحمّل تبعات روح الانهزامية التي نجدها عند الباحثين بسبب كثرة المؤتمرات؛ والتي تنفق فيها أموال الشعب دون الوصول إلى نتيجة تغيّر الأوضاع، ودون الاتّفاق على منهجية موحّدة. أضف إلى ذلك عدم تشجيع الاصطلاحيين على التأليف والترجمة.

4. مسؤولية الجامعات: إنّ التعليم باللغة القومية أكثر من ضرورة، فلا إصلاح في التعليم العالي إذا أخفقت الجامعة في أداء هذا الدور، ومن هنا يقع أهمية التبصير بأهمية **تعميم استعمال اللغة العربية على الجامعة**، فلا تكوين لهوية ثقافية وحضارية في غياب توظيف اللغة القومية، ولا أفصل بين تعريب المصطلح والتعريب الشامل، فهما ورقة واحدة. ولا يعني هذا نبذ اللغات الأجنبية، بل إنّ إتقان لغة أجنبية أو أكثر مطلب تربوي يجب تجسيده في منظوماتنا التربوية، لكنّه يظلّ التحدّي الكبير قائماً إلى غاية استنبات العلم وتوطين التكنولوجيا عربياً. وفي مجال المصطلح كان على الجامعة أن تقود تيار وضع المصطلحات العلمية عن طريق تبنّي **تدريس مقياس المصطلح،** وتشجيع الباحثين والمؤلفين على التأليف بالعربية، وتشكيل لجان محلية لمتابعة نشر المصطلحات المتّفق عليها، ونشر الرسائل الجامعية ذات الاختصاص العلمي، وتشجيع فرق البحث في المصطلحات، والعمل على التوعية بأهميته العلمية حاضراً ومستقبلاً.

5. مسؤولية دور النشر: إنّ المصطلح العلمي يجد عشّه وغذاءه في الكتاب المدرسي والجامعي، ومن هنا فيشكّل نشر الكتاب العلمي المعرّب أهمية معتبرة في رواج المصطلح أياً كان، وهذا يستدعي المنافسة عن طريق عدّة مستويات، تبدأ بالنوعية والمحتوى، وصولاً إلى السعر، وتعميمه على كافة الوطن العربي، أي السعي لفتح الحدود عن طريق إقامة المعارض، وتعويم سوقه. دون أن ننسى الكتاب الإلكتروني الذي يجب أن يأخذ بعداً آخر في مجال اهتمام دور النشر، وكان عليها العمل على ترويج المعاجم العلمية الصادرة عن مجامع اللغة العربية، وتوفيرها لدى الهيئات المهتمة بتدريس العلوم.

6. مسؤولية الفضائيات ووسائل الإعلام: لقد قدّم الإعلام الثقيل جهداً معتبراً، وهذا يتمثّل في بعض الفضائيات الملتزمة التي تعمل على إشاعة اللغة العربية الفصحى، وجهدها مشكور، وهناك فضائيات أخرى تمسخ هذا الجهد، بسماعنا للغات المحكية والمحلية التي لا تعمل إلا على التشتّت والتفرقة. وفي هذا المقام لا يحتاج الإسهاب عن دور هذه الوسيلة في إشاعة المصطلح، بل فَلَها الدور الهام والمعتبر في تداول المصطلح[1]. وحان الوقت لنقول بأنّه يجب استغلال عربسات عن طريق إذاعة برامج تعمل على نشر المصطلح العربي الموحّد.

7. مسؤولية بنوك المصطلحات: إنّنا نتوفّر في الوقت الحاضر على بنوك مصطلحية كثيرة، وعلى مواقع عربية هامة في شبكة الإنترنت،

1. صالح أبو أصبع "دور وسائل الاتّصال في **نشر** المصطلح الموحّد وإشاعته" مجلة اللسان العربي. الرباط: مكتب تنسيق التعريب، العدد 39، ص 204.

فالأحرى أن تعمل الجامعات والمؤسّسات على الإفادة منها، ومن الضروري لفت الانتباه إلى دور وسائل الاتّصال، والأحرى في هذا المجال قيام شبكة معلومات عربية للأنشطة المصطلحية، على غرار الشبكة الدولية في مركز المعلومات الدولي لعلم المصطلح (أنفوتِرم)، فمن خلال مثل هذه الشبكة تتيسّر مجاراة النشاط المصطلحي العالمي، ويسهل إشاعة المصطلحات الموحّدة بين العاملين في هذا المجال في كلّ أنحاء الوطن العربي.

8. مسؤولية مؤسّسات الترجمة: وما ينطبق على مؤسّسات أخرى ينطبق على مؤسّسات الترجمة وهي قليلة في الوطن العربي، ولكن من الأهمية بمكان أن ننوّه بجهد المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف الذي أسدى وما يزال يسدي للغة العربية زخماً من ترجماته العلمية، ويحتاج إلى مدّ المساعدة والعون من قبل الجامعة العربية ومنظمة الألكسو. وهنا أقترح أنّ تختصّ هذه المؤسّسة بقضايا الترجمة في الوطن العربي لتغطية عجز المصطلح العلمي في المقام الأول.

9. مسؤولية التمويل: إنّه لا يمكن أن تحيا اللغة العربية دون الإغداق على حياتها، فلابدّ من جهد عربي في هذا المجال بغية تثبيت وجودها في بلادها، ونيل مساحات خارج بلادها، وهذا بوضع استراتيجية على الآماد الثلاث تراعى فيها احتياجات اللغة وفق الأولويات، وليس من الضروري التذكير بما تقدمه الدول من نفقة على لغاتها، ويمكن التذكير بكندا التي وضعت ميزانية كبيرة لخدمة الفرنسية ضمن استراتيجية بعيدة المدى تحقّق فيها سياسة لغوية تنال

فيها الفرنسية مساحات داخلية وخارجية بفضل التمويل، ويمكن إيراد أهمّ الأدلة عليها:

أ. هناك مكتب حكومي للترجمة يستخدم 1200 مختص لغوي، تبلغ ميزانيته السنوية 85 مليون دولار.

ب. يعمل في مكتب اللغة الفرنسية في كويبك 300 موظف، وتبلغ ميزانيته 14 مليون دولار وتشارك الصناعة في النشاط اللغوي؛ بحيث يبلغ مجموع العاملين فيه ما بين 2-3 آلاف شخص ويصل الإنفاق إلى 5 ،3 مليون دولار سنوياً.

ت. هناك لجنة مهمّتها السهر على تطبيق القوانين الخاصة باللغة[1]".

ولا يحتاج الأمر إلى تعليق، لأنّ مسألة الإنفاق على اللغة من حيثيات الأشياء التي يجب أن لا تبخل عليها الأمة العربية.

خامسًا: الخاتمة والاقتراحات: ليس لدينا الوقت للالتفات إلى الوراء، علينا أن نتطلّع إلى مستقبل أفضل، وتتفرّغ عقول علمائنا إلى معالجة قضايا مستقبلية جديدة[2]، ولا أفتي لأقول: إنّ توحيد المصطلحات ونشرها عمليتان متلازمتان، **فمتى انتشر المصطلح عمّ تداوله**، والتداول يغربل ويظهر المصطلح المقبول المستوفي الشروط العلمية، ولكني أؤكّد ضرورة تجسيد **استراتيجية** عربية تصل بالعربية إلى شاطئ الأمان، وإرساء قواعد المصطلح ونشره وإشاعته، وأن

---

1. محمد ظافر الصواف "التقنيات الحديثة واللغة العربية" مجلة الموسم الثقافي. الأردن: 1987، منشورات مجمع اللغة العربية، الموسم الثقافي الخامس 21 آذار – 18 نيسان 1987، ص 10.

2. علي القاسمي "تخطيط السياسة اللغوية في الوطن العربي" مجلة أبحاث لسانية. الرباط: 1997، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، المجلد 2، العدد 1، ص 67.

تتّصف تلك الاستراتيجية بالشمولية والعروبية، علماً أنّ تنفيذ هذه الاستراتيجية يحتاج إلى تعاون وتنسيق بين الجامعات في القطر الواحد، ثمّ على مستوى الجامعات العربية، ومن هنا أقترح الآتي:

1. تنسيق جهود المؤسّسات والأفراد في وضع المصطلح العلمي، بغية توحيد المنهجية في بُعدها العام وضرورة الاستفادة من المنهجيات الغربية.

2. جعل مؤسّسة واحدة هي المشرّعة والمرجع في مجال المصطلحات العلمية.

3. إجراء دراسات سنوية حول شيوع وتقبّل المصطلحات وتدارس النتائج.

4. تنشيط لجان التعريب الجامعية وتحفيزها مادياً ومعنوياً، وإشراكها في الندوات والمؤتمرات ذات العلاقة بالمصطلح.

5. إقامة دورات للأساتذة الجامعيين في التخصّصات المتجانسة على المستويين المحلي والعربي، يتمّ فيها التعريف بالأبحاث والمصطلحات، وتشجيع الأساتذة بالانخراط في تلك الدورات والإسهام فيها.

6. اهتمام الجامعات العربية بعلم المصطلح، وإقراره على الطلبة ضمن مساقات التدريس.

7. ربط الجامعات ببنوك المصطلحات العلمية العالمية.

8. السعي لاستحداث بنك عربي للمصطلحات العلمية العربية الموحّدة.

9. لا يوظّف المصطلح العلمي إلا إذا صدر عن هيئة التنسيق العربية : مكتب تنسيق التعريب بالرباط.

10. إيصال نشريات ومجلات ومعاجم المصطلح إلى كلّ قطر عربي.

11. تقبل كلّ الجهات المعنية ما تتوصل إليه المؤسّسة المرجع، وتعمل على تطبيقه دون تلكؤ.

12. السرعة في إخراج الذخيرة اللغوية إلى حيّز التوظيف.

13. توظيف الأصوات العربية الإضافية : ب / ق / ك / ز. التي نصّت عليها كلّ المجامع اللغوية والمؤسّسات الثقافية العربية. ونهيب بالحِرَفيين والصُنّاع والبرمجيين الذين تقع عليهم مسؤولية تجسيد هذه الأصوات في منظ ومة الخِطاطة العربية.

مستقبل اللغة العربية:
حوسبة المعجم العربي ومشكلاته اللغوية والتقنية أنموذجا

الدكتور: عبد الله أبو هيف
سورية

تواجه اللغة العربية تحديات راهنة ومستقبلية كثيرة، مما يستدعي عمليات النهوض بواقعها ومجاوزة أوضاع التهميش والإهمال والركود في معالجة مشكلاتها المتصلة بمخاطر الاستتباع والهيمنة والعولمة، ما لم تواجه هذه المشكلات بالإسهام العربي في إنتاج مجتمع المعلومات، وثمة خطر أشد ناجم عن الضعف العربي الداخلي في النظر إلى هذه المشكلات لدى الجهات المعنية باللغة العربية، ومن وزارات التربية والثقافة والإعلام والتعليم العالي، إلى المجامع اللغوية ومؤسسات البحث العلمي والنشر والمعنيين باللغة علماء وأدباء وفنانين وفنيين استسلاماً أمام هذه التحديات ومؤثراتها الأجنبية المتفاقمة، على أن الأمر يتعلق بمسالة حية، هي أن مواجهة العولمة تعني الإسهام في امتلاك سلطة المعرفة بمفهومها الجديد

الذي لا يخرج كثيراً عن أهداف مجتمع المعلومات في إثارته لقضايا حقوق الإنسان وحرية الرأي وإدارة الإنترنت والتنوع الثقافي، وتسمي بعض الأطراف الأمر الأخير "الاختلاطات الثقافية" عند التذرع بمواجهة العولمة، ويستدعي ذلك، بالنسبة للغة العربية ربط المعلوماتية بالتنمية اللغوية، لأن المشكلات اللغوية لا تتصل بالجانب اللغوي وحده، فثمة اندماج واسع وعميق للغة في مجتمع المعلومات المستقبلي إذا أردنا المشاركة فيه والانضواء تحت لوائه، وإذا كان مجتمع المعلومات ما يزال في مرحلة الطفولة كما أشارت القمة العالمية لمجتمع المعلومات (جنيف 17 كانون الأول 2003)، فإن الإسهام في إنتاج المعلومات هو المنطق الرئيس لمواجهة التحديات الراهنة والمستقبلية، وتستند هذه المواجهة للتنمية اللغوية إلى حلول قومية ووطنية للبنية التحتية للمعلوماتية، بجوانبها "الاقتصادية" و "حماية الملكية " و "الأمن الثقافي" وغير ذلك والتعليم المتخصص، وأظهرت القمة المذكورة أن تحدي اللغة وثيق الصلة بتحدي التعليم والتدريب التقني على المعلوماتية[1] لإدخال اللغة العربية في مجتمع المعلومات المقبل الذي بدأت علاماته وبشائره بالنسبة للكثيرين بالإشراف والفاعلية، ولعل أهم مشكلة مستقبلية بالنسبة للغة العربية وتنميتها هي الإسهام في تقليص الفجوة الرقمية بين المجتمعات العربية ومجتمع المعلومات.

---

[1]. قمة المعلومات (جنيف 2003) هل تقلص الفجوة الرقمية؟ في مجلة "السياسة الدولية" (القاهرة)، ص 69 . 86.

1. مقدمة (تأطير علاقة اللغة العربية بالحوسبة):

شكلت نظرية المعلوماتية، ولا سيما الحوسبة، تحديًا معرفيًا بالنسبة للغة منذ نضوج هذه النظرية النسبي في أربعينيات القرن العشرين، ورأي ميلكا افيتش Milka Ivit في كتابه "اتجاهات البحث اللساني" Tends in Linguistics أن هذه النظرية طورت الدرس اللغوي المعاصر بتعاضدها مع المناهج المعرفية الحديثة مثل اللسانيات البنيوية، "فيما وضحته من أن اللغة نظام يتشكل من وحدات محددة تحديدًا دقيقًا، ويرتبط بعضها ببعض بعلاقات متبادلة، وأن هذه الوحدات محدودة من حيث العدد، وليست كبيرة، ولكن توليفاتها تمتد إلى ما لا نهاية. واعتماداً على هذه المقولة نجح علماء الرياضيات في تطبيق منهجهم التحليلي على اللغة "[1] .

ونهض البحث العلمي الذي أفضى إلى حوسبة اللغة على مميزات متعددة لابدّ من مراعاتها والأخذ بها مثل العلاقة بين المنطوق والمكتوب، والعلاقة بين الصريح والضمني والعلاقة بين اللغة ومفاتيحها الرمزية والرقمية (شيفراتها)، والعلاقة بين قواعد الاستصحاب اللغوي (أصل الوضع ـ أصل القاعدة ـ العدول عن الأصل ـ الرد إلى الأصل..)، والعلاقة بين بلاغية اللغة وبلاغتها التي تؤدي إلى تفاقم عمليات التناقل المفتاحي الآلي (الشيفري)، والعلاقة بين اللغة والمفتاحية الآلية (التشفير)، والعلاقة بين الحوسبة والوحدات اللغوية المختلفة (المعجمية ـ الصرفية ـ الصوتية ـ النحوية ـ الدلالية ـ التركيبية) ضمن بناها الخاصة لدى التوليد والتحويل والتوزيع.. الخ. ويتطلب ذلك الإجابة على مصاعب جمة، هي تحديات في الوقت

---

[1]. اتجاهات البحث اللساني : ميلكا افيتش، ص 432.

نفسه فيما يخص الأصول والزوائد من السوابق واللواحق، ونحوية الآلة وإجراءاتها التقنية التالية، ناهيك عن مسائل التواصل القائمة على الحلول التقنية للمجاز والاستعارة والرمز والأمثولة والتمثيل الثقافي الذي ينتقل من ثقافة الكلمة إلى ثقافة الصورة، وفي سبيله للتأطير بالثقافة الرقمية.

لقد تنبه اللغويون العرب مبكرا إلى ضرورة العناية باللغة العربية والتنبه للمخاطر المحدقة بها فيما يفرضه العصر من تحديات، فأفتى عدد كبير من كبار الكتاب والأدباء عام 1923 بفتاواهم لصون لغتهم وتطورها "إزاء المدنية الغربية الحديثة وما يجدر به أن يقتبسه منها إلى غير ذلك من المسائل الخطيرة التي تشغل أذهان المفكرين"[1]. ورأى المفكرون العرب أن تحديث اللغة العربية يستدعي استخدام المعاجم والقواميس في شكلها الجديد والمعاصر من مبتكرات الحضارة وعلومها التي تسير في العالم بخطوات سريعة لا يمكن اللحاق بها دون جهود مخططة ومبرمجة ومدروسة وهو أمر لم يعدّ العرب أنفسهم له، بوصفها مشكلة حضارية في اعتقادهم، وأضاف معن زيادة (لبنان) على سبيل المثال "أن حل المشكلة اللغوية يكون عبر المزيد من التعليم والثقافة وارتفاع مستوى العلم والمعرفة"[2].

ولطالما دعا اللغويون العرب إلى تنمية اللغة العربية في العصر الحديث، ولا سيما تطوير المعاجم العامة والخاصة، فكتب عبد العزيز بن عبد الله (المغرب) أن المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي الذي تأسس عام 1961 عني ببحوث العلماء والمجامع اللغوية وبنشاط الكتاب

---

[1]. "فتاوى كبار الكتاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية ونهضة الشرق العربي وموقفه إزاء المدينة الغربية" . ص3.

[2]. المصدر نفسه. ص 228.

والأدباء والمترجمين، وبالتعاون مع شعب التعريب في البلاد العربية، وبالعمل بكل الوسائل الممكنة على أن تحتل اللغة العربية مكانتها الطبيعية في الثقافة العربية، وبمتابعة حركة التعريب خارج حدود الوطن العربي، وأورد إنجازات هذا المكتب في تنسيق المصطلحات، وتأليف المعاجم العملية والمعاجم الخاصة بالمصطلحات الحضارية كجزء من معجم المعاني والمعجم المقارن الهادف إلى تفصيح العامية، وإصدار دورية فصلية "للسان العربي"... الخ[1].

واللافت للنظر أن غالبية اللغويين العرب غفلوا عن تأثيرات الحوسبة على الدرس اللغوي العربي، ومنه المعجم حتى وقت متأخر، فكتب أحمد أبو سعد (لبنان) عن "المعاجم العربية في واقعها الرهن وخطة تطويرها" عام 1997، واقتصر في رسم الخطة المتبعة في وضع المعجم المنشود على ثلاث تجارب قام بها، لا علاقة لها بحوسبة المعجم، وهي جمعه ألفاظ الحياة الدائرة على ألسنة العامة من أبناء الشعب، في البيت والشارع والسوق والورشة والحقل ومجموع تراكيبهم وعباراتهم الاصطلاحية التي يأتون بها في تضاعيف كلامهم، وضمها في كتاب أصدره عام 1987 بعنوان : "قاموس المصطلحات والتعابير الشعبية"، والتجربة الثانية هي قيامه بجمع طائفة كبيرة من التراكيب والعبارات التي استعملت في التاريخ قديمه وحديثه بمعان تتجاوز معانيها المعجمية إلى الدلالة على معان أخرى اكتسبتها من اصطلاح الناس على استعمالها بهذه المعاني، وصدر هذا الجمع في كتاب

---

[1]. "المعاجم الحديثة العامة والخاصة" عبد العزيز بن عبد الله ، في كتاب "تنمية اللغة العربية في العصر الحديث"، ص 132 . 147.

عام 1987 بعنوان : "معجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية العربية القديم منها والمولد"، والتجربة الثالثة هي انصرافه إلى جمع ما يظن من كلام الناس أنه عامي، وهو صحيح فصيح، أو ماهو وارد في قواميس اللغة، ولكنه غير مستعمل في كتابات الكتاب، وغرضه من ذلك أن يعيد الاعتبار لما صح من كلام العامة داعياً إلى استعماله، لما فيه من وهج الحياة، ولاعتقاده أنه قد تتوافر فيه الخصوبة وقدرة التعبير بما لا يتوافر في غيره، وقد ظهر عمله هذا عام 1990 بعنوان : "معجم فصيح العامة". وتأكد اشتغاله المعجمي بعيداً عن الحوسبة في المخطط الواجب الالتزام به، ويتألف من إجراء عملية مسح شامل للمادة اللغوية تشمل نتاج كل العصور، ودراسة ما جمع من المادة اللغوية في ضوء ما تدعو إليه الحاجة وإسقاط المهمل والمهجور، والحرص على إيراد معلومات عن اللفظ أكثر من مرادفه ونقيضه وتفسيره بما يتفق مع العلم، وتقديم الشروح والتعريفات للقارئ خالصة مختصرة واضحة لا غموض فيها، فالمعجم لإزالة العجمة لا للزيادة فيها، وأخذ التطور الدلالي بعين الاعتبار بإثبات معاني الكلمات بما يحقق دلالتها القديمة، والوصل بينها وما تطور إليه معناها في مجال الاستعمال، وفتح صفحات المعاجم لكل ما تولد حديثاً ودمجه في متنها والاستفادة من لغة العامة في ما وضعته لما ليس له مقابل في الفصيح؟[1]

ولعل الاهتمام الأول بحوسبة اللغة هو الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، حين قامت بدراسة مستفيضة أنجزها عدد من المختصين بالمعلوماتية بالدرجة الأولى فقدم محمد بن ساسي (تونس) نبذة

---

[1] . المعاجم العربية في واقعها الراهن وخطة تطويرها : أحمد أبو سعد، ص 224 . 220.

تاريخية عن استخدام اللغة العربية في مجال المعلوماتية، واقترح مروان البواب ومحمد حسان الطيان (سورية) وسالم الغزالي (تونس) أسلوب معالجة اللغة العربية في المعلوماتية (الكلمة والجملة عند الباحثين الأولين والمعالجة الآلية للكلام المنطوق عند الثالث)، ووضع محمد مراياتي (سورية) توصيفًا عملياً لتعامل الأجهزة والمعدات مع الحرف العربي، واقترح محمد بن أحمد (تونس) رؤية علمية للغة العربية والنظم الحاسوبية والبرمجيات، وأكمل أحمد أبو الهيجاء (الأردن) هذه الرؤية، بتحديد المواصفات والمقاييس لتعريب المعلوماتية، على أن اهتمام هؤلاء الخبراء لم يجاوز تشخيص إشكالية حوسبة اللغة العربية إلى حوسبة مكوناتها مثل المعجم والمفتاحية الآلية لعلائقه الكثيرة الناجمة عن هذه الحوسبة، فذكر محمد بن ساسي على سبيل المثال أن الإشكالية قائمة على تقديم حلول لكتابة الحروف العربية في بعض الأقطار والمنظمات العربية التي تطالب بأجهزة معربة، ويستلزم ذلك وضع مفتاحية آلية (شفرة) عربية موحدة، حتى يلتزم بها كل مسوقي تجهيزات الحاسوب، لأن ذلك سند البرمجيات في تعريب التطبيقات الحاسوبية والبرمجيات، وهي عملية تهتم خاصة بإيجاد حد بيني وبين البرنامج والمستفيد باللغة العربية، و"تعريب نظم تشغيل الحواسب وتعريب البرمجيات التي أعدت بطريقة تساعد على تعريبها، وذلك في نطاق ما يسمى بعملية تدويل البرمجيات، وهي منهجية اعتمدت حديثاً، لتغطية الحاجيات المتزايدة لملاءمة البرمجيات إلى لغات ومحيطات ثقافية واجتماعية معينة"[1].

---

[1]. استعمال اللغة العربية في مجال المعلوماتية. نبذة تاريخية : محمد ابن ساسي، في كتاب "استخدام اللغة العربية في المعلوماتية " ص 19.

وأفاد محمد مراياتي أن ثمة إشكالية تستدعي مضاعفة، الجهود لوضع تعامل الحرف العربي مع الأجهزة والمعدات مثل :

"1. ترميز الحرف المكتوب وتقييسه.

2. ترميز الحرف المنطوق.

3. توزع الحروف العربية على لوحة الملامس.

4. تقييس الأقلام العربية وإظهارها على الشاشات والطابعات.

5. تحرير النصوص وتنضيدها.

6. معاملة الحرف العربي على شبكات الاتصال من حيث نقل المعلومات أو أمنها.

7. ضغط النصوص العربية بغية خزنها في ذاكرة الحاسوب اقتصادياً.

8. تحاور المعوقين مع الآلة باللغة العربية".[1]

واعترف هؤلاء الخبراء، أن السعي لحوسبة اللغة مازال قاصراً، "ولابد من الإسراع في العمل في نطاق لجنة عربية موحدة تعمل تحت مظلة عربية حتى نتمكن من التوصل إلى مواصفات عربية موحدة".[2]

وكانت جهود نبيل علي (مصر) الأبرز في درس حوسبة اللغة العربية، من خلال الشروع في البرمجيات التي ميزت بين هندسة اللغة (هندسة) واللغويات الحسوبية (علوم الحاسوب) ونظرية المعرفة (الفلسفة)، تمهيداً

---

[1]. تعامل الأجهزة والمعدات مع الحرف العربي: محمد مراياتي، في المصدر السابق نفسه، ص 79.

[2]. المواصفات والمقاييس لتعريب المعلوماتية: أحمد أبو الهيجاء، في المصدر السابق نفسه، ص180.

لوضع إطار تقانة المعلومات من منظور لغوي. إن علاقة اللغة بهندسة الحاسوب متبادلة حين يستخدم الحاسوب لإقامة النماذج اللغوية وتحليل فروعها المختلفة، وذكر قائمة من تطبيقاتها في مجال اللسانيات هي :

. الصرف الحاسوبي Computational Morphology.

. النحو الحاسوبي Computational Syntax.

. الدلالة الحاسوبية Computational Semantics.

. المعجمية الحاسوبية Computational Lexicology.

. علم النفس اللغوي الحاسوبي Computational Psycholinguisties

ويستدعي كل مجال من هذه القائمة تطويرًا للغات البرمجة التي تقرب بين "اللغات الاصطناعية واللغات الطبيعية، بهدف تسهيل التعامل مع الكومبيوتر دون وسيط برمجي، إن الهدف الأسمى لبرمجة الكمبيوتر هو أن يتعامل الفرد معه مباشرة بلغته الطبيعية، لا من خلال لغات اصطناعية مثل البيسيك والفورتران والكوبول وخلافه.. يمكننا القول إن علم اللغة الحديث قد دخل إلى مصاف العلوم الدقيقة من المدخل السليم، فقد قام على النموذج الرياضي للنحو التوليدي الذي يتميز بقابلية عالية للمعالجة الآلية Computationally، وبالتالي للتطبيق الهندسي العملي"[1].

ويلاحظ أن الدراسات اللسانية العربية قد حوت " محاولات جادة لتطويع تقنيات الحاسوب للغة العربية بما يتوافق مع شخصيتها ومحارفها ورسومها من جهة، ولمواءمة قواعد اللغة العربية وخصائصها للحاسوب من جهة

---

[1]. الثقافة العربية وعصر المعلومات: نبيل علين ص 207 . 208.

أخرى، بادئة ببرمجة الحروف والنصوص العربية بهدف تحسين الاتصال الآلي بين الإنسان والحاسوب"[1] .

ونجم عن هذه المحاولات إشكاليات تتطلب المعالجة المستمرة، ولا سيما المعرفة اللغوية الصرفية والتركيبية والدلالية كما أشرنا، إذ لا يتعلق الأمر بالاشتقاق والنحت أو بظاهر الألفاظ فحسب، بل يجاوزه إلى التأصيل والمقارنة والعقلنة والنظم المستوعبة لثنائيات اللغة الجمة كالأصل والدخيل والفصيح والعامي والعربية والأجنبية والعربية والفئوية المحلية..الخ.

وتتفاقم هذه الإشكاليات ما لم تتلاق الوظائف الحاسوبية في تثمير أبعاد اللغة العربية وإثراء معانيها وخصوصيات بناها كالحاسوب النسبي Analog والرقمي Digital، نحو تفعيل النظم الإشارية والرمزية والدلالية للكلمة في نسيجها التركيبي والمجازي.

2. اللغة العربية وتحديات الحوسبة:

ثمة تحديات كثيرة للحوسبة أمام اللغة العربية من النشر الإلكتروني وأهمية تعريبه إلى شمولية منظومة اللغة العربية بالحاسوب، وأكتفي بالإشارة إلى قضية التفكير العربي بالحاسوب، وتطوير استطاعة اللغة العربية المعلوماتية، تمهيداً للنظر في حوسبة المعجم العربي ومشكلاته اللغوية والتقنية.

إن النظر في تحديات المعلوماتية أمام اللغة العربية يستدعي مواجهة قضية التفكير بالحاسوب، كتابة وتثقيفاً واستعمالات تقنية في المهن

---

1. اللسانيات والحاسوب واللغة العربية: مازن الوعر، في صحيفة "رؤى ثقافية " (دمشق).

والأعمال الكثيرة التي يقوم بها الحاسوب. وثمة من يبادر إلى القول إننا ربحنا أشياء مثل السرعة والتخزين والخيارات الآنية ولكننا خسرنا أشياء مثل التدقيق والتأمل والمراجعة الأسلوبية. غير أن القضية أعقد من ذلك بكثير، لأنها متعددة الأوجه والإشكاليات من النطق إلى الكتابة إلى الإيصال إلى الابتكار والإبداع مما يتعلق بطبيعة اللغة نفسها وبخصائص اللغة العربية في استخداماتها المعلوماتية، وقد ثبت بالممارسة طواعية اللغة العربية لتقانات المعلوماتية، سواء في أساليب معالجة الكلمة والجملة، أم في المعالجة الآلية للكلام المنطوق، أم في تعامل الأجهزة والمعدات مع الحرف العربي، والأهم قابلية اللغة العربية واستطاعتها المثلى لاحتواء النظم والبرمجيات الحاسوبية، مثلما ثبت أيضا سعة ميادين استخدام اللغة العربية في المعلوماتية كالتوثيق والتخزين والتعليم والتعريب والإبداع والاتصال، فحلت المشكلات المتصلة بالحرف العربي، وصارت المعدات والأجهزة متوافرة نسبياً، ولا سيما أعمارها ومدى انتشارها الإقليمي، والمقدرة على الإنفاق المتواصل عليها، لمجاوزة صعوبات إنجاز برمجيات ونظم متداخلة ومتطورة، وساعد على ذلك اتساع سوق المعلوماتية العربي، مما جعل شركة "ميكروسوفت" تتيح تداول عدة نظم معلوماتية مكروية تأخذ بعين الاعتبار خصوصيات اللغة العربية، حتى غدا ميسوراً استخدام اللغة العربية في ميادين الابتكار، والإبداع، والاتصال، عن طريق الذكاء الاصطناعي، وتطويع الخيال المعلوماتي وتقاناته لحاجات استعمال اللغة العربية.

ويذكر محمد بن ساسي (تونس) إشكاليات متعددة لابد للمعنيين باستخدام اللغة العربية في المعلوماتية أن يواجهوها، شأن المشتغلين باللغات

الأخرى، بالنظر إلى التقدم الهائل والمتسارع لتقانات المعلوماتية وإمكاناتها الجبارة مثل "الإشكالية التي كانت متمحورة حول الحرف العربي، فأصبحت الآن متمركزة حول اللغة ككل من مصطلحات إلى معالجة الكلمات والجمل، (استخراج الجذور . تطبيق الأوزان . وضع خوارزميات للغة) من ناحية أولى، وتوفير تطبيقات تلبي حاجة المستفيد من ناحية ثانية، كما أن التقييس لم يؤد دوره إلا في بعض الحالات النادرة، فالمواصفات العربية لم تطبق في غالبيتها، لأن الأقطار العربية لم تتخذ الإجراءات العملية لتطبيقها، ولم تقم بالعمل التحسيسي اللازم. وثمة أيضاً ضعف المصطلحات وفقدانها الذي أصبح عائقاً مهما أمام تعريب المعلوميات ونشرها والاستفادة منها على أحسن الوجوه".[1]

إن ثمة جهوداً كبيرة مبذولة اليوم بين علماء العربية والمعلوماتية لمواجهة مثل هذه الإشكاليات، وأشير، على سبيل المثال، إلى جهد توصيف العربية، مثلما فعل نهاد الموسى (الأردن)، تمهيداً لإدخال اللغة العربية وقواعدها وخصائصها في المعلوماتية، إذ "يتوجه الوصف بكلّ ما ينظمه من عرض النظام اللغوي إلى الإنسان بما ركب في العقل الإنساني من قابلية لإدخال هذا النظام بقواعده ومعطياته وآليات عمله في معالجة ذلك وبرمجته. وهي قابلية كامنة في العقل الإنساني تزوده بحدس قادر على ملء ثغرات الوصف"[2].

---

[1]. "استخدام اللغة العربية في مجال المعلوماتية: نبذة تاريخية"، مصدر سابق، ص : 20.

[2]. التوصيف : مقارنة في حوسبة العولمة" : نهاد الموسى، في كتاب "مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية" ص : 0390

ومبلــغ القــول، حســب نهــاد الموســى، أن الوصــف للإنســان، وأن التوصيف للحاسوب، فللإنسان حدس، وليس للحاسوب حدس، وللإنسان فهم وليس للحاسوب حتى الآن، فهم. ويفيد هذا الرأي أن توصيف اللغة يتخذ بعدين آخرين : كمياً ومنهجياً، أما الكمي فيتعلق بالذاكرة الحافظة ؛ ذلك أن ذاكرة الحاسوب تفوق الذاكرة الفردية من هذه الجهة؛ إذ يمكنه استيعاب معجمات اللغة ونصوصها بل تراثها جميعها، فإذا رتب له المرء مفاتيح ذلك أمكنه استدعاء كل ما شاء من المعطيات التي يشتمل عليها، بأسرع وأوسع مما تطيقه الذاكرة الفردية[1].

ولو تأملنا فضاءات استخدام اللغة العربية في نظم تشغيل المعلوماتية لهالتنا النتيجة على الرغم من أن مجهودات التعريب، حسب محمد بن أحمد (تونس)، لم تكن في مستوى هذه الأهمية الوظيفية، ويمكن تفسير هذا العزوف بصعوبة الموضوع وبضرورة تشريك أو إقناع مصنعي الحواسب بهذه الضرورة، فمازال موقف الشركات المصنعة للحواسيب متوسطة الحجم وكبيرته يعتمد على إقرار ضرورة تشغيل الحواسيب في محيط ثقافي مغاير للمحيط الذي شهد نشأتها دون الاقتناع بضرورة استنباط نظام تشغيل يكون عربي التصميم، والتطوير، والاستفادة.

أي أن مجهودات شركات تصنيع الحواسيب اختارت الاعتماد على قدرتها الذاتية بالتعاون في بعض الأحيان مع خبرات عربية عاملة تحت لوائها، لإصدار نسخ عربية، أو بصفة أدق نسخ من نظم التشغيل قادرة

1. المصدر السابق نفسه، ص 404.405.

علـى التعامـل مـع الحـرف العربـي، تحصـيلاً، ومعالجة،واسـترجاعاً وعرضـاً على الشاشات والطابعات على اختلاف أنواعها.

وبالرغم من تعدّد المعوقات، فإن عزيمة تطويع تقانة المعلوميات في مختلف أبوابها كانت وراء عدد من التجارب، لأقلمة نظم التشغيل، وإن توجهت معظم هذه التجارب إلى نظم تشغيل الحواسب العائلية، والحواسب الشخصية.

وقد باتت تجارب تشغيل المعلوماتية باللغة العربية معروفة، وغدت منطلقاً للتطوير القائم والمستمر من حيث المنهجية والغائية، ولعله من المفيد أن نشير لبعض هذه التجارب:

فالتجربة الأولى: تمت بالكويت من خلال مشروع الأستاذ عبد الرحمن الشارخ وشركته"العالمية" التي صنعت حاسوباً عائلياً "صخر"، يعمل بنظام MSX الياباني والذي تمت كتابته بالعربية مما جعل حواسب من صنف "صخر"، تشتغل في محيط عربي أصيل.

أما التجربة الثانية: فهي التي انطلقت ضمن شركة " أليس ALIS " التي بعثها الأستاذ بشير حليمي الجزائري المنشإ بكندا، والتي حاولت تصميم نظام عربي ARABIC DOS موائم لنظام MS - DOS المطور من طرف بيت البرمجيات الأمريكية MICROSOFT لصاحبها Bill Gates قبل أن تتفق الشركتان على إدماج النسخة العربية ضمن قائمة النسخ المتوفرة بعديد اللغات في نظام التشغيل MS- DOS .

أما التجربة الثالثة: فهي التي حاول من خلالها بعض الخبراء العرب من توفير نظام اليونيكسUNIX بالعربية، تماشياً مع ما لاحظوه من أهمية

متزايدة لهذا النظام، ولسعة استغلاله، سواء على الحواسب الصغرى أم المتوسطة أم الكبرى[1].

ولعلنا بعد ذلك نجاوز الاهتمام بقضية التفكير بالحاسوب إلى المضي عميقاً في تطوير استخدام اللغة العربية وإمكاناتها المعلوماتية[2].

3. حوسبة المعجم العربي:

عدّ محمود فهمي حجازي (مصر) حوسبة المعجم من أهم مجالات علم اللغة الحاسوبي وأكثرها تلبية للمتطلبات العلمية والثقافية في الدول المتقدمة في العالم المعاصر، إذ "يقدم الحاسوب خدمات كبيرة للبحث اللغوي والأدبي، من خلال المعاونة في إعداد معجمات المدونات، والمقصود بمعجميات المدونات كل الأعمال المعجمية التي تقوم على الإعداد المعجمي لمجموع الكلمات الواردة في نص محدد".وتتجلى أهمية الحاسوب في صناعة المعجم فيما يلي :

أ . تعرف الحروف والكلمات آليًا.

. تخزين المادة.

. ترتيب المادة طبقًا للنظام المطلوب.

. استرجاع المادة أو بعضها.

. استكمال أجزاء من المادة أو من الشرح.

---

[1]. " اللغة العربية والنظم الحاسوبية والبرمجيات " محمد ابن أحمد ، في كتاب "استخدام اللغة العربية.." مصدر سابق، ص 125

[2]. " اللغة العربية وتحديات العولمة" عبد الله أبو هيف، في كتاب "مؤتمر اللغة العربية أمام تحديات العولمة" ص 466–498.

. تعديل بعض المعطيات.

. حذف بعض المعطيات .

. النقل المباشر إلى المطبعة.

. تجديد المعجمات بسهولة.

. الحصول على أجزاء محددة من داخل المادة المخزونة لبحثها"[1]

وحدد حجازي فوائد حوسبة المعجم الأخرى في المجالات التالية:

ب. أن بنك المعطيات اللغوية يتجاوز تخزين الكلمات إلى النصوص.

. يقوم الحاسوب في العمليات المذكورة "في تقصّي أهمية الحاسوب في صناعة المعجم".

. يخزن النصوص كاملة.

. يفيد في تعريف سياقات الاستخدام.

. في دراسة الأبنية الصرفية والتصريفات.

. في دراسة العلاقات النحوية بين المفردات.

. في دراسة مستويات الاستخدام: علمي/صحافي/رسمي/ ودي...الخ.

ج. بنك المصطلحات شكل من أشكال الحاسوب يقتصر على المصطلحات وما يتصل بها:

. يخزن المصطلحات مصنفة طبقًا للتخصصات العامة والدقيقة.

. يذكر المصطلح ومقابله بلغة أخرى أو أكثر من لغة.

---

[1]. المعجمات العربية وموقعها بين المعجمات العالمية: محمود فهمي حجازي، ص 18.

. يذكر مع المصطلح تعريفًا له.

. يمكن من صنع معجمات المصطلحات وتجديدها وطبعها بسهولة.

. يعاون المترجمين المتخصصين بتقديم المصطلحات لهم.

ـ تكون الإفادة من البنك عن طريق طرفياتTerminal أو بطبع المصطلحات على قرص مدمج CD[1].

وأضاف حجازي فائدة أخرى للحاسوب في مراحل صناعة المعجم لدى متابعة نمو المفردات، وتكون التراكيب في اللغات العالمية الكبرى مما يتيح لصناعة المعجمات بعد ذلك المساهمة في إحداث نهضة حقيقية في سياق ثقافي مجتمعي.

ووجد مازن الوعر أن حوسبة المعجم العربية هامة جداً في وضعه وتنظيمه، "ولكنه يفتقر إلى من يقوم بدراسته، لأن من يبحث في الاتجاه المعجمي قليل أو نادر في العالم العربي، علما أن هناك معاجم حاسوبية وإلكترونية متنوعة في الغرب، تساعد على السرعة والدقة في إيجاد المصطلح للمفهوم المستحدث"[2].

واجتهد خبراء الحواسيب في توصيف حوسبة المعجم، بالنظر إلى منظومتين هما معجم الوحدات الصوتية وبرنامج التأليف، اعتماداً على نظام تأليف الكلام العربي، إذ تخزن الوحدات الصوتية في معجم، وتكون قابلة للاستعمال في كلمات أخرى، وتعالج "كل واحدة منها بوضع علامات على

---

[1]. المصدر السابق نفسه .ص 18 . 19.

[2]. مصدر سابق : مازن الوعر، ص 23.

الجزء الثابت في كل من الصوتين اللذين يكونان الوحدة وعلى فترات التذبذب للأصوات المهجورة"[1]، وإذا كانت حوسبة المعجم تصل إلى تخزين الوحدات الصوتية ومعالجة الكلام المنطوق، فإن معالجة الكلام المكتوب أيسر، وتفيد حوسبتها في البعد الاتصالي من جهة، وفي خدمة اللغة العربية حفاظاً على الهوية الثقافية من جهة أخرى.

وقد بدأت بعض المجامع اللغوية العربية في إنجاز مشروعاتها في إطار "حوسبة الذخيرة اللغوية العربية"، مثل المجمع الجزائري للغة العربية؛ بهدف "حيازة أهم نتاج اللغة العربية، من أدب وعلوم على وسائط حاسوبية، لتوفير بنك معطيات نصية عربية محوسب يمكن نشره عبر شبكة الإنترنت، ومن خلال وسائل رقمية، ليتسنى لأي مستخدم الإطلاع عليه بكل يسر"[2].

وقد أفاد موسى زمولي (الجزائر) إلى علامات هذا المشروع وأسئلته، قبل الخوض في الأجوبة واقتراح الحلول من حيث بداءة مشروع الحوسبة، وشروط انتقاء النصوص لضمها للذخيرة، والمستخدم المستهدف لذخيرة اللغة العربية المحوسبة، فثمة مواقع عربية كثيرة على شبكة الإنترنت تجعل قابليات الوصول إلى برمجيات عديدة متاحة، مثل نظام القرآن الكريم، ونظم المواريث، والحديث الشريف...الخ، وضرورة النسيق فيما يتعلق بإنشاء شبكة بيانات حاسوبية عربية، ومواجهة العوائق الفنية التي تعترض حيازة هذه

---

[1]. المعالجة الآلية للكلام المنطوق: التعرف والتأليف: سالم الغزالي في كتاب "استخدام اللغة العربية في المعلوماتية" مصدر سابق، ص78.

[2]. التجارب الراهنة حول حوسبة النصوص التي تعتمد اللغة العربية" موسى زمولي في مجلة اللغة العربية" ص 274 ـ 288 .

الذخيرة اللغوية، وعرض زمولي أمثلة من التطبيقات الحالية لحوسبة اللغة العربية التي لا تواكب عمليات حوسبة اللغة العربية، ومنها حوسبة المعجم العربي، وأورد عدداً من التوصيات النافعة في هذا الإطار مثل اختيار المؤلفات، واختيار المنهجية، وتحديد الأولويات والاستناد على أبحاث اللسانيات، وضبط الجانب الفني، والمحافظة على سلامة المشروع من خلال اعتماد قواعد وقائية وأمنية، وتأمين الموارد البشرية اللازمة، والتمويل والتشريعات التي تحث المثقفين والمراكز الاتصالية على توفير إنتاجهم على وسائط رقمية، لتسهيل مهمة الاستفادة منها[1] .

وتؤدي حوسبة اللغة العربية إلى تسيير شبكة الإنترنت التي تجمع بين "عدة شبكات معلوماتية فيما بينها، لتسمح للمشتركين فيها في أرجاء العالم بالتجاور فيما بينهم وتبادل المعلومات"، وهذه "أحدث وسيلة اتصال تختزل الوقت والمسافات، وتساهم في رفع مختلف الحواجز التي تحول دون المرور الحر للملومات إرسالا، سواء على مستوى الأفراد أم على مستوى المؤسسات أم الهيئات"[2].

وتلبي شبكة الإنترنت خدمات كثيرة من نظم نقل الملفات والبريد الإلكتروني إلى النقاش الحرّ والتعليم عن بعد والإطلاع على المعلومات، وتتدرج الملفات النصية ومثيلاتها في خدمة حوسبة المعجم العربي مثل الصور الثابتة والأصوات والصور المتحركة والواقع الافتراضي والنص

---

[1]. المصدر السابق نفسه 274 . 277.

[2]. الإنترنت دراسة اتصالية ومصطلحية" : محمود ابراقن، المصدر السابق، ص 200.

المنهل Hyper text (وهو النص الذي يكون مسجلا في ملف يتضمن وسائط اتصالية متعددة كالنص والصورة والصوت)...الخ.

وقد أنجز خبراء المعلوماتية في سورية المعجم الحاسوبي ضمن قاعدة معطيات data base وعلى القوانين الصرفية والنحوية لقواعد الاشتقاق. ويحتوي على جميع الجذور المعجمية الثنائية والثلاثية والرباعية والخماسية. وقد بلغ عددها في إحصائهم 11347 جذراً توزعت على النحو التالي:

115 جذرًا ثنائيًا، وهذه الجذور هي تراكيب لا اشتقاق فيها.

7198 جذرًا ثلاثيًا، وهي أكثر الجذور خصوبة.

3739 جذرًا رباعيًا، وهي دون الثلاثية في الخصوبة.

290 جذرًا خماسيًا، وهي أقل الجذور خصوبة.

واعتمدت هذه الإحصائية على خمسة معاجم أصول هي: "جمهرة اللغة" لابن دريد، و"تهذيب اللغة" للأزهري، و"المحكم" لابن سيده، و"لسان العرب" لابن منظور و"القاموس المحيط" للفيروزأباد، بلغت في مجموعها 43 مجلدًا، ومما يجدر ذكره أن المعجم الأكبر "تاج العروس من جواهر القاموس" ستنجز حوسبته في مطلع هذا العام حسب إعلان المجلس الوطني في الكويت.

كما يحتوي المعجم الحاسوبي على جميع الأفعال الثلاثية والرباعية، المجردة والمزيدة، التي بلغ عددها في الإحصائية 23490 فعلاً، وجميع هذه الأفعال المخزنة في المعجم الحاسوبي سماعية، سواء في ذلك أبواب تصريفها الستة للأفعال الثلاثية المجردة أم صيغ مزيداتها الخمس عشرة

للأفعال المزيدة (12 للثلاثي المزيد و3 للرباعي المزيد)، واشتمل المعجم الحاسوبي أيضاً على المعارف المعجمية السماعية التي لا يطرد فيها قياس، نحو أبواب تصريف الأفعال وحروف التعدية ومصادر الأفعال الثلاثية والأسماء الجامدة والصفات المشبهة.. الخ. أما ما يطرد فيه القياس كالأسماء المشتقة ومصادر الأفعال فوق الثلاثية، فإن المعجم خلو منها، لأن الحاسوب قادر على توليدها وفق قواعد الاشتقاق المحددة لها، ولا حاجة لأن تكون مخزنة في معجمه[1].

4. قضايا تحديات حوسبة المعجم العربي:

ثمة قضايا هي مشكلات ناجمة عن تحديات حوسبة المعجم العربي، ونذكر منها:

4. 1 النحو وتيسيره:

يقدم المعجم، فيما يقدمه، معلومات نحوية أساسية مثل التعدي واللزوم والمطابقة والأفعال الناسخة وأفعال المدح والذم والممنوع من الصرف والتمييز والحال والاستثناء وإعراب الأدوات وتعيين الشواهد والإشارة إلى المسائل النحوية...الخ.

وتتصل المعلومات النحوية بالأسس اللغوية الأخرى، مثل بيان النطق والإملاء وبيان الصيغ الصرفية وبيان الدلالات بدقة وبيان التراكيب السياقية وبيان المستوى اللغوي للكلمة طبقاً لورودها في مستوى واحد أو أكثر من مستوى وبيان الاستخدام المحلي للكلمة، إن وجد، وبيان موقع الكلمة في

---

[1]. أسلوب معالجة اللغة العربية في المعلوماتية: الكلمة الجملة : مروان البواب، (محمد حسان الطيان) في كتاب "استخدام اللغة العربية في المعلوماتية" مصدر سابق، ص 27 . 28.

تاريخ اللغة ومدى كونها بائدة أو مولدة أو محدثة وبيان تأصيل الكلمة في داخل الأسرة اللغوية وصيغ انتقالها من أسرة لأخرى[1].

وتستلزم حوسبة المعجم تحديد المنطلقات التأسيسية في النحو العربي، وهي مجموعة المعايير والمقاييس المعتمدة لدى النحويين العرب الأوائل، والتخفيف من تعددية المدارس النحوية بالتواضع على هذه القواعد الكلية المستمدة من استقراء اللغة في مصادرها الطبيعية: القرآن والحديث النبوي والشعر والنثر. وقد حصرها اللغويون الجدد فيما يلي:

"1. الفصاحة: مواطنها ومقاييسها.

2. مستويات الأداء اللغوي.

3. القراءات القرآنية وموقف النحاة منها.

4. الشواهد الشعرية: المقبولة منها وغير المقبولة.

5. الحديث النبوي: هل يستشهد به؟ ولماذا؟

6. منهجية البحث: تطبيق أكثر مناهج العلوم المختلفة على النحو"[2] .

وتتصل منهجية البحث في تقرير الظواهر النحوية بمفهومها العام باعتماد المنهج الوصفي القائم على الإحصاء من جهة، وتطبيق بعض أفكار المنهج التاريخي والمقارن من جهة أخرى، وقد لاحظ بعض اللغويين في وقت مبكر أهمية تقرير الظواهر النحوية من سيرورتها التقليدية وقوانينها الخاصة، لا تطبيق أفكار النحو الأوروبي أو المناهج الحديثة مثل القواعد

---

[1]. حجازي، محمود فهمي: مصدر سابق، ص : 17.

[2]. المنطقات التأسيسية والفنية إلى النحو العربي: عفيف دمشقية، ص9.

التوليديـــة والتحويليـــة (تشومســكي) أو نظريـــة التواصـــل ومســألة الــنظم (ياكوبسون)...الخ.

فذكر عبد الصبور شاهين (مصر) في مقدمته لتعريب كتاب هنري فليش Henri Fleish " العربية الفصحى: نحو بناء لغوي عربي جديد " . L'ARABE CLASSIQUE Esquisse D'une structure l'inguistique . أن مشكلة الدراسات اللغوية العربية "مشكلة مصطلحات، فمازال أساتذة علم اللغة الحديث من العرب يحاولون أن يضعوا ترجمان ومقابلات لما يصادفون من مصطلحات غربية، نتجت من اختلاف التقسيمات أو تصحيح المدلولات"[1].

ولعل تأمل دراستين تأخذان بنظريتي تشومسكي وياكوبسون المشار إليهما آنفًا يفصح عن صعوبة تطبيقهما على اللغة العربية ما لم تثمر لدى مواءمتها للمنطلقات التأسيسية للغة العربية صوتية وصرفية ونحوية وتركيبية ودلالية. إن نظرية تشومسكي على سبيل المثال تسند إلى دراسة المبنى اللغوي، ولا سيما وصف بنية الجملة وعلائقها، بالكلمة وكيفية إقامة قواعد عامة تتيح استنباطها بطرق صورية، ورأى عادل فاخوري (لبنان)، واضع كتاب "اللسانية التوليدية والتحويلية" أن ثمة عدم مقدرلهذه القواعد التوليدية على تفسير كثير من التراكيب اللغوية العربية، مما دعاه إلى معالجة القواعد التحويلية وتطبيقها على اللغة العربية. غير أن الصعوبة تتفاقم لدى تطبيقها بمعزل عن اندغامها بقواعد اللغة العربية، فاستدل من هذه الشواهد وغيرها الكثير في لغة العرب "أن للجملة، إلى جانب البنية الظاهرة، بنية مقدرة

---

[1]. العربية الفصحى :نحو بناء لغوي جديد" هنري فليش، ص 14.

تضبط خواصها الجلالية، فلكي يؤدي النحو حسابًا عن هذا التمييز، وجب أن يتضمن من جهة قواعد بنيوية تستطيع توليد البنية المقدرة الأصلية للجملة ومن جهة قواعد تحويلية تشرح مراحل الانتقال من البنية المقدرة إلى البنية الظاهرة"[1].

وتتضاعف الصعوبات لدى التعامل مع نظرية ياكوبسون، لأن قانون اللغة العربية يختلف كلياً عن قانون اللغة الإنجليزية، لأن التغيرات الصوتية تقتضي تغيرات في الدلالة، وهذه الفرضية تستلزم تمييزاً بين العناصر الدالة في النظام الصوتي التي يترتب عن تغيرها تغير في المعنى والعناصر غير الدالة أو الخارج . نحوية التي ترتبط إما بمجازات صوتية تعبر عن عاطفة أو انفعال، أو بتلوينات صوتية مصطنعة كالتي نلاحظها في اللغة اليومية. ويحدد عبد القادر الغزالي (المغرب) إطار الصعوبة بقوله: " وهكذا تعتبر مسألة تعيين الحدود بين العناصر الفونولوجية (الصوتية) والعناصر الخارج نحوية من القضايا الأولية التي يمكن بواسطتها اكتشاف الخروقات المتنوعة التي يحدثها الشكل الشعري على اللغة"[2].

وسعى الشريف ميهوبي (الجزائر) في كتابه "دراسة في التطور والتأصيل" إلى تثمير الدراسات المقارنة في استخلاص القواعد النحوية دون الاستغراق في التباسات ثنائيات اللغة، لأن التأصيل نفسه شديد الصلة بالقواعد النحوية، وقد طبق مفهومه للتطور والتأصل في معالجة "تطور الفعل الرباعي في العربية ولهجاتها مقارنة بأخواتها الساميات"، للإجابة على أصالة الرباعي من حيث

---

[1]. اللسانية التوليدية والتحويلية: عادل فاخوري، ص 23.

[2]. اللسانيات ونظرية التواصل " عبد القادر الغزالي، ص : 78 – 70.

دراسة جوانب **بناء الفعل أو الصيغة** ونشأتها، وكيف تطورت، وقد استعان بأهم الكتب النحوية والصرفية المتخصصة واللغوية العامة، ودعم آراءه بقراءة المعاجم اللغوية المتداولة، وتؤدي مثل هذه الدراسة إلى "فهم كثير من الأصول ومعرفة امتداداتها وتطوراتها"[1].

لابد من تقعيد النحو دون تشعبات وتلوينات ناشزة عن أطر القواعد العامة لدى حوسبة المعجم،ويضاف إلى ذلك مسعى التيسير النحوي أو تجديده لمجانبة الإفراط في تفاصيل القواعد النحوية، مثلما فعل شوقي ضيف (مصر) في كتابه "تجديد النحو" (1982)، وقد جعل محمود أحمد السيد (سورية) الإخلاص لقواعد النحو العربي السبيل الأمثل للارتقاء بواقع تعليم النحو ومساعدة المتعلمين على اكتساب مهاراته، وهو أحد مداخل حوسبة المعجم العربي، من أجل "الإبقاء على المصطلحات النحوية التي خلفها لنا أجدادنا القدامى، وما من لغة في العالم إلا ولها قواعدها ومصطلحاتها"[2].

وأضاف السيد ملاحظة أخرى تنفع بتقديري في حوسبة المعجم العربي، "بالابتعاد عن الشذوذات والاستثناءات والتركيز على الموضوعات النحوية الوظيفية التي تخدم المتعلم في حياته، وتلبي حاجاته. وتسهل له عملية التفاعل الاجتماعي بحيث يقرأ بصورة سليمة، ويكتب بأسلوب سليم، ويستمتع فيفهم بصورة صحيحة فينقل رسالته بوضوح إلى الآخرين"[3].

---

[1]. دراسة في التطور والتأصيل : تطور الفعل الرباعي في العربية ولهجاتها مقارنة بأخواتها الساميات : الشريف ميهوبي، ص : 10.

[2]. من مواضع تيسير تعليم النحو وحلول مقترحة: محمود أحمد السيد، في مجلة "اللغة العربية " (الجزائر) ص:80.

[3]. المصدر السابق نفسه ص 71 – 72.

وقد كان عبد اللطيف الخطيب محقاً في نتيجة فحصه وتقديمه للبحث النحوي والصرفي في "تاج العروس" إزاء الإفراط في "تتبع شوارد المسائل النحوية وأوابدها بما يتجاوز طاقة المعجم في غير ما ضرورة ملحة[1] .

وتتكرر مثل هذه الملاحظات لدى الكثير من اللغويين والباحثين العرب على أنها "جوهر أزمة النحو"، وتتمثل برأي فتحي أمبابي (مصر) في مشكلتين/ "الأولى تهافت المصطلح، والثانية هدر المنطقة (؟)، إذ أن المشكلة لا تقتصر على التخلص من الأحاجي والطلاسم التي صنعها النحاة في طرقها المثقلة للغة وصناعة نحوها وبناء قواعدها. وإنما بنية المصطلح النحوي وتصنيفه وطريقة وصفهم للنسق اللغوي وتنظيم اللغة الداخلي وعلاقتها بالعقل المنشئ لها" [2].

واقترح أمبابي بعد ذلك نماذج أخرى لبناء الجملة، طبقاً للمنطق الأرسطي، كاختبار مبدئي يستند إلى مجموعة من القواعد، مثل الكلي والثابت والعام والشامل والتعيين المباشر للدلالات التي يطلقها اللفظ في كل من المعنى ونسق الجملة، والتشكيل طبقاً للمبني، بما يعني الإسقاط الصريح للإعراب، وتحويل المعرب على وجه الإجمال إلى السكون، وبما يقترب حثيثاً من المنطوق.

دعا خبراء المعلوماتية إلى تقريب قواعد النحو من مفهوم النحو التوليدي، وهي أن تصاغ "في صورة قواعد رياضية يمكن من خلالها توليد العدد اللانهائي من التعابير اللغوية المسموح بها في اللغة. تماماً كما تولد

---

[1]. "البحث النحوي والصرفي في تاج العروس" : عبد اللطيف الخطيب، ص :19.

[2]. تحرير اللغة تحرير للعقل وإعادة منهجية : فتحي أمبابي، في كتاب: "قضايا فكرية" مصدر سابق، ص 287.

معـادلات المتواليـات العدديـة والهندسـية العـدد اللانهـائي مـن سلاسـل هـذه المتواليات، وكما تولد معادلة الخط المستقيم (أ س +ب ص + ج = صفر) في الهندسة التحليلية جميع حالات الخط المستقيم عن آخرها".[1]

وأضـافوا إلـى النحـو التوليـدي قابليات النـهج الحاسوبي الـذي يقوم علـى نظـام رياضــي لكتابـة قواعـد النحـو، وفقـاً للنمـوذج اللغـوي المتبـع، وتنظـيم منهجي ليكفيه تسجيل هذه القواعد وكذلك مفردات المعجم التـي تطبق عليها، لتغدو تقانـة (تكنولوجيا) المعلومات أداة لمكننـة المعجم العربـي. وقد ظـهرت، ومازالت تظهر،نماذج نحوية عدة، وهي تمثل النتاج الوفير للتفاعل الشديد بين النحويين والدلاليين من جانب، واللغويين وعلماء الحاسوب من جانب آخر. وأورد نبيل علي قائمة بأسماء هذه النماذج النحوية، وهي:

- نحو توليدي تحويلي: TGG Transformational GENERATIVE Grammar.
- نحو الحالات الإعرابية: C G : Case Grammar.
- نحو الرابط العاملي: GB : Government Binding Theory.
- نحو وظيفي: FG : Functional Grammar
- نحو وظيفي معجمي: LFG : Lexical Functioal Grammar
- نحو علائقي: RL Relational Grammar
- نحو مقولي: CG: Categorical Grammar

---

[1]. الثقافة العربية وعصر المعلومات، مصدر سابق/ ص 266 – 267.

– نحو شبكات الانتقال المعززة: ATN . Augmented Transition NET Works.

– نحو البنية العامة للجملة: GPSG : Generalized Phrase structure Grammar

– نحو بنية الجملة المعتمدة على الرأس: HPSG : Head phrase Structure Grammar

– نحو ترابطي: UG :Unification Grammar.

وأراد نبيل علي باستعراض هذه النماذج أن يظهر "كيف يتجاوب مهندسو اللغة مع منظريها، وذلك حتى نثبت للقراء مدى الثراء النظري والتكنولوجي الذي تحظى به اللغة في عصرنا الحالي"[1]. وأوضح تالياً أن البنية الداخلية لمنظومة اللغة تقوم على محوري **نظام القواعد** الذي يشتمل على قواعد الفروع اللغوية المختلفة : الصوتيات والصرف والتراكيب (النحو) والدلالة وما يضاف إليها من نظام الكتابة **ونظام المعجم** الذي يشمل مفردات اللغة ومعانيها ضمانة للمعالجة الآلية للغة وتفعيلاً لعلاقة النحو بحوسبة المعجم، إذ تمثل العلاقة بين نظام القواعد والمعجم إحدى الخصائص الأساسية التي تميز لغة عن أخرى. ولابد في جميع الحالات "أن يوفي المعجم بمطالب الفروع اللغوية المختلفة : مطالب الصوتيات فيما يخص كيفية نطق الكلمات، ومطالب الصرف فيما يخص الاشتقاق والتصريف، ومطالب النحو التركيبي فيما يخص أنماط السياق اللغوي الذي ترد به هذه المفردات والذي تحدد . بناء عليه . معاني الكلمات"[2].

---

[1]. المصدر نفسه، ص 267.

[2]. المصدر نفسه، ص 286 – 287.

وإذا ما تأملنا بعض المعاجم النحوية المتخصصة مثل "معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم" الذي وضعته مكتبة لبنان وراجعه الشيخ محمد فهيم أبو عبية (الط 1 ، الط 2 . 1990 – 1994)[1] نجد أن تيسير قواعد النحو فيه تسهل حوسبته إلى حدّ كبير.

2.4. التغيرات الدلالية:

تتصل المادة المعجمية اتصالاً وثيقاً بالمعنى أو بالدلالة وقابليات تبدلها أو تغيرها من استعمال لآخر ومن مستوى لآخر، وثمة معاجم لغوية فقهية (فقه اللغة) ومعاجم المعاني ومعاجم البلاغة ومعاجم المصطلحات اللغوية..الخ.

وهناك عشرات المعاجم التي تتدرج في هذه التصنيفات، وتتحدد طبيعتها في مراعاتها لذكر الدلالة اللغوية والدلالة السياقية والصوغ الاصطلاحي والصوغ الذي يتناسب مع حدود التعريفات والدلالة المجازية ودلالة المفارقة ..الخ، لأن مسألة الفروق الدلالية متعددة الصياغات، ولا تقتصر على الدلالة الأصلية حيناً أو الدلالة الجتلبة حيناً آخر، بل تعاين هذه الفروق في عمليات التغيرات الدلالية. وإذا نظرنا على سبيل المثال في أهم معجمين للمعاني في اللغة العربية برأي بعض اللغويين، وهي "فقه اللغة وسر العربية " للثعالبي و"المخصص" لابن سيده، فإننا واجدون أنهما لا يحيطان بالفروق الدلالية، ولا يعنيان بالتغيرات الدلالية في تشكلها ومستوياتها ومراحلها ووظائفها.

---

[1]. "معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم".

وإذا نظرنا في عديد المعاجم الفقهية اللغوية مثل "المغرب في ترتيب المعرب" للمطرزي، فإننا نجد التداخل بيناً بين الفقه الشرعي (الحنفي) واللغوي، مما يغفل عنه واضع المعجم عن تضافر المعنى اللغوي الوضعي، وأشكال الدلالات غير المباشرة، السياقية وسواها.ودعا اللغويون العرب إلى العناية المعجمية بالتغيرات الدلالية التي لا تحيط بها الحوسبة تماماً،لأن هندسة اللغة أو حوسبة اللغة تستدعي التوافق بين المعنى المباشر ومضاعفاته الدلالية الناجمة عن الأسلوبية والمجاز والاستعارة والرمز والأمثولة والتمثيل الثقافي وسوى ذلك.ولا يخفى أن معالجة اللغة آلياً ضمن مراعاة نظام القواعد والاستعمال اللغوي والتطور التاريخي تلقي بظلالها الكثيفة على حوسبة المعجم، ولا يستوي نظام التحليل الدلالي الآلي الذي يستخلص معاني الكلمات استناداً إلى سياقها دون العناية بالفروق الدلالية التي تستلزم التحليل الدلالي بالنظر في الجهود الدلالية العربية القديمة وتجلياتها التطبيقية، وأفادت طيبة الشذر (الكويت) "أن الخلاف في وقوع الفروق اللغوية سببه اختلاف اللغويين والمفسرين في النظرة إلى فكرة المعنى اللغوي وتباين مواقفهم ومناهجهم في النظر إلى اللغة، إضافة إلى ذلك ما تركته النظرة العقلية والمنطقية من أثر واضح عند العلماء ومنهجهم في تناول الفروق لاقتران حدوثها بالظروف اللغوية عامة، وبالتطور الدلالي خاصة"[1].

[1]. الفرق الدلالية في التراث اللغوي : طبيبة الشذر / في "المجلة العربية للعلوم الإنسانية" (الكويت)، ص : 60.

ولو أمعنا النظر في سريان فاعلية العناية بالتغيرات الدلالية لوجدنا أن المعجم خير معين لذلك، ناهيك عن حوسبته التي تلتمس التوظيفات الدلالية التطبيقية فيما أثبتته الجهود الدلالية العربية القديمة.

وأظهرت دراسات أخرى للغة ودلالاتها أن المناهج اللسانية الحديثة باستنادها إلى هندسة اللغة وحوسبتها تساعد على التقريب التداولي للمصطلح البلاغي على سبيل المثال، فمن "فضائل التداولية المدمجة في التركيبية، والدليل أنها تلفت نظرنا . بعد الملقي ومعنى ما يلقيه من الكلام . إلى المتلقي والدلالات التداولية (المفترضة والمضمرة) التي تحصل في ذهنه وفي سياق معين وإلى الغاية العلمية والفائدة والنتيجة الفعلية من إلقاء الكلام الفوري أو الدوري...ويعتبر ما ذكرنا مثل المجاز والمشاكلة والتورية والرمز فضلاً عن الكناية والاستعارة والمثل فالتمثيل ثم الأمثولة نموذجاً لم يتأتى ذكره، فالدلالات التداولية لهذه المصطلحات البلاغية تختبئ وراء معانيها الظاهرة. ولابدّ لها من متلق يفهمها في سياقها، ويتصرف وفق هذا الفهم"[1].

وتثمر التغيرات الدلالية على نحو أفضل إذا عولجت الفروق الدلالية ضمن سياقات تعبيرها، ولا سيما أشكالها المجازية.

3.4. وضع المصطلحات وتوليدها:

يتفق معظم اللغويين العرب على أن تطوير الاشتغال على قضايا المصطلح شأن من شؤون مواكبة اللغة العربية للعلوم الحديثة، كما أظهرت ذلك ندوة "**قضايا المصطلح**" (جامعة تشرين 28 – 30 نيسان 1998)، وتنطلق

---

[1]. اللغة ودلالاتها : تقريب تداولي للمصطلح البلاغي: محمد سويرتي، في مجلة "عالم الفكر" (الكويت)، ص 48 . 49.

المسألة برمتها من تطوير المصطلحات اللسانية ومعاجمها الحديثة من حيث قابلية المصطلح لحوسبة المعجم فيما يخص مجاوزة علل الافتقار إلى الدقة والوضوح والاكتمال، إذ يعاني المصطلح اللساني من الارتباك المتمثل في "تعدد المقابلات في المعاجم والمؤلفات والمترجمات، وتبقى محاولة التمييز والاختيار بين المقابلات أو محاولة التوفيق بينها من أصعب المشكلات التي تواجه المعجمي والدارس والمؤلف العربي، ولا حل لها إلا باتباع مبدإ المصطلح المفضل والمصطلح المقبول (Felber 1984)، فالمصطلح المفضل هو المصطلح الموصى، به والمصطلح المقبول أو المجاز هو المصطلح الذي يمكن أن نعده مرادفاً للمصطلح المفضل"[1].

ودعا هليل من قبل إلى التقييس المصطلحي في البلاد العربية، و"هو توحيد التصورات والتقليل من المجانسة homonymy ومن الترادف وإقناع عدد كبير من أهل الاختصاص في حقل من الحقول بأن يعتمدوا تعريفات التصورات في هذا الحقل والمصطلحات المقترح إسنادها لهذه التصورات"[2]

وحدد معوقات التقييس الناجمة عن التباين في المقابلات العربية للمصطلح الأجنبي الواحد فيما يلي:

1. استعمال المقابلات العربية الترجمية لبعض المصطلحات التي يوجد لها مقابلات في التراث العربي، وقد نجد المصطلح التراثي جنباً إلى جنب مع الترجمة الحرفية للمصطلح الأجنبي.

---

[1]. المصطلحات اللسانية ومعاجمها الحديثة : محمد حلمي هليل ، في كتاب "قضايا المصطلح . اللغة العربية في مواكبة العلوم الحديثة" ص 112 . 114.

[2]. التقييس المصطلحي في البلاد العربية : محمد حلمي هليل، في كتاب "اللغة العربية وتحديات القرن الحادي والعشرين " ص9.

2. التردد بين التعريب والترجمة.

3. ترادف المصطلح التراثي نفسه.

4. استعمال الصيغ الاشتقاقية المختلفة مقابلات للمصطلح الأجنبي.

5. تباين طرائق النقل للمصطلح الواحد إلى العربية.

6. التباين في ترجمة السوابق واللواحق والجذر والصيغ الرابطة.

7. الترجمة الحرفية للمصطلح دون الانطلاق من التصور وراء المصطلح.

8. التباين في ترجمة العناصر المصطلحية التي تعبر بشكل متسق عن علاقات تصورية في اللغة المصدر. بسبب هذا التباين لا يتم نقل وظيفة العنصر أو معناه في حقل التخصص كما تفقد الأسرة المصطلحية اتساقها.

9. عدم تعيين الحدود بين المترادفات وتخصيصها.

10. نقص الاهتمام بالمصطلحات المشتركة بين الحقول المتعددة التي سبق نقلها إلى العربية مما يمثل غياب التنسيق في العمل المصطلحي.

11. اختلف علماء العربية من المحدثين والمترجمين في موقفهم من النحت، فعده البعض طريقة مشروعة من طرائق نقل المصطلح فأسرف في استعماله، وقد تسبب هذا الموقف في تعدد بعض المقابلات العربية.

12. الخطأ في فهم المصطلح التراثي والإسقاط الخاطئ.[1]

وتستدعي هذه الإرباكات التواضع على طرائق نقل المصطلح إلى العربية وتوحيدها، ولا تقتصر هذه الطرائق على النقل، بل تستند بالأساس

---

[1]. المصدر السابق نفسه، ص : 61–63.

إلى الوضع الاصطلاحي من خلال معاينة عناصر هذا الوضع، لأنه يشمل التعريب والترجمة ومقاربات الاشتقاق والنحت والتراث (مراعاة الدلالات المتوراثة وتغيراتها) والتعريب الجزئي. وقد وضعت عدة معاجم للمصطلحات اللغوية واللسانية العربية دون حوسبتها، وهي:

–عدة معدين: المعجم الموحد للمصطلحات اللسانية (إنكليزي . فرنسي . عربي). تونس 1989.

– رمزي بعلبكي: معجم المصطلحات اللغوية (إنكليزي . عربي) بيروت 1990.

– خليل أحمد خليل: معجم المصطلحات اللغوية (عربي . فرنسي . إنكليزي) بيروت 1995.

مبارك مبارك: معجم المصطلحات الألسنية. بيروت 1995.

واقترح بعض اللغويين مثل عصام نور الدين (لبنان) "أن تنشأ لجنة عربية موحدة تضم المتخصصين المشهود بعلمهم وإخلاصهم لانتمائهم القومي، وتغذى من كل الدول العربية والجامعات العربية لترجمة أمهات الكتب اللغوية من كل اللغات، ثم تعرض هذه الترجمات الموحدة على مجامع اللغة العربية كلها وعلى الجامعات ومراكز البحث لتقول كل مؤسسة كلمتها فيها وفي مصطلحاتها التي يجب أن يحوي كل كتاب منها على ثبت مصطلحات، لأن تحديد المصطلحات اللغوية وتوحيدها واستعمالها ونشرها والتعليم بها شرط أساسي وأولي لتطور علم اللغة وتقدمه، وشرط أساسي

لتمكين الدارسين العرب من الانتقال من مرحلة التلقي والاستهلاك إلى مرحلة التمثل والتأليف والإبداع"[1].

ويستكمل توحيد المصطلح بوضع معاجم اصطلاحية ترتب مداخلها حسب الأبجدية العربية وشرح المصطلح وتعريفه بذكر خصائصه القياسية وليس بالمقابلة (تفيد هذه الحال الوضع وليس الترجمة أو التعريب)، و"استخدام الشواهد النصية والصورية واجتناب التعريب وإيجاد الكلمة المعبرة عن طريق التعبير الدلالي لكلمة عربية قديمة أو عن طريق الاشتقاق وتفضيل الكلمة الدقيقة على الكلمة العامة أو المبهمة"[2].

ولفت أحمد مختار عمر (مصر) النظر إلى الآثار السلبية للتعددية في المصطلح اللغوي، "فلعل أخطر ما يتعرض له المصطلح اللغوي الحديث من قصور ناتج عن كثرة ما تقذفه المطابع كل عام من دراسات لغوية يصحبها إدخال ألفاظ جديدة بدلالات جديدة كل يوم دون أن تتوافر لها شروط المصطلح واستخدام لغة لم ترق في تعبيراتها المتخصصة إلى مستوى المصطلح. ولولا أن كثيرين ممن يقدمون المفاهيم الأجنبية في لفظ عربي يقرنون المصطلح العربي بنظيره الأوروبي لغمض فهم المصطلح العربي على الكثيرين، ولكان هذا المصطلح عامل تفريق لا تجميع، ولما كان هناك حد أدني من الاتصال بين لغويي قطر عربي وآخر، بل بين لغوي وآخر في داخل القطر الواحد، وقد أدى هذا . بالضرورة . إلى خلق

---

[1]. أزمة المصطلح اللغوي: عصام نور الدين، في كتاب "قضايا المصطلح " مصدر سابق، ص 120.

[2]. "المفاهيم الاصطلاحية: رؤية نقدية": محمد البوصيري، في المصدر السابق، ص : 134-135.

مجـالات كثيـرة للتعـارض والتصـادم بـين هـذه المصـطلحات ومسـتخدميها بعضهم مع بعض".[1]

ووضـع محمود أحمد السيد عدة اجتهادات في وضـع المصطلحات وتوليدها في مجال المفردات بتدقيق المصطلح ووضوحه واكتماله وانسجامه مع القواعد العربية وأصولها وفي مجال النصوص باستعمال مصطلح النص المفرع أو الممنهل مقابل hyper text والنص المفرع في علم الحاسوب هو تسمية مجازية في تقديم المعلومات يترابط فيها النص والصورة والأصوات والأفعال معاً في شبكة من الترابطات مركبة وغير تعاقبية مما يسمح لمستعمل النص (القارئ سابقاً) أن يجول في الموضوعات ذات العلاقة دون التقيد بالترتيب الذي بنيت عليه الموضوعات، وهذه الوصلات تكون غالباً من تأسيس مؤلف وثيقة النص المفرع أو من تأسيس المستعمل حسب ما يمليه مقصد الوثيقة. والنص المرفل hyper media هو مصطلح لاحق للنص المفرع وإغناء له، وقد دخل مجدداً في علم الحاسوب وعالم الإعلام والتربية، وهو في علم الحاسوب دمج الرسوم والأصوات والفيديو أو أي تشكيل آخر في منظومة ترابطية بشكل رئيسي لخزن المعلومات واستدعائها، وفي النص المرفل تربط المعلومات بشكل يسمح للمستعمل أن يقفز عند عملية البحث عن المعلومات من موضوع إلى أخر متصل به، ويسمح للمستعمل أيضاً القيام بتداعيات بين الموضوعات بدلاّ من التنقل المفروض تتابعياً من موضوع إلى آخر في قائمة ألفبائية[2].

---

[1] . التعددية في المصطلح اللغوي وآثارها السلبية ووسائل القضاء عليها : أحمد مختار عمر، في المصدر السابق، ص 183.

[2]. في قضايا التعريب " محمود أحمد السيد، ص 114–112.

وظهرت تجارب محدودة في حوسبة المعجم الاصطلاحي مثل تجربة المجلس الأعلى للغة العربية في وضع المصطلحات الإدارية التي حوت في الوقت نفسه مصطلحات من شتى الاصطلاحات مثل الاقتصادية والفلاحية والأدوات والآلات الفنية والرياضية والمعادن والأحجار والطبية والبيطرية والبيولوجية والإعلام الآلي والكيميائية والفيزيائية والقانونية والسياسية والإدارية البحتة ومصطلحات أخرى، ولاحظ ناقدو هذا العمل المعجمي النقص والخلط فيه، بالإضافة إلى خلوه من التهيئة للحوسبة، وهناك ألفاظ عربية وفرنسية عامة لا علاقة لها، وأشار لعبيدي بوعبد الله (الجزائر) إلى توافر استراتيجيات الوضع القابلة للحوسبة في حالتين الأولى تتعلق بوضع عدة مقابلات لمصطلح واحد فيما يتعلق باللغة العامة وما يتعلق بالمصطلحات مثل تسمية واحدة لعدة مفاهيم (تحويل . تخفيض . تداول . تمديد) أو عدة تسميات لمفهوم واحد، وتتعلق بالحالة الثانية من طرق الوضع كالاشتقاق والترجمة والنحت والاقتراض وغيرها، ولعل توكيد استخدام الموروث المصطلحي وتطويره بعيداً "عن الصيغ الغربية التي لا تنسجم مع المجال المعرفي المحدد، ويستحسن وضع تعريف يحدد معناه ومظانه ومجال استخدام كل مصطلح بشكل يضمن له التداول وعدم الهجران "[1].

ولعلنا بعد هذه الإلماحات المتعددة لواقع المعجم العربي إزاء المصطلحية والاصطلاحات نفيد أن حوسبة المعجم تقوم على قواعد الضبط

---

[1]. تجربة المجلس الأعلى للغة العربية في وضع المصطلحات : لعبيدي بو عبد الله، في مجلة "اللغة العربية" (الجزائر)، ص 357.

الاصطلاحي من نظريات متعددة ومناهج مختلفة تراعي العديد من الاعتبارات اللغوية والتقنية.

4.4. توظيف التقنيات العصرية:

صار لزاما على المعنيين بحوسبة المعجم العربي أن يراعوا توظيف التقنيات العصرية مثل المعالجة الآلية لعناصر المعجمية وبرمجتها من حيث التصنيف والتخزين والمرجعية وتحويل النص المعجمي إلى نص إلكتروني ممنهل يدمج أيضاً بين الفكر والكتابة، "موحداً العقل ومساحة الكتابة في كلّ واحد غير قابل للنسخ"[1]، ناهيك عن إثراء المعجمية بالتكامل بين الصور الرقمية والأصوات في قاموس إلكتروني حيث تحل محل النص الكلامي الصور والأصوات وإدراكات حواسية أخرى كاللمس والشم، ويتم التوصل إلى تقديم تعددي الاتصال يتوجه فيه الحاسوب إلى حواس المشترك جميعاً، وحيث يصبب هذا الأخير مشاهداً، وتتحول الموسوعة إلى تلفزة تبادلية أو واقع خلبي (والأفضل خلاب)"[2].

وتساعد حوسبة المعجم العربي على تسهيل معجمية الرصيد اللغوي العربي في حافظات برمجية جاهزة للتسيير وفق الأعراض المعجمية المنشودة من حيث الإحصاء والوصف والتعدد الدلالي والتوزع اللغوي الصوتي أو الصرفي أو النحوي أو البلاغي أز الاصطلاحي والمجالات الإبلاغية الاتصالية في هذا المنحى أو ذاك بالتعاضد مع تقانات "الملتيميديا" لدى إدخالها تقانات للنص المرفل ...الخ والمجالات الاستعمالية

---

[1]. علوم الاتصال والمجتمعات الرقمية/ فريال مهنا، ص 542.

[2]. المصدر نفسه ، ص 513.

للغة في التعليم أو التدريب أو التأليف، ولطالما شكا اللغويون من محدودية النشر الالكتروني، وإن لم يصرحوا بغنى الأخير لعدم تعاملهم معه واكتناه قابلياته التقنية المتعددة في صون الرصيد اللغوي العربي وتثمير إمكاناته الكثيرة، وسمّت الباحثة حفيظة تازروتي (الجزائر) قصور النشر المعجمي التقليدي عيوباً[1]دون أن تقارب تقانات النشر الالكتروني في خدمة حوسبة المعجم العربي.

وأورد مثالاً على تخديم حوسبة المعجم العربي بتوظيف التقنيات العصرية، فقد وضع أمين على السيد كتاباً أقرب إلى العمل المعجمي عن قواعد سماه "في علم الصرف"[2]، وظهرت منه طبعات متعددة، والكتاب موضوع لتيسير الدراسة في علوم الصرف والسير بها نحو الجانب التطبيقي المفيد، على أن تحويل هذه القواعد إلى مجال البرمجة والحوسبة يخفف من الجهود الكبيرة للحصول على قاعدة معينة في كتاب صغير الحجم، ويتطلب ذلك في الوقت نفسه إعادة النظر في إيراد هذه القواعد مشمولة باستخدام التقنيات العصرية.

ويقال الرأي نفسه حول "معجم الإملاء"[3]لمحمد محيي الدين مينو الصادر مؤخراً (2002) ويضم قواعد الإملاء حسب الحروف وحالاتها، وملحقاً عن معجم الأخطاء الإملائية وآخر عن أبجديات الحروف وقيمتها وثالثاً عن مخارج الحروف. ومن المفيد أن نعترف بأن حوسبة هذا المعجم

---

[1]. الرصيد اللغوي العربي والتأليف المدرسي : حفيظة تازروتي، في مجلة "اللغة العربية " (الجزائر)، ص 271.

[2]. في علم الصرف : أمين علي السيد.

[3]. معجم الإملاء : محمد محيي الدين مينو.

الصغير، على محدوديته، تيسر الاتصال معه، وتثريه إذا دعمت بتقنيات النص الممنهل والمرفل والكتابة بعامة.

5. آليات معجم عربي جديد:

رهن كثيرون تحديث العربية بتحديث معجمها اللغوي، وقد دعا العفيف الأخضر، وهو مفكر سياسي، إلى تأطير عمليات تحديث المعجم العربي فيما يلي:

- فتح المعجم على دفتيه للدخيل، أي المعرب للنحت وللترجمة.
- ترجمة معجمين أساسيين عامين من الإنجليزية والفرنسية.
- نقل المعاجم المتخصصة في العلوم الدقيقة والإنسانية.
- إصدار معجم عربي حقاً حديث.
- إصدار معجم اشتقاقي.
- إصدار معجم تاريخ العربية.
- إصدار معجم بفصحى الحياة.
- الاعتراف باللحن.
- تحديث الأبجدية.
- دمج البادئة واللاحقة في صلب المصطلحات العربية المترجمة على غرار اللغات الأوروبية[1].

---

[1]. الأصولية تعيق تطور العربية: العفيف الأخضر، فكتاب "قضايا فكرية" (القاهرة) مصدر سابق ، ص244.

ومن الواضح أن اهتمام المفكرين والكتاب مثل اللغويين بتحديث العربية ومعجمها شاغل ضاغط على الوجدان والعلم والمعرفة، وعلى الرغم من ارتباك آراء العفيف الأخضر واختلاطها، فإنها تعبر عن مسعى تحديث المعجم العربي، وإن غفل عن آفاق حوسبته وقضاياها.

وقد اخترت إشارة لرأيه أنموذجا للاتفاق العام على ضرورة تحديث المعجم العربي، إذ تحتاج حوسبة المعجم العربي إلى آليات جديدة في مجالات **التوليد المصطلحي** (الصوتي . الصرفي . الدلالي . المرتجل بقاعدتيه الارتجال الحقيقي والإتباع . والاقتراضي بقاعدتيه المعرب والدخيل) وبالاستناد إلى تفعيل القاعدتين الأهم وهما الاشتقاق والمجاز لدى معاينة الأصول الجذرية أو الجذعية أو الأجنبية. ويرى بعض اللغويين المعجميين مثل إبراهيم بن مراد أن "أهم هذه الأصناف الثلاثة بالنسبة إلى الحاسوب هو الصنف الثاني أي صنف الأصول الجذعية. وهو مشتمل على خمسة أنواع من الأصول: أربعة منها تمثلها المقولات المعجمية التامة، وهي الأسماء والأفعال والصفات والظروف. والصنف الخامس تمثله الوحدات المعجمية غير التامة، وهي تنتمي إلى مقولة الأدوات، وهي تشمل الحروف بمختلف أنواعها والضمائر وأسماء الموصول والأفعال الناقصة وهذه الأدوات كما يلاحظ هي وحدات صرفية نحوية، لأنها ذات وظائف نحوية في اللغة أهم من وظائفها الدلالية العامة".[1]

---

[1]. المعاجم العلمية العربية الممختصة ودور الحاسوب : إبراهيم ابن مراد في مجلة "اللغة العربية " (الجزائر)، ص 98-99.

والمجال الثاني من مجالات التطبيق الحوسبي في المعجمية هو **الجمع** من المصادر والنظر في المستويات اللغوية و**الوضع** باعتماد الترتيب والتعريف خدمة للتكنيز المصطلحي، غير أن هذين المجالين يستدعيان اشتغالاً على معالجة القضايا المتعددة التي أشرنا إلى جوانب منها في حوسبة المعجم العربي.

وبدأ الكثيرون بالاشتغال على معجم جديد، مثلما فعل محمد حلمي هليل (الكويت) في معجمه الجديد للترجمة من العربية إلى الإنجليزية ساعياً إلى أن تغير المعجمية الثنائية من وسائلها، وأن تعيد النظر في منهجيتها. "من هنا تولدت لنا فكرة معجم للترجمة. وحيث أن الترجمة كما يقول (9: 1989) Hartmann : "عملية معقدة تتضمن المقدرة على صياغة معنى التعبير الواحد باللغة المصدر واللغة الهدف"، فالجمع بين معجم عربي أحادي اللغة ثنائي من نوع خاص هو من أفضل آليات الترجمة"[1].

وعمد هليل إلى العناية بالسياق والجذر والأمثلة التوضيحية والتعريف والاستعمال المجازي والمقابلات والوحدات متعددة الكلمات والمتلازمات اللفظية والتعبيرات الإصلاحية. وخلص إلى اقتراح بناء المعجم الجديد على محورين أولهما الترجمة الناجحة التي تعتمد اعتماداً كبيرا على فهم النص، وتنحصر الوسائل المعجمية في اللجوء إلى ما من شأنه أن يساعد على دقة الفهم من شرح معنى الجذر الذي يدور حوله المعنى العام والتعريف الدقيق والشامل الواضح والاعتماد أساساً على كلمات أو تعبيرات تعيش في سياقها

---

[1]. في طور التنفيذ: معجم جديد للترجمة من العربية إلى الإنجليزية: محمد محمد حلمي هليل. في مجلة "عالم الفكر" (الكويت) مصدر سابق، ص 237.

لا كلمات مجردة عن السياق. وثانيهما أن فكرة المقابل تتبع من فكرة ضيقة عن التكافؤ اللغوي والمعجمي، لأن واقع الحال يدحّض الفكرة، فليس ثمة تقابل بين كلمات اللغة التي نترجم منها واللغة التي نترجم إليها. من ثم فالمعجم المقترح لا يطمح في تزويد المستعمل بالمقابل اللغوي، ولكن يزوده بالمقابل النصي، لأن معنى الكلمة أو التعبير لا ينفصم عن السياق، بل هو رهين به.[1]

هناك دعوات لمعجم عربي جديد، ولكنها لا تستفيد من إمكانات الحاسوب الهائلة في إنتاج حوسبة المعجم على الرغم من الاشتغال الكبير على هذا التطلع من خبراء المعلوماتية العرب الذين ينبغي أن تتعاضد جهودهم مع علماء اللغة واللغويين العرب، فقد ظهرت مؤشرات متعددة لمثل هذا الإنتاج، وما تزال الجهود قاصرة عن الإنجاز المنشود.

6. خاتمة:

لقد أظهرت دراسة حوسبة المعجم العربي أن المشكلات اللغوية والتقنية الناجمة عن هذه الحوسبة كثيرة بالنظر إلى خصوصيات اللغة العربية وتراثها العريق والثري من جهة وأهمية تحديثها، ولاسيما معجمها من جهة أخرى سبيلا لصون الذات وتثمير معطياتها التاريخية والوجودية باللغة أداة لسلطة المعرفة في صوغها الجديد. ومن المفيد أن نورد بعض الحلول لهذه المشكلات:

أ . تطوير عمل المجامع اللغوية لمواجهة هذه التحديات والشروع في البرمجيات لوضع إطار تقانة المعلومات من منظور اللغة العربية وإقامة

---

1. المصدر نفسه ، ص 247.

النماذج اللغوية وتحليل فروعها المختلفة في ميادين الصرف الحاسوبي والنحو الحاسوبي والدلالة الحاسوبية والمعجمية الحاسوبية وعلم النفس اللغوي الحاسوبي والتأريخ اللغوي الحاسوبي للمواءمة بين المنظومات البرمجية وطبيعة اللغة العربية.

ب. مجاوزة الحال السائدة التي تفرق بين الحاسوبيين واللغويين العرب، فلا يمكن وضع البرمجيات المنشودة دون الاستناد لمعرفة لغوية صرفية وصوتية ونحوية ودلالية وتركيبية، وقبل ذلك معرفة لغوية تاريخية للإحاطة بجوانب الاشتقاق والنحت والمجاز وما يندرج في مكونات التمثيل الثقافي من جهة، وبجوانب الأصل والدخيل والثنائيات المتعددة المشار اليها في البحث من جهة أخرى.

ج. مجاوزة الأطر النظرية لحوسبة المعجم التي مازالت متوقفة عند الجمع المعجمي الذي لا يراعي عمليات تفعيل النظم الإشارية والرمزية والدلالية للكلمة في نسيجها التركيبي والمجازي والتاريخي التي تنفع في تثمير معطيات الحوسبة في النص الممنهل أو النص المرفل من أجل الاستعمال المعجمي المتعدد.

د. تطوير آليات الاشتغال المعجمي في مجالاته المختلفة مما يستدعي تشكيل فرق عمل من اللغويين والحاسوبيين من أجل معجم عربي جديد يقوم على توسيع فروع المعجم لئلا تقتصر على شرح المفردة في حال معينة والعناية بمجالات التوليد المصطلحي.

هـ . الاشتغال اللغوي في مجالات تيسير النحو العربي نحو تقعيده وقوننته وذكر ما يخرج عن هذه القواعد والقوانين أو ما يختلف عنها في

جانب فرع المعجم التاريخي إزاء أصل الوضع وأصل القاعدة والأخذ بموقف النحاة من القراءات القرآنية والاستشهاد بالشعر أو الحديث النبوي...إلخ ولابد من التواضع على هذه القواعد والقوانين تفعيلاً لحوسبة المعجم العربي وتوظيفاً لخصوصيات اللغة العربية التي تندغم بالنحو وبسيرورة تقانات حوسبته بالإجابة على نماذجه دون عسر مثل النحو التوليدي والتحويلي ونحو الحالات الإعرابية...الخ، ولا تنطبق هذه النماذج على نحو اللغة العربية، لأن نحوها يعتمد أساساً على خصوصيات قواعد الاستصحاب وامتدادها إلى العلاقات البلاغية والصرفية مما يشكل النحو العلائقي في مثل هذا الجانب.

و. العناية بالفروق الدلالية التي تسعف هندسة اللغة وإثراء حوسبتها بمستويات الدلالة وسياقات تعبيرها المجازية وسواها.

ز. أخذ اللغويين والحاسوبيين المشتغلين بوضع معجم لغوي جديد بعلم اللسانيات أو علم الدراسات اللغوية الحديثة لدى وضع البرمجيات، وأن تستند إلى معرفة لغوية بالنظرية اللسانية الحديثة لدى تحليل بنية اللغة العربية، وأن تتحالف هذه المعرفة مع كفاية لغوية نافعة في ميادين الاشتغال على التوليد اللغوي.

المصادر والمراجع

أ. الكتب.

1. اتجاهات البحث اللساني ميلكا افتيش, ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح وفاء كامل فايد). المشروع القومي للترجمة, المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة .1996

2. عدة مؤلفين، فتاوى كبار الكتاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية ونهضة الشرق العربي وموقفه إزاء المدنية الغربية، سلسلة آفاق ثقافية. الكتاب الشهري 4 . وزارة الثقافة – دمشق 2002 (والطبعة الأولى من الكتاب صدرت عام 1922 عن دار الهلال بالقاهرة).

3. " تنمية اللغة العربية في العصر الحديث". وزارة الشؤون الثقافية. تونس 1978

4. " قضايا فكرية" (القاهرة). الكتاب السابع والثامن عشر. مايو .1997

5. "استخدام اللغة العربية في المعلوماتية. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. تونس .1996

6. الثقافة العربية وعصر المعلومات: نبيل علي. سلسلة "عالم المعرفة"265 . (الكويت)2001.

7. "مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية" منشورات المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر. الجزائر 2001 .

8. "مؤتمر اللغة العربية أمام تحديات العولمة" الدورة الأولى. بيروت 2002م – 1422 هـ.

9. المعجمات العربية وموقعها بين المعجمات العالمية" محمود فهمي حجازي. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. بحوث ندوة خاصة بمناسبة الانتهاء من تحقيق وطباعة معجم تاج العروس من جواهر القاموس الكويت 9 –10 فبراير 2002.

10. المنطلقات التأسيسية والفنية إلى النحو العربي:عفيف دمشقية. معهد الإنماء العربي. بيروت.

11. "السانيات ونظرية التواصل": عبد القادر الغزالي. دار الحوار. اللاذقية 2002.

12. دراسة في التطور والتأصل: تطور الفعل الرباعي في العربية ولهجاتها مقارنة بأخواتها الساميات: الشريف ميهوبي: منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين. الجزائر 2002 .

13. "البحث النحوي والصرفي في تاج العروس": عبد اللطيف الخطيب. مطبوعات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت. 2002.

14. معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم " قدم له فضيلة الأستاذ مفتي الديار المصرية الدكتور محمد سيد طنطاوي وراجعه الشيخ محمد فهيم أبو عبية. مكتبة لبنان . بيروت . (الط 2) . 1994.

15. "قضايا المصطلح . اللغة العربية في مواكبة العلوم الحديثة". جامعة تشرين 28 – 30 نيسان 1998 . اللاذقية.

16. "اللغة العربية وتحديات القرن الحادي والعشرين". المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . تونس .1996

17. "في قضايا التعريب": محمود أحمد السيد، دمشق .2002

18. علـوم الاتصـال والمجتمعـات الرقميـة: فـريال مهنـا، دار الفكـر المعاصر . بيروت. دار الفكر . دمشق .2002

19. في علم الصرف: أمين على السيد، دار المعارف القاهرة . الط 3 ، 1976 (174 صفحة من القطع الكبير).

20. معجم الإمـلاء: محمـد محيـي الـدين مينـو، منشـورات منطقـة دبـي التعليمية . دبي 2002 (122 صفحة من القطع الكبير).

21. "العربيـة الفصـحى: نحـو بنـاء لغـوي جديـد" هنـري فلـيش (ترجمـة وتقديم عبد الصبور شاهين) . دار المشرق . بيروت 1983.

ب. الدوريات:

1. قمة المعلومات (جنيف 2003) هل تقلص الفجوة الرقميـة؟ فـي مجلـة "السياسة الدولية" (القاهرة) العدد 155 يناير .2004

2. اللسانيات والحاسوب واللغة العربية: مازن الوعر، في صـحيفة "رؤى ثقافية" (دمشق) . العدد 4 . 13 أيلول .2003

3. "التجارب الراهنة حول حوسبة النصوص التي تعتمد اللغة العربيـة": موسـى زمـولي، فـي مجلـة "اللغـة العربيـة" (الجزائـر) . المجلـس الأعلـى للغـة العربية. الجزائر، العدد السابع، خريف .2002

4. اللسانية التوليدية والتحويلية: عادل فاخوري، منشورات لبنان الجديد . بيروت .1980

5. من مواضع تيسير تعليم النحو وحلول مقترحة: محمود أحمد السيد، في مجلة "اللغة العربية (الجزائر) . العدد 9 . خريف .2003

6. الفروق الدلالية في التراث اللغوي: طيبة الشذر في "المجلة العربية للعلوم الإنسانية" (الكويت). السنة 19 العدد شتاء .2001

7. اللغة ودلالاتها : تقريب تداولي للمصطلح البلاغي: محمد سويرتي، في مجلة "عالم الفكر" (الكويت) المجلد 28، العدد 3، يناير . مارس .2000

8. تجربة المجلس الأعلى للغة العربية في وضع المصطلحات: لعبيدي بوعبد الله، في مجلة "اللغة العربية" (الجزائر) العدد7، .2002

9. الرصيد اللغوي العربي والتأليف المدرسي: حفيظة تازروتي، في مجلة "اللغة العربية" (الجزائر العدد 8، صيف .2003

10. المعاجم العلمية العربية المختصة ودور الحاسوب: إبراهيم ابن مراد، في مجلة "اللغة العربية" (الجزائر) العدد 4 . 2001.

واقع دراسات اللغة العربية وثقافتها في الصين الشعبية*

أ.شريف شي سي تونغ

تكوين الثقافة الإسلامية الصينية

قد مرّت عملية تكوين الثقافة الإسلامية الصينية بثلاث مراحل:

1. المرحلة الأولى من أوائل فترة أسرة تانغ الملكية (618–907م) إلى نهاية فترة أسرة سونغ الجنوبية (1127–1279م).

وهي مرحلة نقل الثقافة الإسلامية الوافدة عن طريق استيطان التجار المسلمين الأجانب في الصين. احتفظت بملامحها الأصلية، وانتشرت في مناطق معينة ولم تكن السلطة الحاكمة تعاملهم كرعية لها، بل اعتبرتهم أجانب يقدّمون الجزية لها.

2. المرحلة الثانية الممتدة من أوائل أسرة يوان الملكية (1279–1368م) إلى أسرة مينغ الملكية (1368–1644م).

---

*. إهداء لمجلة المجلس : سبتمبر 2003

وصلت فيها القوميات المسلمة المختلفة القادمة من آسيا الوسطى وغربي آسيا والفرس إلى الصين مع الفتوحات المنغولية للغرب. وتعتبر هذه المرحلة مرحلةَ التمازج والتفاعل بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الصينية التقليدية، ومرحلة تكوين قومية هوي المسلمة.

3. المرحلة الثالثة بدأت من أوائل أسرة تشينغ الملكية (1644–1911م). مرحلة تطور الثقافة الإسلامية الصينية المستقرة، حيث ظهرت في المناطق الداخلية مدارس دينية على طراز جديد، ونشطت حركة ترجمة الأعمال الإسلامية إذ ظهرت دفعة من المثقفين المسلمين المشاهير من أمثال وانغ داي يوي (1584–1670م)، وليو تشي (1655–1745م) وماتشو (1640–1711م) الذين كانوا يفهمون الكونفوشيوسية والطاوية والبوذية والإسلام، ويجيدون معرفة التاريخ، فضمّوا الثقافة الإسلامية إلى الثقافة الصينية التقليدية على أساس بحوثهم الجادة في علوم الأخلاق الصينية ودمجهما دمجا عضويا.

وهناك نظامان رئيسيان متميزان للثقافة الإسلامية الصينية يختلف أحدهما عن الآخر مع وجود العلاقات بينهما:

فالنظام الأول هو نظام الثقافة الإسلامية في مناطق الصين الداخلية، والذي تمثّله قومية هوي (يشمل قوميات دونغشيانغ وسالار وباوآن). في هذا النظام يلعب العامل الديني دورا أكبر. ذلك أن الإسلام عنصر مقرّر في تكوين ثقافة قومية هوي. يولي المسلمون في المناطق الداخلية وخاصة في قانسو ونينغشيا وتشينغهاي في شمال غربي الصين اهتمامهم بالمذاهب الدينية أكثر، ويتعامل المسلمون من المذاهب المختلفة قليلا مع بعضهم

البعض إلى درجة أنهم يرفضون الزواج بينهم. وتوجد إضافة إلى ذلك مساجد معينة لكل مذهب. ولا تزال هذه الحالة قائمة إلى عصرنا الراهن.

أما النظام الثاني فهو نظام الثقافة الإسلامية، في جانبي جبال تيانشان، وتمثّله قومية الويغور (ويشمل قوميات القازاق والقرغيز والأوزبك والتاجيك والتتار). والشعور القومي في هذا النظام يكون أقوى من الشعور الديني أحيانا. لذلك توجد مساجد ومناطق ثقافية مختلفة باختلاف القوميات.

وينقسم عامة المسلمين الصينيين إلى طبقتين: الطبقة الدنيوية والطبقة الدينية. فالمثقفون وهم نخبة الطبقة الدنيوية يمثّلون المستوى العالي للتطور الثقافي ويقودون تيار العصر الجديد. لكن تأثيرهم أقل بكثير من تأثير الأئمّة الذين ينتمون إلى الطبقة الدينية، فرجال الدين الإسلامي ذوو مكانة اجتماعية بارزة ولهم تأثير قوي عميق.

خمس موجات للثقافة العربية الإسلامية في الصين[1]

دخل الإسلام أراضي الصين مع أول زيارة قام بها مبعوث الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان عام 651م/31هـ، إلى بلاد الصين، فبدأت الثقافة الإسلامية تنتشر في الصين، وتندمج مع الثقافة الصينية التقليدية، وشهدت خلال أكثر من 1350م سنة، خمس موجات متتالية:

1. الموجة الأولى: تكوين الثقافة الإسلامية التركية الصينية (من القرن العاشر إلى أوائل القرن الثالث عشر ميلادي) وتشمل هذه الثقافة الثقافة الإسلامية الويغورية والثقافة الإسلامية القازاقية والثقافة الإسلامية

1. لمزيد من التفاصيل يراجع: محمد يوشع يانغ هواي جونغ وصاحبه عليّ يو تشن قوي : الإسلام والحضارة الصينية)، دار نينغشيا عام 1995م، ص 107-143.

الطاجيكية، وتعتبر هذه الثقافة فرعا من فروع الثقافة الصينية التقليدية التي أبدعها أبناء الشعب الصيني من القوميات المختلفة.

تتمثل الثقافة الإسلامية التركية الصينية في ثلاثة أعمال كلاسيكية:

* قصيدة (حكمة السعادة والبركة): نظمها العالم النابغة المسلم يوسف ماس حاجب الذي ينتمي إلى أسرة كاراخان عام 1069م باللغة الويغورية القديمة، وتقع القصيدة في 13290 بيتا، وتتقسم إلى 85 فصلا ومقدمتين وثلاثة ملاحق. والقصيدة ترشد الناس، انطلاقا من العقيدة الإسلامية إلى طريقة تحصيل الحكمة المحقّقة للسعادة وتدعو إلى العدالة والحكمة والقناعة. وشرحت في حواراتها الفلسفة الإسلامية النظرية الدينية والعلمانية.

* (معجم اللغة التركية): مؤلف هذا المعجم هو الأديب الصيني القديم الذي يجيد التركية محمود بن محمح الكاشغري (1008-1105م) قام برحلات في غربي شينجيانغ وآسيا الوسطى لمدة طويلة، ثم استقرّ في بغداد، وألّف هذا المعجم باللغة العربية وأهداه إلى الخليفة العباسي المقتدي (1075-1094م)

* قصيدة (مدخل الحقيقة): نظمها الشاعر المكفوف والعالم الكبير أحمد بن محمود يوقنك في أواخر القرن الثاني عشر أو أوائل القرن الثالث عشر باللغة الكاشغرية. هذه القصيدة قصيدة فلسفية أخلاقية وتشمل أربعة عشر فصلا.

2. الموجة الثانية في فترة أسرة يوان الملكية(1279-1368م): تمتاز هذه الفترة بنقل العلوم الإسلامية إلى الصين وتكوين عنصر أساسي لقومية هوي المسلمة في الصين.

إن لفظ "هوي" اختصار للفظ "هوي هوي" الذي كان الحكام المنغول في أسرة يوان الملكية يطلقونه على المسلمين العرب والفرس ومسلمي آسيا الوسطى. وفي عهد جنكزخان وأولاده أتى إلى الصين نحو مليونين من الهوي هوي، وكان أكثرهم جنودا وصنّاعا يخدمون في الجيش المنغولي، كما كان بينهم علماء وتجّار وموظّفون ورجال دين. انتشر هؤلاء الهوي هوي أيام أسرة يوان الملكية في مدن الصين وقُراها واستوطنها أكثرهم، فتكونت من ذرية هؤلاء وذرية التجار السلمين الذين أتوا في عصر أسرة تانغ الملكية (618–907م) وأسرة سونغ الملكية (960–1279م)، ومن مسلمين من قوميات هان والمنغول والويغور. ظهرت إلى الوجود قومية هوي هوي المسلمة في الصين، أو قومية هوي بالاختصار. ذكر ابن بطوطة في كتابه أن "في كل مدينة صينية منطقة للمسلمين". وَوُجِدَ جهاز حكومي خاص لإدارة شؤون المسلمين الدينية والقضائية وفقا للشريعة الإسلامية.

وقد استدعى الإمبراطور قبلاي خان (1260–1294م) على العرش العالم الفلكي المسلم جمال الدين إلى الصين لوضع التقاويم الفلكية. وأنجز جمال الدين المهمة عام 1267م وقدّمها إلى قبلاي خان فأجازها وأمر بنشرها رسميا في الصين باسم "تقويم عشرة آلاف سنة". وأنشأ جمال الدين المرصد الفلكي الملكي الصيني عام 1271م في عاصمة المنغول الأولى، وتولّى إدارته وواصل أبحاثه في العلم الفلكي على أرض الصين، وجهّز فيه سبعة أنواع من الأجهزة الفلكية التي كانت تستخدم في بلاد العرب والفرس. وهي ذات حلق (ترجمة صوتية) لتحديد مواقع البروج ودرجاتها، وذات ثبات (ترجمة صوتية) لتحديد موعد اعتدال الربيع والخريف، ولخمة مستوى

(ترجمة صوتية) لتحديد الانقلاب الصيفي والشتوي، وكرة سماء (ترجمة صوتية) لقياس مواقع الأجرام السماوية، وكرة أرض (ترجمة صوتية) وأسطرلاب (ترجمة صوتية) لقياس ارتفاع الشمس والنجوم وتحديد الليل والنهار.

وفي عهد الإمبراطور قبلاي خان كانت في المستشفى الملكي دائرة خاصة بالطب العربي تسمّى "دائرة النعمة الواسعة"، أسّست للإشراف على تحضير العقاقير العربية للاستعمال الخاص بالقصر.

وفي كتاب (وصفات طبية هوي هوي) الذي يكون تأليفه في أواخر عهد أسرة يوان الملكية ما يربو على 230 نوعا عقاريا عربيا أو فارسيا، منها ما يزيد عن 170 نوعا ذكرها ابن سينا في كتابه (القانون في الطب).

ومن المحتمل أن نجد في قوائم الكتب المحتفظ بها في المكتبة الملكية لسلالة يوان كتبا عربية رياضية مثل كتاب (طريق حساب السطوح) في 15 جزءا، وهو كتاب (أصول الهندسة المسطّحة) في 13 جزءا لاقليدس اليوناني. ومعنى ذلك أن جمال الدين نقل كتاب اقليدس إلى الصين قبل المبشّر المسيحي الإيطالي ماتيوريس (1552-1610م) بثلاثمائة سنة على الأقّل. ومن الكتب العربية أيضا كتاب (الطرق الحسابية) وكتاب (المجسطي) للعالم اليوناني بطليموس.

وإلى جانب ذلك أنشأ الأباطرة المنغول إدارة صناعة المدفعية للاستفادة من الفنيين المسلمين في صناعة آلات الرماية وقذائفها، وإدارة تعليمية خاصة بعلوم المسلمين. أنشئ معظم ذلك خلال 89 سنة من حكم المنغول للصين. وشغل 48 مسلما صينيا المناصب الهامة كالوزارة وولاية الأقاليم.

3. الموجة الثالثة: بناء الثقافة الروحية الإسلامية في فترة أسرتي مينغ وتشينغ الملكيتين (1368–1911م).

في فترة أسرة يوان الملكية نقل أبناء هوي هوي علوم الفلك والطب والرياضيات العربية وغيرها من العلوم العملية إلى الصين.، لكن لم تكن هناك بحوث علمية متعلقة بها، فكان المسلمون في الصين حتى أوائل القرن الخامس عشر جاليات إسلامية من العرب والفرس وغيرهم. وكان رجال الدين من بني جنسهم؛ وكانوا يستخدمون كتب الدين واللغة التي الّفت في بلاد العرب والفرس في ذلك العصر. ثم سار العلماء المسلمون الذين غلب عليهم أصلهم الصيني من نحو القرن السادس عشر على نهج أسلافهم حتى أواخر القرن السادس عشر. ومن القرن السابع عشر بدأ علماء الصين المسلمون يكتبون في الدين باللغة الصينية، ويترجمون الكتب العربية والفارسية إلى اللغة الصينية،. وقد استمرت حركة التأليف والترجمة هذه إلى العصر الحديث.

وكان بين هؤلاء العلماء من يجيد اللغتين العربية والفارسية، كما أن كثيرا منهم كانوا ضليعين في المعارف الكونفوشيوسية والبوذية والطاوية فركّزوا جهودهم على التعريف بالثقافة الروحية الإسلامية ومزجها بالثقافة الصينية التقليدية، فبدأ بذلك البناء النظري في تاريخ الإسلام بالصين. ويتمثل هذا البناء في إقامة التعليم الديني داخل المساجد، وترجمة المؤلفات الإسلامية إلى اللغة العربية وثبات الصوفية في الصين. وتمتاز الترجمة بأسلوب الدمج بين العقيدة الإسلامية والأفكار الكونفوشيوسية، أي ترجمة الكتب الإسلامية العربية والفارسية وشرحها بالمصطلحات والمفاهيم المستخدمة في الثقافة الصينية التقليدية، وشرح النظريات الإسلامية بالأفكار

الكونفوشيوسية، وكذلك شرح النظريات الكونفوشيوسية الخاصة بالسماء والإنسان والقدر والطبيعة بالأفكار الإسلامية. كان من بين العلماء المشهورين في هذا المجال وانغ داي يوي (1584–1670م). كتب (حقائق الدين القديم) و(مجموعة الدروس الإسلامية)؛ وما تشو (1640–1711م) ومن مؤلفاته (دلائل الإسلام)، وليو تشي (1655–1745م) صاحب (الأصول في التصوّف الإسلامي) و(شعائر الدين الإسلامي)؛ وما فو تشو مؤلّف (خلاصة أصول الدين). تعتبر هذه الحركة أول حركة أكاديمية قام بها قومية هوى لشرح العقيدة الإسلامية والشريعة والفلسفة والأخلاق الإسلامية ونشرها في الصين.

1. **ثبات الصوفية في الصين:** دخلت الصوفية الإسلامية الصينَ في فترة أسرة يوان الملكية (1279–1363م)، وبعد أربعة قرون من ذلك ضربت بجذورها في مقاطعتي تشنغهاي وقانسو ومنطقة نيغشيا التي تركز فيها المسلمون من قومية هوي في أوائل أسرة تشينغ الملكية (1644–1911م) وتشكلت أربعة مذاهب: مذهب القدرية، ومذهب الخفية، ومذهب الجهرية، ومذهب الجبرية، ولكل مذهب فروعه المتعدّدة.

4. **الموجة الرابعة:** حركة الثقافة الجديدة التي قام بها المسلمون الصينيون في العصر الحديث (1911–1949م).

تشمل هذه الحركة:

* تأسيس الجمعيات الدينية والأكاديمية

* إنشاء المدارس على طراز جديد

* إيفاد الطلاب إلى الأزهر

* تأسيس المجلات والجرائد العلمية

* الدراسات والبحوث الإسلامية

* إعداد العلماء المسلمين

5. الموجة الخامسة: (1949–اليوم): الصين دولة متعددة القوميات يسكنها 56 قومية، وقومية هان أكبر القوميات، وإلى جانبها يوجد 55 أقلية قومية منها عشر قوميات مسلمة: هوي، والويغور، والقازاق، والأوزبك، والتتار، والتاجيك، والقرغيز، وسلار، ودونغشيانغ، وباوآن، ويبلغ عدد سكانها نحو 20 مليون نسمة. أنشأت الجمعية الإسلامية الصينية بعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية، ويتبعها قسم الدراسات الذي يبحث في القضايا الإسلامية الصينية، كما يوجد للجمعية فروع في بعض المقاطعات والمدن، مثل الجمعية الإسلامية في كلّ من مقاطعة شانسي ومقاطعة نينغشيا ذات الحكم الذاتي لقومية هوي، وفي الصين اليوم 8 معاهد عليا للعلوم الإسلامية، أكبرها المعهد العالي للعلوم الإسلامية بالصين. وتُعِدّ هذه المعاهد العليا باحثين في الدين الإسلامي بالإضافة إلى تدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية وتدريب الأئمة دوريا.

وهناك هيئة وطنية لدراسة الدين الإسلام في قسم الدين الإسلامي لمعهد الأديان العالمية التابع للأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية، ويعمل فيه 5 باحثين بالرتبة الأكاديمية العالية، يدرسون الدين الإسلامي وتاريخ

الإسلام، والشريعة، والفِرَق الإسلامية المختلفة والحركات الإسلامية المعاصرة إلخ [2]

وقد قام العلماء والباحثون الصينيون بعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية بالدراسات والبحوث حول المساهمات العربية الثقافية والعلمية والفكرية بالصين، واندماج الثقافتين العربية والصينية وتفاعلهما المثمر على مجرى التاريخ الطويل. نذكر على سبيل المثال كتاب (الدراسات في تاريخ قومية هوي المسلمة الصينية) الذي تحدّث بالتفصيل عن 50 عائلة عربية وصلت إلى الصين في عهد سلالة يوان مع بيان مساهماتها وإنجازاتها في الصين؛ وكتاب (سيرة الشخصيات من قومية هوي المسلمة عبر التاريخ) في أربعة أجزاء، بداية بعهد سلالة يوان إلى الثلاثينيات من القرن العشرين، وهي نتيجة جهود أربعين سنة من العمل والبحث تضّم 326 سيرة من الشخصيات البارزة لقومية هوي؛ وعدد كبير منهم من الأصل العربي؛ وكتاب (الدراسات في تاريخ العلم الفلكي الإسلامي بالصين)، وهو مؤلّف علمي تخصّصي بَحْثٌ، يقع في 376صفحة...ومجلة (دراسة قومية هوي) تصدرها أكاديمية نيتغشيا للعلوم الاجتماعية ونشرت منذ إنشائها عددا كبيرا من الأبحاث والدراسات القيّمة في الثقافة العربية والإسلامية بالصين.[3]

2. الباحث تشاو قوه تشونغ: (الدراسات الصينية لقضايا الشرق الأوسط– واقعها ومستقبلها)، في مجلة (بيت العرب) شهرية تصدرها بعثة جامعة الدول العربية لدى بكين في العدد الأربعين ص24.

3. الأستاذ عليّ لي تشين تشونغ: (آثار العرب ومآثرهم في الصين عبر التاريخ)، في مجلة (الفكر السياسي) فصيلة تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، صيف 1999م، ص209

ترجمة معاني (القرآن الكريم) إلى اللغة الصينية*

دخل الإسلام أراضي الصين عام 615م، ولكن معاني (القرآن الكريم) لم تترجم إلى اللغة الصينية إلاّ في فترة أسرتي مينغ وتشينغ الملكيتين (1368-1911م) ومرّت الترجمة بثلاث مراحل:

أ. **الترجمة الجزئية**: ظهرت في الأعمال الصينية لبعض العلماء المسلمين الذين ترجموا معاني بعض الجمل أو الآيات أو بعض السور القصيرة من القرآن الكريم ليضعوها أو يضعوا تفسيرهم لها في مقالاتهم أو مؤلفاتهم. وقد ترجم العالم الشهير ليو تشي (1664-1730م) معاني ثلاث سور قصيرة.

ب. **ترجمة مختارات من القرآن الكريم لخدمة المراسيم الدينية** مثل: (ترجمة وتفسير القرآن) للعالم لي تينغ شيانغ الذي اختار السورة الأولى والآيات الخمس الأولى من السورة الثانية ونُشرت الترجمة عام 1924م. و(الشرح الدقيق للسورة الأولى للقرآن الكريم) للعالم داو ين في 150 ألف كلمة صينية نشرت عام 1941م.

ج. **الترجمة الكاملة**: تعني ترجمة معاني القرآن كلها حسب ترتيبه الأصلي. في الفترة ما بين عامي 1927 و 1990م تمّت ترجمة لمعاني القرآن الكريم الكامل ونُشِرَتْ رسميا. وهي للسيد تيه تشنغ، وجي جيويه مي، ووانغ جينغ تشاي (1879-1948م) (3ترجمات)، وليو جين بياو، ويانغ تشونغ مينغ، وشي سي تشو، ومحمد مكّين (1906-1978م) ولين

---

*. (الإسلام والحضارة الصينية) ص 429-436م، فريدة وانغ فو: مجلة (الصين اليوم) مارس 1999م، ص 42-43.

سونغ، وقونغ داو تشانغ، وتشو تشنغ شي. ونشرت كذلك على التوالي ترجمة مماتي سالاي الويغورية، وترجمة حازيز وماحاشي القازاقية.

دراسات الفلسفة العربية الإسلامية في الصين*

تأخّرت دراسات الصينيين للفلسفة العربية الإسلامية ومرّت بعدة مراحل:

أ. دراسات أصول الدين الإسلامي وتعاليمه دون النواحي الفلسفية والفكرية، في أواخر فترة أسرة مينغ الملكية (1368–1644م) وأوائل فترة أسرة تشينغ الملكية (1644–1911م) ومن ذلك كتاب (الأصول العقلانية للديانة الإسلامية). ألّفه العالم الشهير ليو تشي (1660–1730م).

ب. نقل الأستاذ الجليل محمد مكّين (1906–1978م) كتاب (تاريخ الفلسفة في الإسلام) تأليف المستشرق الهولندي دي بور من الانجليزية إلى الصينية ونشره في الصين 1944م، ويعتبر ذلك بداية لدراسات الفلسفة العربية الإسلامية لدى العلماء الصينيين المعاصرين.

ج. توسّعت دراسات الصينيين للفلسفة العربية الإسلامية من الخمسينيات إلى اليوم توسّعا كبيرا، ويتمثّل ذلك في:

– زيادة عدد المهتمين والمشتغلين بها من العلماء المسلمين وغير المسلمين، توسّعت مجالات الدراسات من الفلسفة العربية الإسلامية في

---

*. الأستاذ عليّ لي تشين تشونغ بجامعة اللغات والثقافة ببكين: (دراسات الفلسفة العربية في الصين) في مجلة (بيت العرب) شهرية تصدرها بعثة جامعة الدول العربية لدى بكين في العدد الأربعين ص16–17.

القرون الوسطى فشملت علم المنطق والسياسة والأخلاق وعلم الجمال والقضايا الفكرية المعاصرة المهمّة في العصر الراهن.

– زيادة اهتمام المؤسّسات العلمية والأكاديمية بدراسة وتدريس الفلسفة العربية. وقام بذلك الأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية، وجماعة بكين، وجماعة تشانتونغ، وجامعة الدراسات الأجنبية ببكين. وفتحت كذلك أقسام للدراسات العليا تُعنى بالقضايا الفلسفية العربية الإسلامية، وتزيد رغبة الطلبة في اختيارهم بعض قضايا الفلسفية العربية الإسلامية يبسطونها في رسائلهم. ومنها: (الدراسات حول الأخلاق الإسلامية) لنيل درجة الدكتوراه ورسالة (مفهوم الخير والشرّ في الدين الإسلامي) لنيل درجة الماجستير.

– نشر مزيد من المؤلفات الخاصة بالفلسفة العربية الإسلامية، ومن أهمها:

* (تاريخ الفلسفة العربية) تأليف ساي دي كوي في 436 صفحة عام 1992م.

* (تاريخ الفلسفة العربية) تأليف لي تشين تشونغ ووانغ جيا مينغ في 460 صفحة عام 1995م.

* (القضايا الفلسفية العربية) تأليف تشن تشونغ ياو في 374 صفحة عام 1995م.

* (تاريخ الفلسفة الإسلامية) ترجمة تشن تشونغ ياو في 406 صفحة عام 1992م.

* (الفلسفة العربية من الكندي إلى ابن رشد) ترجمة تشانغ ون جيانغ عام 1997م.

* (الفلسفة العربية المعاصرة) لرئيسي التحرير ساي دي كوي وصاعد تشونغ جي كون في 297 صفحة عام 1996م.

* (التصوّف الإسلامي) تأليف جين بي جيو، و(الفلسفة الإسلامية) لِشا سونغ بينغ 1995م. صدر الكتابان ضمن (سلسلة الكتب الإسلامية الثقافية بالصين).

وتتميز هذه المؤلفات بالأسلوب العلمي الدقيق والرؤية الموضوعية الواضحة والشمولية للقضايا الفلسفية العربية الإسلامية الكلاسيكية والقضايا المعاصرة.

د. عقد الندوة العلمية للفلسفة العربية الإسلامية عام 1966م حول الدور التاريخي للفلسفة العربية الإسلامية في الفلسفة العالمية، والتيارات الفكرية المعاصرة واتجاهاتها المستقبلية، ومقارنة الفلسفة العربية الإسلامية بالفلسفة الصينية التقليدية...

هـ. خطة مستقبلية:

- مزيد من الاهتمام بالتيارات الفكرية والفلسفية المعاصرة
- مزيد من دراسات المقارنة

حركة الترجمة من العربية إلى الصينية*

1. المرحلة الأولى (1896–1949م):

بدأت بترجمة قصيدة (البردة) لمحمد شرف الدسن البوصيري، وهو أول كتاب عربي تُرجِم إلى اللغة الصينية ونُشِرَ مع النص العربي في الصين عام 1896م. وكانت أهم الترجمات في هذه الفترة: سبع ترجمات لمعاني القرآن الكريم: ثلاث منها لمترجم واحد هو العالم المسلم الشهير وانغ جينغ جاي، وكتاب (رسالة التوحيد) للشيخ محمد عبده الذي ترجمه محمد مكّين أثناء دراسته في القاهرة، و(فجر الإسلام) لأحمد أمين و(الإسلام والحضارة العربية) للعالم السوري محمد كرد عليّ. نقلهما إلى اللغة الصينية عبد الرحمان ناجونغ؛ وعدة ترجمات جزئية لـ (ألف ليلة وليلة) عن اللغة العربية واللغات الأخرى، وبعض الكتابات الإنجليزية لجبران خليل جبران بما فيها القصائد النثرية الخمس، ترجمه الكاتب الصيني المعروف ماو دون في المجلّة الأدبية الأسبوعية عام 1923م، و(النبيّ): تَرْجمته الأديبة المشهورة بينغ شين عام 1931م وهي ترجمة جميلة لقيت إقبالا كبيرا من القراء وأعيدَ طبعها مرّات عديدة من يوم صدورها إلى الآن.

2. المرحلة الثانية (1939–1966م):

وكانت في هذه الفترة تتدفع نضالات الشعوب المضطهدة ضدّ الإمبريالية والاستعمار في سبيل تحقيق الاستقلال والتحرّر فترجمت إلى اللغة

---

*. أ.د بسّام شوي تشينغ قوه بجامعة الدراسات الأجنبية ببكين: (حركة الترجمة بين اللغتين العربية والصينية) في مجلّة (بيت العرب) شهرية تصدرها بعثة جامعة الدول العربية لدى بكين في العدد التاسع والعشرين ص 18–21.

الصينية عدة دواوين شعرية تضمّ قصائد مفعمة بالوطنية وروح الكفاح لأبي القاسم الشابي وعبد الوهاب البياتي وغيرهما، وبعض القصص الواقعية لمحمود تيمور ونجيب محفوظ ويوسف إدريس وعبد الرحمان الشرقاوي وغيرهم، مثل (القصائد المختارة للمناضلين الأردنيين من أجل السلام)، و(القصائد المختارة للمناضلين السوريين من أجل السلام)، و(مجموعة من القصائد العربية المعاصرة)، و(نداء الشعوب العربية) و(مجموعة من القصائد للشعراء العرب ضدّ الإمبريالية والاستعمار)، و(القصص المصرية)، و(القصص السورية)، و(أشعار المنفى) للشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي، و(القصص اللبنانية)، و(ديوان أبي القاسم الشابي)، و(أنشودة الوطن) للكاتب الفلسطيني أبي سلمى.

وترجمت في هذه الفترة أيضا (الأيام) لطه حسين، و(كليلة ودمنة) لابن المقفّع، و(علم النفس) من (كتاب الشفاء) لابن سينا عن اللغة الفرنسية.

3. المرحلة الثالثة الممتدة من أوائل الثمانينات حتى يومنا هذا:

وتعتبر هذه المرحلة ذهبية، فقد شملت الترجمة في هذه الفترة كتبا أدبية وتاريخية وفلسفية ودينية، للقدماء والمحدثين على حدّ سواء، وفيما يلي قائمة أهم الكتب المترجمة ومؤلّفيها، وقد نال الكتّاب المصريون واللبنانيون حظّا أوفر في هذا المجال؛ فقد تمت الترجمة لنجيب محفوظ (الثلاثية) و(بين القصرين)، و(قصر الشوق)، (سكرية)، و(أولاد حارتنا)، و(بداية ونهاية)، و(القاهرة الجديدة)، و(ميرامار)، و(ملحمة الحرافيش)، و(زقاق المدق)، و(خان الخليلي)، و(حضرة المحترم)، و(الحب تحت المطر)، و(ليلي ألف ليلة)، و(كفاح طيبة)، و(رادوبيس)، و(عبث الأقدار)، و(شيء في صدري)،

و(في بيتنا رجل)، و(يل عزيزي كلّنا لصوص)، و(الطريق المسدود)، و(ثقوب في الثوب الأسود)، ومجموعة من قصصه القصيرة؛ ولتوفيق الحكيم (عودة الروح)، و(يوميات نائب في الأرياف)، و(أهل الكهف)، وليوسف السباعي (العمر لحظة)، و(ردّ قلبي)، و(بين الأطلال)، و(دعاء الكروان) لطه حسين، و(الحرام) ليوسف إدريس، و(الأرض) لعبد الرحمن الشرقاوي، و(سنة أولى حبّ) لمصطفى أمين. أما لبنان فقد ترجم لكتّابها جميع مؤلفات جبران خليل جبران إلى اللغة الصينية، بما فيها مجموعتان كاملتان لأعماله احتوت إحداهما جميع ما كتبه من الأعمال العربية والإنجليزية والرسائل والنصوص وكثير من لوحاته، و(النبيّ)، و(دمعة وابتسامة)، و(رمل وزبد)، و(رسالة النبيّ)، و(الثمانون قصيدة عاطفية لجبران خليل جبران)، و(الديوان النثري الكامل لجبران خليل جبران)، وطبعت معظم هذه الترجمات عدة مرّات، كما ترجمت لمينخائيل نعيمة (سبعون)، و(اللقاء)، و(سيرة جبران خليل جبران)، ومجموعة من قصصه القصيرة، ولجرحى زيدان (17 رمضان)، و(صلاح الدين الأيوبي ومكائن الحشاشين)، و(عذران قريش)، و(شجرة الدرّة) و(فتاة غسان)، ولتوفيق يوسف عواد (الرغيف)، ولعمر أبو نصر (عنترة).

وترجم من أقطار عربية أخرى (المصابيح الزرق) لحنا مينا السوري، و(دمشق يا بسمة الحزن)، لألفة الإدلبي السورية، و(ريح الجنوب) لعبد الحميد بن هدوقة الجزائري، و(الأفيون والعصا) لمولود معمري الجزائري (عن الفرنسية)، و(موسم الهجرة إلى الشمال) للطيب صالح السوداني، و(صحراء جنّتي) لسعيد صلاح السعودي، و(حقول الرماد) لإبراهيم الفقيه

الليي، و(وادي الدماء) لعبد المجيد بن جلون المغربي، ومجموعة من قصائد الشاعر التونسي أبي القاسم الشابي، وديوان في أربعة مجلّدات للشاعرة الكويتية سعاد الصباح، ومن تاريخ الأدب قد ترجمت (الأدب العربي المعاصر في مصر) لشوقي ضيف، و(تاريخ الأدب العربي) لحنا الفاخوري.

وتمت كذلك ترجمة بعض الكتب التراثية في هذه الفترة مثل (رحلة ابن بطوطة)، و(قصة حيّ بن يقظان) لابن طفيل، و(المنقذ من الضلال) للغزالي، و(مروج الذهب) للمسعودي (عن الفرنسية)، و(المسالك والممالك) لابن خرداذبة والموسوعة الإسلامية لأحمد أمين التي تضمّ (فجر الإسلام) و(ضحى الإسلام)، (ظهر الإسلام).

الترجمة والبحوث للأعمال الأدبية العربية في الصين

من المعروف أن الأدب العربي درّة نفيسة بين الآداب العالمية تشعّ بريقا وسحرا منذ الزمن القديم، ولكن كانت حقول ترجمة أعمال الأدب العربي وتعريفها ودراستها مهجورة في الصين. أما الآن فقد أصبحت تزدهر يوما بعد يوم، فحسب الإحصاءات غير الكاملة، تمّت في الصين ترجمة ونشر أكثر من مائتين عمل أدبي عربي لأكثر من مائة أديب أو شاعر لمعظم البلدان العربية بعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية، فلم يعد ما يتعلّق بتعريف الأدب العربي فراغا أو زينة في شتى المراجع والمصنّفات المعنونة بالآداب العالمية أو الآداب الأجنبية، وهذا يتمثل في أن الجامعات المعنية قد أدرجت في منهاجها تدريس موّاد متعلقة بالأدب العربي؛ كما خرّجت في صفوفها للدراسة العليا عددا ممن حصّلوا درجة الماجستير ودرجة الدكتوراه في الأدب العربي. ليس من الصعب أن نجد على رفوف

الكتب أو دور الكتب ما تُرْجِمَ أو كُتِبَ من المؤلفات المتعلقة بتعريف الأدب العربي أو دراسته، وأن تنشر دائما الترجمات والبحوث الخاصة بالأدب العربي في الجرائد والمجلاّت المتخصصة في الآداب الأجنبية. يسمع كذلك الصوت المتعلّق بالأدب العربي في مختلف الندوات الخاصة بالآداب الأجنبية أو الآداب المقارنة، أو الترجمة الأدبية.[4]

يمكن أن نجد محتويات الأدب العربي قد شغلت حجما مناسبا في أمثال (جزء الآداب الأجنبية من الموسوعة الصينية الكبرى) و(معجم روائع الآداب الأجنبية)، و(معجم أعلام الآداب الأجنبية)، و(معجم آداب المرأة الأجنبية)، و(معجم الآداب الشرقية)، و(تاريخ الآداب الأجنبية)، و(تاريخ الآداب الشرقية)، و(تاريخ الآداب الشرقية الحديثة) إلخ...

وقد تم إعداد مجموعة من العاملين الأكفاء في ترجمة ودراسة الأدب العربي خلال السنوات الأربعين الأخيرة حتى بلغ عددهم في معهد البحوث في الآداب الأجنبية بالأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية وهيئات النشر والإعلام والجامعات والمعاهد العليا ما يقارب مائة شخص يقومون بأعمال ترجمة ودراسة وتدريس الأدب العربي وتاريخه. إنهم لا يتعمقون في الأدب العربي بشمالي إفريقيا فقط، بل يعملون بجد ونشاط على دراسة أدب المغرب العربي ومنطقة الخليج، ويُعْنَونَ بدراسة الأدب الحديث والمعاصر، ويقومون بالبحوث في الأدب الجاهلي والأدب الأموي والأدب العباسي

4. الأستاذ تشونغ جيكون صاعد رئيس جمعية بحوث الأدب العربي بالصين: محاضرة في (ندوة الأدب العربي عند ملتقى القرنين) منشورة في مجلة (بيت العرب) شهرية تصدرها بعثة جامعة الدول العربية لدى بكين، في العدد الواحد والأربعين 2002م، ص36–38.

أيضـا. إنهـم لا يعيـرون اهتمامًـا للقيـم الفكريـة والفنيـة والاجتماعيـة للأعمـال الأدبيـة ذاتهـا فحسـب، بـل يأخـذون بعـين الاعتبـار الاتصـالات بـين الأدب وغيره من العلوم، مثل علم الاجتماع والدين والفلسفة والتاريخ وعلم الاقتصاد السياسي، كما أنهم لا يكفّون عن استقصاء العلاقات التفاعليّة بين الأدب العربي والأدب الأوروبي إلخ.[5]

بذلك أصبحت ترجمة وبحوث الأعمال الأدبية في الصين أعمق وأوسع وأكثـر تخصّصـا وأوفـر فـي السـنوات الأخيـرة. نشـرت مختـارات مـن أعمـال الأديبات العربيات بعنوان (ربع زوج) (1995م) يحتوي قصصا وأشعارا بقلم أكثر من 30 كاتبة مشهورة من مختلف البلدان العربية، ونشر بعد ذلك عديد من روائع الأدب العربي مثل:

- (المجلّد العربي من كنز روائع القصص القصيرة العالمية) (1996م) يحتوي 82 قصة قديمة وحديثة من 16 دولة عربية.

- (مختارات من الأعمال العربية القديمة شعرا ونثرا) (1997م).

-(مختارات من القصص القصيرة لإحسان عبد القدوس) (1998م).

-(مختارات من الأعمال العربية الحديثة) (2000م) أكثر من 100 قصيدة لـ 40 شاعرا مشهورا من مختلف الدول العربية.

-(مختارات من الأشعار العربية القديمة) (2001م) أكثر من 430 قصيدة لأكثر من 130 شاعرا، من بينها معلّقات لأمرئ القيس وزهير بن أبي سلمى.

---

5. الأستاذة المساعدة سلوى يا تشينغ بجامعة بكين: محاضرة في الندوة الثقافية العربية في جامعة بكين 1994م منشورة في الكتاب بنفس الموضوع، ص92–97.

-(أهرام الفكر) (2001م) مختارات من النثر الفنّي الإفريقي وفيه أكثر من 40 عملاً نثريّا لكتّاب من مختلف الدول العربية في إفريقيا.

-(الثلاثية الروائية) (2000م) (نفق تضيئه امرأة واحدة، سأهبك مدينة أخرى، وهذه تخوم مملكتي) للكاتب الليبي أحمد إبراهيم الفقيه.

-(أشعار الحبّ) للشاعرة الكويتيّة سعاد الصباح (2000م).

-(أصداء السيرة الذاتية) لنجيب محفوظ (2001م).

وعلى صعيد الدراسات والبحوث تم نشر المؤلفات البحثية التالية:

-(تاريخ الآداب الشرقية الحديثة) (1994م) الذي شارك في تأليفه الباحثان بي هوي ولي تشن.

-(تاريخ الآداب الشرقية) شارك في تأليفه تشونغ جيكون وبلغت فيه المحتويات المتعلقة بالأدب العربي القديم والحديث نحو 20% من حوالي 1.3 مليون مقطع صيني في الكتاب.

-(موجز تاريخ الأدب العربي). ألّفه تساي واي ليانغ وتشو شون شيان (1998م).

-(المسثولوجيا والواقع-التعليق على (ألف ليلة وليلة) (1997م) بقلم جي بو هاو.

-(الأدب العربي المعاصر والصوفية) (2000م) بقلم لي تشن كشفت فيه عن تأثيرات الصوفية العميقة في النفوس الإبداع لبعض الكتاب والشعراء العرب المعاصرين المشاهير أمثال جبران خليل جبران، ومخائيل نعيمة، ونجيب محفوظ، وعبد الوهاب البياتي وغيرهم.

-(هي تغنّي بالحب-دراسة تتعلّق بالشاعرة الكويتية سعاد الصباح) (2000م) بقلم لين فونغ مين أول أطروحة الدكتوراه نشرت في الصين لدراسة شاعرة عربية.

-(تحوّل الشعر العربي المعاصر في ظّل العولمة-دراسة في شعر فاروق جُوَيدة) بقلم الأستاذة تشانغ هونغ بي الذي قد تمّت ترجمته إلى اللغة العربية وستنشر قريبا في مصر.

قامت جمعية بحوث الأدب العربي بالصين بدور عظيم في دفع تنمية الترجمة والبحوث للأعمال الأدبية العربية في الصين، وأقامت جمعية بحوث الأدب العربي بالصين سلسلة من النشاطات الأكاديمية والتذكارية بمختلف الأحجام وبعضها أقيم بالتعاون مع بعض السفارات العربية لدى بكين:

1. الندوة الأولى للأدب العربي بعنوان(الأدب العربي-ماضيه وحاضره) (1983م).

2. الندوة الثانية للادب العربي عن (ألف ليلة وليلة) و(نجيب محفوظ وأعماله) (1987م).

3. الحفل التذكاري للرحّالة العربي الكبير ابن بطوطة (1988م).

4. محاضرات عن الأديب المصري الكبير نجيب محفوظ احتفالا بفوزه بجائزة نوبل (1988م).

5. الندوة الأدبية للذكرى المئوية لميلاد الأديب اللبناني الكبير ميخائيل نعيمة والذكرى السنوية الأولى لوفاته (مارس 1989م).

6. نـدوة حـول منجـزات البـاحثين الناشـئين لـلأدب العربـي (نـوفمبر 1989م).

7. الندوة الأدبية للذكرى المئوية لميلاد المفكرين الكبيرين طه حسين وعباس محمود العقاد (مايو 1990م).

8. ندوة بعنوان الأدب العربي والعالم–التقليد والتجديد (نوفمبر 1990م).

9. نـدوة حـول تـدريس الأدب العربـي فـي الجامعـات والمعاهـد العليـا بالصين (1992م).

10. ندوة خاصة بالأدب العربي والحضارة الإسلامية (1993م).

11. نـــدوة عـــن المـــرأة فـــي الأدب العربـــي وأدب المـــرأة العربيـــة (1995م).

12. ندوة مناقشة ثانية عن (ألف ليلة وليلة) (1997م).

بيضاء

الأفعال الكلامية عند الأصوليين

دراسة في ضوء اللسانيات التداولية

أ/ مسعود صحراوي
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة الأغواط

الملخّص: تهدف هذه الدراسة إلى تحليل جهد علماء أصول الفقه في دراستهم للأساليب العربية من خبر وإنشاء، وتطبيقهم لمعانيها على موضوع بحثهم، وما نجم عن ذلك من ظواهر أُطلق عليها في عصرنا "**أفعالا كلامية**" في ضوء الرؤية التداولية المعاصرة. فمن المبررات الموضوعية التي أدت بالأصوليين إلى هذه الدراسة التداولية أن نشأة العلوم اللغوية العربية كانت في كنف القرآن الكريم وسعت سعيا دائبا إلى محاولة فهم النص القرآني، وكان هذا داعيا للأصوليين إلى انتحاء المنحى الوظيفي – التداولي الذي كان أكثر استجابة لطبيعة النص المدروس، إذ لا يمكن النظر إلى جمل هذا النص وتحليلها بمعزل عن سياقاتها المقالية والمقامية وأغراضها الإنجازية، فالقرآن الكريم نص لغوي مرتبط بسياق حالي، والمعنى الصحيح لا يفهم إلا في إطار التركيب وسياق الحال وغرض المتكلم وقصده من

الكلام. فدرسوا – من ثمّ – أساليب النصوص الدينية دراسة تداولية، مستثمرين بعض الظواهر والمفاهيم التي لم تتمكن فلسفة اللغة واللسانيات التداولية من بلورتها إلا حديثا، ودرسوا –ضمن نظرية الخبر والإنشاء – ظاهرة "الأفعال الكلامية"، واستنبطوا – عبر الجمع بين المنطلقات النظرية والنصوص التطبيقية – أفعالا كلامية جديدة من الأساليب الخبرية كـ: **الرواية والشهادة، والوعد والوعيد، والدعوى والإقرار، والكذب والخلف**...واستنبطوا أفعالا كلامية أخرى من الأساليب الإنشائية كـ: **الإذن والمنع، والندب، والإباحة والتخيير، و التعجب، وألفاظ العقود والمعاهدات والإيقاعات...**

سأناقش في جزئيْ هذه المقالة: الأول والثاني، مجموعة من القضايا، يتلخص أبرزها في النقاط الآتية:

- تمهيد يوضّح الإطار النظري العام للدراسة.
- تحديد مفهوم "الفعل الكلامي".
- تصنيف مبدئي عام للدرس اللغوي عند الأصوليين.
- الأفعال الكلامية المنبثقة عن "الخبر" عند الأصوليين.
- الأفعال الكلامية المنبثقة عن "الإنشاء" عند الأصوليين.

I. القسم الأول

1. تمهيد: لم يعد التيار البنيوي، في أيامنا، هوالتيار الوحيد الذي يهيمن على ساحة الدراسات اللسانية، فقد أفرزت المعرفة المعاصرة نظريات ومفاهيم لغوية متباينة في الأسس المعرفية، انبثقت عنها تيارات لسانية

جديدة منها التيار التداولي، وهوالتيار الذي يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي يُنجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من "الخطاب" رسالة تواصلية "واضحة" و"ناجحة"، والبحث في أساليب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية، الخ...وهذه هي أهم الاهتمامات والقضايا التي تميّز "اللسانيات التداولية" عن غيرها.

ويقع المفهوم اللغوي المعروف بـ"**الأفعال الكلامية**" في موقعٍ متميّز من هذا التيار ويشكّل جزءا أساسيا من بنيته النظرية، إذ هوالركن الأول من أركان هذا المنهج والدعامة الكبرى له، باعتراف وتصريح العلماء الغربيين المؤسّسين لهذا التيار أنفسهم[1]، وعليه فإن البحث في هذا المفهوم هوبحث في مضغة اهتمام التداولية وأساس من أكبر أسسها. ويكاد يقع إجماع الباحثين على أن تطبيق هذا المفهوم/ الظاهرة على بعض اللغات الغربية قد حقق نجاحا في وصفها وفي رصد خصائصها التداولية، بفعل استثماره في معالجة النقص الواقع في الدراسات البنيوية وسد الخلل الناجم عنها[2].

ونعتقد أن تطبيق هذا المفهوم التداولي على اللغة العربية وعلى الإنتاج العلمي لعلمائنا القدامى، سيسهم، أيضا، في وصف هذه اللغة ورصد

---

1. انظر كلا من:

- ت. أ. فان ديك، النص والسياق...ترجمة: عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق، دت، ص255.

- Quand dire c'est: François Récanati- Naissance de la pragmatique-Ppstface de faire-traduction de Gilles Lane-le Seuil-Paris-1991-P185.

2. أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية : مدخل نظري، منشورات عكاظ، 1989، ص 15 وما بعدها.

خصائصـها وتفسـير ظواهرهـا الخطابيـة التواصـلية، وسيسـهم فـي اكتشـاف وتثمين جوانب من الجهود الجبارة التي بذلها أولئك العلماء الأجلاء، ونزعم أن إجراء من هذا القبيل كان مندرجا ضمن النشاط العلمي الذي قام به كثير منهم، وهذا ما يحاول هذا البحث إثباته، أو لفت الأنظار إليه على الأقل. فاللغة العربية، شأنُها شأن غيرها من اللغات الطبيعية، تشتمل عل طائفة من الصيغ والأدوات التي يستعملها المتكلم للدلالة على القوة الإنجازية التي يريد تضمينَها كلامَه كالاستفهام والتمني والإخبار والتقرير والنفي والإثبات والطلب والترجي...فكـان علـى طوائـف مـن العلمـاء العـرب المهتمـين بالمعـاني والـدلالات، ولا سيما علمـاء المعـاني والأصـوليين، أن يتعرضـوا لتلـك القـوى المتظمّنـة في القول بغرض تحديد ما يقتضيه حال معيّن، و بغرض ضبط الدلالة التي يريدها المتكلم من كلامه وتحديد الغاية التي يهدف إليها.

هذا، وقد بحثت ظاهرة "الأفعال الكلامية" في تراثنا العربي ضمن "نظرية الخبر والإنشاء"، واشتغل ببحثها عدد كبير من العلماء، ومن ثَمّ صار متعيّنا على من يدرسها أن يتتبّع أصولها وتطبيقاتها في مؤلفات عدد من العلماء الأجلاء الذين أسّسوا هذه الظاهرة في تراثنا أوعمقوا البحث فيها، فمن النحاة والبلاغيين الذين تعرضوا لها: عبد القاهر الجرجاني (ت سنة 471هـ)، وأبويعقوب السكاكي (ت 626 هـ)، ومحمد بن علي الجرجاني (ت 729 هـ) وجلال الدين الخطيب القزويني (ت سنة 739هـ) والشريف علي بن محمد الجرجاني (ت 816هـ)، ورضي الدين الإسترباذي (ت 686هـ)، وسعد الدين التفتازاني (ت.حوالي 792 هـ) وشراح مختصره، وغيرهم...

وقد اشتغل بالبحث في الظاهرة نفرٌ من الفقهاء والأصوليين، لذا نرى أنه من المناسب أن نتعرف على طرق تطبيقهم لها على نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، بغرض دراسة المعاني الوظيفية لتلك النصوص، وهي المعاني التي تطرأ على القول وتتغير من مقام إلى آخر، وأن نستجلي استثمارهم لنظرية الخبر والإنشاء وتطبيقهم لما سُمّي "ألفاظ العقود"، أي الألفاظ التي تُنشئ المعاملات والعقود والمعاهدات وما تقتضيه من تشريعات اجتماعية وسياسية مختلفة وشروطها وأحكامها. ومن الفقهاء والأصوليين الذين رجعنا إلى مؤلفاتهم: فخر الدين الرازي (ت 606 هـ)، وشهاب الدين القرافي (ت 684 هـ)، وناصر الدين البيضاوي (ت 685 هـ)، وابن رشد القرطبي (ت 595هـ)، وأبوإسحاق الشاطبي (ت 773 هـ)، وجمال الدين الإسنوي (ت 773 هـ)، وغيرهم...

وعليه فإن ظاهرة "الأفعال الكلامية" قد بُحثت في تراثنا من قبَل طوائف متعددة، غير أن البحث فيها، في تضاعيف هذا التراث الضخم، لم يكن مقصودا لذاته ولكن قُصد به غيره[1]، فاتُخذت الظاهرة وسيلة لا غاية، وجُعلت مدخلا لفهم علوم أخرى، وهي علوم غير لغوية في الغالب، فتوزعت الظاهرة بين فروع معرفية متعددة، وخاض فيها علماء أجلاء إلا أنهم لم يُفردوها بالبحث والتأليف ولا قصدوها لذاتها. ونرى أن التصدي لتشكيك بعضهم فيما قدمه علماؤنا والرد عليه وتبديده هي من أقوى المبررات للبحث في الظاهرة، ولا يكون ذلك إلا بإعادة قراءتها قراءة معاصرة تمتشق سلاح "المناهج الحديثة" وما أفرزته من جهاز مفاهيمي، مع الابتعاد عن التعسف

1. انظر :طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب منشورات جامعة الكويت، 1994، ص: د.

في تطبيق ذلك على مفاهيم التراث تطبيقا قسريا، ومع إبداء التحفظ الواجب الذي يفرضه استصحابنا للوعي باستقلالية التراث العربي، فلا يجوز أن ننسى أن لهذا التراث خصائص إبستيمولوجية تجعل منه منظومة مستقلة ومتميزة ومتكاملة في تفاعل العلوم العربية الإسلامية بعضها ببعض[1].

2. تحديد مفهوم "الفعل الكلامي": قمنا ببحث هذه الظاهرة في رحاب الإطار المفاهيمي المعاصر الذي أُطلق في عصرنا "**نظرية الأفعال الكلامية**" التي جاء بها الفيلسوف المعاصر ج. ل. أوستين **Austin J. L.** (توفي سنة 1960)[2]، وطورها تلميذه الفيلسوف ج. سيرل J. Searle، بإعطائها صيغتها النموذجية النهائية[3]. فقد تعمق أوستين في إنجاز فلسفة دلالية تهتم بالمضامين والمقاصد التواصلية وتختلف عما عرفناه عند علماء الدلالة اللغويين، وخصوصا البنيويين، فقد كان "أوستين" يلح على القيمة التداولية لعبارات لغوية كثيرة تستخدم في اللغة الإنجليزية، وربما في كل اللغات. ومن الجديد الذي يخالف به الفلاسفة الكلاسيكيين، إدخاله مفهوم "**القصدية** Intentionnalité" في فهم كلام المتكلم وفي تحليل العبارات اللغوية، وهومبدأ أخذه من الفيلسوف"هوسرل"والظاهراتيين، واستثمره في تحليل العبارات اللغوية. وتتجلى مقولة "**القصدية**"، بالخصوص، في الربط بين التراكيب اللغوية

---

1. من الباحثين العرب المعاصرين، الذين يصرون على خاصية " الإستقلالية الإبستمولوجية والمنهجية" لتراث العربي الإسلامي، نذكر: د. طه عبد الرحمان، ولاسيما في كتابه: تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، دت، ص 244 ومابعدها

2 . Quand dire c’est faire – traduction française de : Gilles Lane- Le Seuil- Paris- 1991

3. من كتبه التي اعتمدنها في هذه الدراسة: John SEARL- Sens et expression – traduction française et préface par .Joëlle Proust- les Editions de Minuit – Paris- 1982 :

ومراعاة غرض المتكلم والمقصد العام من الخطاب، في إطار مفاهيمي مستوف للأبعاد التداولية للظاهرة اللغوية.

وبالرجوع إلى ما كتبه الفيلسوفان ج. ل. أوستين وتلميذه ج. سيرل حول هذا المفهوم اللغوي الجديد،فإن "**الفعل الكلامي**" يعني: **التصرّف الإرادي الذي ينجزه الإنسان بالكلام**، فهو، من ثمّ، الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معيّنة، ومن أمثلته: الأمر، والنهي، والوعد، والسؤال، والتعيين، والإقالة، والتعزية، والتهنئة... فهذه كلها "**أفعال كلامية**". إذا طبقنا هذا المعنى على اللغة العربية فإن "**المعاني والإفادات**" التي تستفاد من صيغ التواصل العربي وألفاظه: كمعاني الأساليب العربية المختلفة، خبرية كانت أم إنشائية، ودلالات "حروف المعاني"، و"معاني الخوالف"، وأصناف أخرى من الصيغ والأساليب العربية... هي التي تمثل نظرية "الأفعال الكلامية" في التراث العربي وتجيب عن السؤال المتعلق بمفهوم الفعل الكلامي كما يتصوره المعاصرون... ولذلك يصح أن تعدّ تلك المعاني والمقاصد التواصلية "**أفعالا كلامية**" في منظورنا، باعتبارنا لا ننظر إليها على أنها مجرد "دلالات ومضامين" لغوية، وإنما هي، فوق ذلك،"**أغراض إنجازية**" ترمي إلى صناعة أفعال وسلوكات مؤسساتية أواجتماعية أوفردية بالكلمات، والتأثير في المخاطب: بحمله على فعلٍ أوترك، أودعوته إلى ذلك، أوتقرير حكم من الأحكام، أوتوكيده، أوالتشكيك فيه، أونفيه، أووعد المتكلم للمخاطب، أووعيده، أوسؤاله واستخباره عن شيء... أوإبرام عقد من العقود، أوفسخه...أومجرد الإفصاح عن حالة نفسية معينة... فمن منظور"**نظرية أفعال الكلام**" لاتكون اللغة مجرد أداة للتواصل أوللتعبير عن الفكر، وإنما هي أداة لتغيير العالم وصناعة أحداثه والتأثير فيه.

وعليه فسيكون مطلبنا في هذه الدراسة أن نتعرف على المسائل التطبيقية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث العربي الإسلامي(ونخصُّ حقلا معرفيا محددا هو: علم أصول الفقه)، وهي الظاهرة التي درست ضمن "**نظرية الخبر والإنشاء**"، وما انجر عنها من مفاهيم جديدة تتمثل في اكتشاف العلماء العرب المسلمين لأفعال كلامية "**جديدة منبثقة**" عن تلك "**الأفعال الأصلية**" المعروفة لدى المعاصرين، وأن نتعرف على كيفية استثمار معطياتهاعند علمائنا، وذلك في إطار رؤية تكاملية للتراث العربي، الرؤية التي تؤمن بالتكامل الإبتستيمولوجي والمنهجي بين فروع هذا التراث، ومن ثّمّ ترى ضرورة الربط بين منتجات هذا التراث الغزيرة المتشعّبة بعضها ببعض. ونريد، في هذا المقام تحديدا، التعرف على استثمار"معاني الخبر والإنشاء" على العلوم العربية، من خلال علم هام، هوعلم أصول الفقه، كما قلنا، فقد استفاد هذا الفرع المعرفي من "علم المعاني"ووظف معطياته واستثمرها في دراسة النصوص الشرعية، ولا سيما القرآنية، وكان ذلك ضمن الرؤية التداولية، وقد عادت تلك الممارسات التطبيقية بفائدة علمية معتبرة على علم المعاني نفسه، فقد خدمت مساهمات أصحاب هذا العلم، أعني الأصوليين، هذا الفرع البلاغي وعمّقت مفاهيمه ووسعت آفاقه.

3. تصنيف مبدئي عام للدرس اللغوي عند الأصوليين: نوضح أنه لا تعنينا، في هذا المقام، المباحث الفقهية والأصولية لذاتها، ولكن تهمنا الاعتبارات اللغوية التداولية، التي اتخذها الأصوليون المسلمون أداة ومدخلا لتوجيه دلالة من الدلالات في نصوص القرآن والسنة أواستنباط حكم من الأحكام.

ولما كانت الاعتبارات اللغوية في البحث الأصولي كثيرة متعددة المناحي فقد رأينا أن نصنّفها مبدئيا في ثلاثة أنواع:

- **النوع الأول:** وهوالذي يتناول القضايا الدلالية الصريحة في كتب الأصوليين، وأمرُ هذا النوع يسير لوضوحه، ولتعبير العلماء عنه صراحة، وعقدهم له فصولا في أمهات الكتب الأصولية، ويتمحور هذا النوع حول القضايا الدلالية المتعلقة بألفاظ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، كالبحث فيما يدل عليه سياق الخطاب من إيماء وإشارة وتنبيه وفحوى ومفهوم... وأمثال ذلك من المسائل التي فاتت علم النحو وحفل بها علما المعاني والأصول. ويضاف إلى ذلك الظواهر والعلاقات الدلالية في نصوص القرآن والسنة، والتي يحكمها قانون التقابل، كتلك التي وضعوها تحت عناوين: العام والخاص، والمقيد والمطلق، والمحكم والمتشابه، والمجمل والمفصّل...الخ. وهذا النوع من البحث اللغوي هوأقرب ما يكون في مستواه الإجرائي، إلى المنهج البنيوي الحديث.

- **النوع الثاني:** ويشمل القضايا والمسائل النحوية كما تصورها الأصوليون، وخالفوا بها آراء النحاة المعتادة أووافقوها، واهتدوا إلى كثير من الحلول الموفقة والناضجة لبعض المسائل النحوية، ولا سيما تلك التي فاتت النحاة، وقد اعتبر بعضهم نحوالأصوليين هذا نحودلالة[1]، وقد بحث فيها بعض المعاصرين، من أبرزهم د.مصطفى جمال الدين[2].

- **النوع الثالث:** والذي قلما يُعنى به الدارسون، وهوما يمكن تسميته "المنحنى التداولي في البحث الأصولي"، ونعني به كيفية استثمارهم للمفاهيم

1. مصطفى جمال الدين، البحث النحوي عند الأصوليين، المكتبة الوطنية، بغداد، الرقم: 1485، السنة 1980,
2. نفس المرجع، ورقة 305.

والمقولات التداولية، كـ"نظرية الأفعال الكلامية" التي بحثوها ضمن نظرية الخبر والإنشاء، أثناء بحثهم عن الدلالات وعن الطرق التي يتخذها النص لإفادة معنى أو لصناعة أفعال دينية – فردية كانت أم اجتماعية– بالكلمات، وكيفية تعاطيهم للأساليب اللغوية، والأغراض الإبلاغية التواصلية المنبثقة عنها، وقد توصل الأصوليون إلى"اكتشاف" و"وضع" "**أفعال كلامية فرعية جديدة منبثقة**" عن الكلامية الأصلية، كما قلنا آنفا، لم يتعرض لها المعاصرون، إذ لم تعرفها الثقافة الغربية المعاصرة*.

ويبدوأن الأصوليين، من هذه الجهة التداولية، قد استأثروا بالبحث فيما فرط فيه كثير من النحاة، وذلك من جراء فهمهم لطرق تأليف الكلام وأوجه استعماله وإدراك مقاصده وأغراضه، وما يطرأ عليه من تغيير ليؤدي معاني متعددة، ومن ذلك بحثهم في ظاهرة الأفعال الكلامية (ضمن نظرية الخبر والإنشاء)، وكمراعاة قصد المتكلم وغرضه، وكمراعاة السياق اللغوي وغير اللغوي وتحكيمه في الدلالات...الخ. بل إن البحث الأصولي قد "يفضل في بعض جوانبه ما قدمه علم المعاني[1]".

وإذا كان النوعان الأول والثاني من الاعتبارات اللغوية معروفين، إلى حد ما، بفعل بحث بعض المعاصرين فيهما، فإن "الاعتبارات التداولية" بقيت مجهولة لم يمط عنها اللثام، ولم تُولَ العناية التي تستحق، وهوما نسعى إلى بحثه في هذه الصفحات، قصد الوقوف على "**الأفعال الكلامية المنبثقة**" التي تمت صياغتها من جراء تطبيق نظرية الخبر والإنشاء، ومن ثم يسهل علينا

---

*. نشير إلى أنه قد يكون لاختلاف اللغات والثقافات دور في تحديد الأفعال الكلامية وتصنيفها.

1. نفس المرجع، ورقة 304. نقول ذلك ولا نوفق على صيغة التعميم المفرط التي يعبر بها، أحيانا، د. مصطفى جمال الدين، إذ نعتقد أن من النحاة من بحث بعض هذه " الظواهر المعنوية" بقدر مايسمح به مجال بحثه.

تصور بعض المسائل التداولية التي بحثها الأصوليون، تنزيلا لنظرية الخبر والإنشاء، وتطبيقا لها على موضوع بحثهم الخاص، فقد كان الأصوليون من خير المطبقين لهذه النظرية في تراثنا.

ولا ينبغي أن يُفهم من لفظ "التطبيق" هنا أن الأصوليين كانوا مجرد منفعلين بفكر غيرهم من العلماء، ومجرد مستهلكين لمنجزات غيرهم، بل الواقع أنهم كانوا مستقلين، في كثير من الأحيان، بآراء مبتكرة، ومبدعين لفكر لغوي أصيل، كما تشهد آراؤهم وتحليلاتهم التي سنتعرف على بعضها في هذه الدراسة، أما مسألة "التأثر والتأثير" فواردة بين عموم علمائنا القدامى، فقد تأثر الأصوليون بغيرهم كما أثروا في غيرهم، في المباحث اللغوية وفي غيرها، دون أن يقع النكير على أيّ منهم في القديم والحديث، فالتراث العربي يشكل منظومة معرفية متكاملة.

4. الأفعال الكلامية المنبثقة عن "الخبر" عند الأصوليين: سنعرف في الفقرات الآتية كيف استثمر الأصوليون (وبعض المتكلمين) مفهوم "الأفعال الكلامية" – ضمن الأسلوب الخبري– في تحليلهم للنصوص الدينية، فنشأت من جراء هذا التفاعل بين البعد النظري والبعد التطبيقي ظواهر أخرى من تلك الأفعال، منبثقة عن الأسلوب الخبري، فربطوا بين الخبر وبين غيره من التجلّيات الأسلوبية المكتشفة في مجال بحثهم الخاص، مثل الشهادة والرواية، والدعوى والإقرار، والوعد والوعيد...الخ، وهي الظواهر الخبرية التي لخصها شهاب الدين القرافي (ت 684 هـ) في قوله: "الشهادة خبر، والرواية خبر، والدعوى خبر، والإقرار خبر، والمقدمة خبر، والنتيجة خبر...

فما الفرق بين هذه الأخبار؟[1]، ومن ثَمّ طبقوا عليها قوانين "الخبر"، كما بُحث في حقل علم المعاني مع مراعاة سياقاتها وأغراضها المختلفة، وأضاف إليها القاضي عبد الجبار المعتزلي(ت. سنة 415 هـ) أصنافا أخرى من الأفعال الكلامية؛ أهمها "الوعد والوعيد[2]، مع ملاحظة أنهم سلكوا مسلكا تداوليا في تحليل هذه المسائل ومناقشتها، وبيانُ هذا البعد الدراسي في دراساتهم من أهم ما نركّز عليه في هذا البحث.

ولم يكن استثمار الأسلوب الخبري مقتصرا على هذه الجوانب، بل تعداها إلى التقسيم، فأثر في بعض التقسيمات التي أتى بها الفقهاء والأصوليون في بحثهم للنصوص وا لقضايا الشرعية، كتقسيم سيف الدين الآمدي الآتي:

تقسيم الآمدي: تأثر سيف الدين الآمدي (ت 631 هـ) بقسمة العلماء المتقدمين عليه للخبر، فقد قسم الجاحظ (ت 255 هـ) الخبر إلى قسمين حسبما أورده سعد الدين التفتازاني[3]، ورأى أن كلا منهما ينقسم إلى ثلاثة أقسام بحسب معيار تصنيفي مزدوج اعتمده الجاحظ هو:

- **مطابقة الواقع**

1. القرافي (أحمد بن محمد، شهاب الدين)، أنوار البروق في أنواء الفروق، المعروف بـ"كتاب الفروق"، تح: محمد أحمد سراج وعلي جمعة محمد، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 2001، ج1 – ص 74.

2. القاضي عبد الجبار الأسد أبادي المعتزلي، شرح الأصول الخمسة، تح: د. عبد الكريم عشمان، مكتبة وهبة، القاهرة، 1988، ص 135.

3. انظر: سعد الدين التفتازاني، المختصر في شرح تلخيص المفتاح للقزويني (ضمن شروح الترخيص)، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1944، ج1، ص 40، 41.

- واعتقاد المخبر (أوقصده)

ما نريد إضافته إلى ذلك؛ أن سيف الدين الآمدي قد تأثر بقسمة الجاحظ الثلاثية، واستدل بها على تقسيماته لبعض الأحكام، محددا هويتها ومراتبها الشرعية، ولكنه لم يتماه معها ولم يقلد تقليدا مطلقا، بل انطلق من نفس الاعتبارات التداولية وأسس عليها أنواعا من التقسيمات الجديدة، فجنح، في بحث معنوي مطوّل، إلى تقسيم الأخبار "المتعلقة بالآثار النبوية الشريفة" ثلاث قِسَم:

- **القسمة الأولى:** الخبر الصادق هوالمطابق للواقع، والكاذب غير المطابق.

- **القسمة الثانية:** ما يُعلم صدقُه وما يعلم كذبه، وما لا يُعلم صدقه ولا كذبه.

- **القسمة الثالثة:** الخبر المتواتر وخبر الآحاد[1].

نلاحظ أن هذه القِسَم الثلاث متأثرة، في الأساس، بالاعتبارات التداولية، ومن ذلك مراعاة الأمدي لـ "علاقة الكلام بالواقع الخارجي" في القسمة الأولى متجليا في مطابقة الخبر للواقع أوعدم مطابقته له، ومنها مراعاته مسألة "الكثرة والقة" (التواتر/الآحادي) في رواية الخبر كما في القسمة الثالثة. وهذه الفكرة – أي مراعاة القلة والكثرة في رواية الأخبار وتوثيقها – هي بمعايير المعاصرين– مندرجة على ما يبدو، ضمن "درجة الشدة للغرض المتضمن في القول"، فخبر الآحاد – وهوالذي يرويه فرد واحد أوأفراد قليلون – ليس في قوة الخبر الذي يرويه العشرات (أوالمئات) من

1. سيف الدين الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ج2، ص10.

الناس، مع أن كثيرا من الأصوليين والفقهاء حسبما روى الشيرازي، لم يشترطوا للمتواتر عددا محصورا[1].

وتندرج تلك الأخبار بأنواعها كلها ضمن صنف "التقريريات" (Assertifs) بلغة الفيلسوف سيرل، و"الغرض المتضمن في القول" لهذه المجموعة الكلامية هو "التقرير"[2]، والذي أوضح سيرل مفهومه بأنه "إدراج مسؤولية المتكلم عن صحة ما يتلفظ به[3].

5. أهم الظواهر الكلامية المنبثقة عن "الخبر"

أوردنا في فقرة سابقة نص شهاب الدين القرافي، الذي صرّح بأصناف كلامية كثيرة "مشابهة أسلوبيا"للخبر، ولكنها مختلفة عنه في "الغرض والمقصد"، وذلك في قوله: "الشهادة خبر، والرواية خبر، والدعوى خبر، والإقرار خبر، والمقدمة خبر، والنتيجة خبر[4]، وقد أدت به ملاحظته الدقيقة إلى التمييز بين هذه الأصناف، تمييزا يقوم على أساس تداولي في معظم الأحيان، قلما نجده عند غيره من العلماء، وبيان ذلك فيما يلي:

أ. الشهادة والرواية: فقد اعتبر بعض الأصوليين– وخصوصا شهاب الدين القرافي، نقلا عن محمد بن علي المازري (453–536 هـ)وهوأحد فقهاء المالكية – كلا من "الشهادة" و"الرواية" خبرا، ولكنهما يفرّقان بينهما بصرامة تداولية ملحوظة، بل إن القرافي يرى أن "الضرورة داعية لتمييزهما[5] والفرق بينهما عند هذين الفقيهين من جهتين:

---

1. شرح اللمع مج2، ص 584.

2. John SEARLE – Sens et expression- P 52

3. Ibid. p 52

4. شهاب الدين القرافي، كتاب"الفروق"، ج1، ص 74

5. شهاب الدين القرافي، نفس المصدر، ج1، ص 74

– جهة "نوع المخبَر عنه"، فإن كان "المخبَر عنه" أمرا عاما لا يختص بمعيّن فهو"رواية"، وإن كان "المخبَر عنه" معينا خاصا فهو"شهادة"[1]

– جهة السياق الاجتماعي العام "الرسمي" أو"غير الرسمي"، فإذا كان في مقام غير رسمي فهورواية، أما إذا كان في هيئة رسمية كأن يكون أمام القاضي، مثلا، فهوشهادة، ويرى القرافي أن الشهادة "يشترط فيها الذكورة والحرية، وعدد معينٌ من الشهود... بخلاف الرواية[2]

وتأسيسا عليه يقرر القرافي– نقلا عن المازري– أن الخبر، في تموقعه بين الرواية والشهادة[3]، يتقلب بين ثلاثة أصناف من الأفعال الكلامية:

1. رواية محضة كالأحاديث النبوية الشريفة.

2. شهادة محضة كإخبار الشهود عن الحقوق على المعنيّين عند الحاكم.

3. مركّب من الشهادة والرواية، وله صور عديدة(منها الإخبار عن رؤية هلال رمضان... !)

والأساس التمييزي الذي يقوم عليه التفريق بين هذه الأنواع هو، "الآثار المترتبة عن الخبر والمتعلقة بالـمُخبَر عنه"، والذي تعود آثاره إما على "عموم"، وإما على "خصوص"، وهوأساس تداولي، ولم نجد ما يعادله معادلة تامة في معايير سيرل والمعاصرين، ولكن يبدوأنه ذوصلة بما سماه ج.سيرل: "نمط الإنجاز" (Mode of achievement)[4] ومفهومه عنده أن

---

1. الفروق، ج1، ص 74

2. نفس المصدر، ص 74

3. وقد ذكر القرافي أنه نقل هذا التقسيم عن أستاذه المازري، انظر: الفروق، ج1، ص 76.

4. انظر: John SEARL- Sens et expression – traduction française et préface par : Joëlle Proust- de Minuit – Paris- 1982 P 82

توفر شروط إنجازية معينة يغيّر من"هوية الفعل الكلامي" ويكيّفه بطابَع خاص. ومن الأمثلة التي توضح ذلك، كما مثّل سيرل، شخصان يرويان خبرا، لكن أحدهما يرويه بوصفه شاهدا في المحكمة، والآخر يقدمه على أنه خبر عادي، فالأول يعطي خبرا ويؤدي به شهادة، بينما الثاني خبره مختلف.

والفرق بين تحليلي سيرل والقرافي من جهتين:

– أن سيرل يضيّق حركة هذا "الفعل الكلامي" ومجاله، فيربط مفهومه بمجال ضيق، هو "**كيفيّة**" أداء الشهادة أو "**طريقة**" نقل الخبر، اللتان تجمعهما مصطلحه "نمط الإنجاز".

أما القرافي فيوسعه، مضيفا إليه ما أطلقنا عليه "الآثار المتعلقة بالخبر وبنوع المخبَر عنه".

– أن سيرل يدع الخبر العام دون تسمية و يكتفي بالقول "خبر عادي"، أما القرافي فيذكره باسمه المتعارف عليه عندهم وهو"الراوية".

انتقال "الشهادة" من الخبرية إلى الإنشائية: غير أن القرافي لا يسلّم بأن جميع أنواع "الشهادة" هي من صنف الخبر، بل يفرق تفريقا حاسما بين "الشهادة والخبر"، مستخدما قرينة تداولية يمكن تسميتها بـ: "**قرينة خصوصيات الورود أوالاستعمال**"، أعني وقوعهما في مقامات مختلفة ومواطن تواصلية، تقتضي واحدا دون الآخر، فمن المقامات ما يقتضي الشهادة دون الخبر، ومنها ما يقتضي الخبر دون الشهادة، فالشهادة عنده مباينة للخبر العادي، من جهة "أنها لا تصح بالخبر البتة ولا بالوعد[1]، ولوأن

1. الفروق، ج4، ص 1189.

المتكلم قال أمام القاضي: "قد أخبرتك أيها القاضي بكذا كان كذبا، لأن مقتضاه تقدم الإخبار منه ولم يقع، فالمستقبل وعد، والماضي كذب[1]، فالمعيار الذي يحكم الفرق بين الأمرين هوأنّ درجة من الرسمية تقتضيها الشهادة، وليست تلك " الرسمية " من مقتضيات الخبر، ونسجّل، من قراءتنا لهذا النص، صرامة القرافي في استخدام هذا المعيار.

ومن مواطن التشابه بين سيرل والقرافي، أن كليهما يلح على حقيقة واحدة، عبّر عنها القرافي بقوله: "**اقتضاء الشهادة إنشاءَ الخبر** (أي في الحال)، وسماها سيرل "نمط الإنجاز" (Mode of Achievement)، وأما الفرق – في التغير الذي يلحق "الفعل الكلامي" – بينهما فهوالفيلسوف الأمريكي المعاصر يعده فرقا إنجازيا، لا يغير من هُوية الفعل الكلامي وطبيعته، ولكن يؤثر في " قوته الإنجازية"، أما القرافي فيرى أنه يغير من دوره في "الإفادة"، ومن ثَمَّ في التأثير في الأحكام، أي يؤثر في طبيعة الفعل الكلامي نفسه فيكون تارة "رواية"، وتارة "شهادة"، وتارة "خبرا"، وعلى الرغم من التقارب بين الرؤيتين فإنه يبدوأن رؤية القرافي الفقيه كانت، في هذه النقطة، أوغل في التداولية من رؤية الفيلسوف سيرل.

ويذهب القرافي إلى أبعد من هذا، حين يدقق في هوية هذا الفعل الكلامي الذي هو"الشهادة "، فيصر على تمييزه عن كل من"الخبر"و"الراوية"، ويجعله قريبا من الإنشاء، موضحا أنه"لا يجوز لأجل هذه الاحتمالات الاعتماد على شيء من ذلك إذا صدر من الشاهد، فالخبر كيفما تقلب لا يجوز الاعتماد عليه، بل **لا بد من إنشاء الإخبار عن الواقعة**

1. نفس المصدر، ج4، ص 1189.

المشهود بها، والإنشاء ليس بخبر،ولذلك لا يحتمل التصديق والتكذيب[1]، وتعبير "إنشاء الإخبار" مخالف لتعبير "الإخبار عن الإنشاء"، وهما جميعا من المصطلحات التي تعبر عن نوع من الأفعال الكلامية، يصنّف في أحد النمطين الأسلوبيين بالضرورة، إذ ليس لهما ثالث، وهو اصطلاح لم ينفرد به القرافي، بل وجدنا من العلماء العرب من يستعملون مثل هذا الاصطلاح، على صنف من الأفعال الكلامية(وهي عندهم **مقاصد وإفادات إنجازية)**، فلقد وجدنا الدسوقي، مثلا، يصرح بأن هناك فعلا كلاميا سماه "إخبارا عن التمني"، وفعلا آخر سماه "إخبارا عن الاستفهام[2]، وهكذا، مما يندرج ضمن الاستفهام الاسمي، و"الإخبار عن التمني" هوخبر، وكذلك يقال في "الإخبار عن الاستفهام"، فهوخبر، أما "إنشاء الخبر" فهوإنشاء، لأنه إيجاد لنسبة خارجية بواسطة النسبة اللغوية، ومن ثم يكون بين التعبيرين فرق كبير، بناء على "قصد" المتكلم... وقد كان العلماء العرب عموما محكومين بـ "الرؤية المقاصدية"، في تنميطهم للجملة العربية، وبيان أغراضها التواصلية الإنجازية.

---

1. نفس المصدر، ج4، ص 1190، والتأكيد من عندنا

2. محمد بن عرفة الدسوقي، شرح الدسوقي على مختصر التفتازاني، (ضمن شروح التلخيص)، ترتيب وتعليق: عبد المتعال الصعيدي منشورات دار الحكمة – قمّ (إيران)، دت، ج2،– ص 238.

وقد بنى القرافي رؤيته هذه على تصوره للفروق بين الخبر والإنشاء، والتي بلغت عنده أربعة وجوه نجتزئ منها بوجهين:

- **الأول:** أن الإنشاء سببٌ لمدلوله، والخبر ليس سببا لمدلوله، فإن العقود سبب لمدلولاتها بخلاف الأخبار.

- **الثاني:** أن الإنشاءات تتبعها مدلولاتها، والأخبار تتبع مدلولاتها وتبعية مدلولات الإنشاء للإنشاء تحمل على أن بعض الأفعال الكلامية كالطلاق والملكية، مثلا إنما يقعان بعد صدور صيغة الطلاق والبيع، وأما أن الخبر تابع لمَخبره...فقولنا: "قام زيد"، تبعٌ لقيامه في الزمن الماضي، وقولنا: "هوقائم" تبعٌ لقيامه في الحال، وقولنا: "سيقوم" تبعٌ لتقرير قيامه في المستقبل[1]

ويوضّح القرافي أن هذه التبعية "ليست تبعية في الوجود، وإلا لما صدق ذلك إلا للماضي فقط، فإن الحاضر مقارِن، فلا تبعية لحصول المساواة، والمستقبل وجوده بعد الخبر، فكان متبوعا لا تابعا [2]وتكون حصيلة هذا الإيضاح النظري أن مصداق الخبر في الواقع الخارجي سابق عليه، وأن مصداق الإنشاء في الواقع الخارجي لاحق له، ولا شك في أن هذه الرؤية تتفق مع معيار من معايير التمييز بين الأسلوبين، وهوما نسميه معيار "**إيجاد الإنشاء لنسبته الخارجية دون الخبر**".

الصيغة اللغوية لفعل "الشهادة" مقارنة بغيرها من صيغ العقود[3]

1. الفروق، ج1، ص 96
2. نفس المصدر، ج1، ص 96.
3. وهوما يعبر عنه بعض المعاصرين بـ " قرينة الصيغة" وهي من "القرائن اللفظية". انظر: تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها، ص 192

قد يتحول "الفعل الكلامي الشهادي" إلى إنشاء صريح، فيصير مقابلا وقسيما لظواهر كلامية ثلاث هي: "الخبر"، و"الرواية"، و"الإخبار عن الإنشاء"، فيكتسب صفة "الإنشائية"، ويعامل معاملة الإنشاء عند القرافي، "فإذا قال الشاهد: أشهد عندك أيها القاضي بكذا...كان إنشاء، ولوقال: شهدتُ... لم يكن إنشاء[1]، وكل هذا بسبب الصيغة اللغوية التي تعبر عن "فعل الشهادة"، وهي ميزة ليست خاصة، فيما يبدو، بهذا الفعل، لأن القرافي يقرر أن أفعالا كلامية أخرى، مثل "فعل البيع" و"فعل الطلاق"، تؤثر صيغها في إيقاعها الإنجازي، ومن ثم لا يقول بتوحيد صيغ الأفعال الكلامية، كما يذهب إليه أوستين وغيره من المعاصرين، وكما وضع له هذا الأخير بعض القواعد المسطرية، فيقرر القرافي أن العكس يقع في "الفعل البيعي"، مبديا الإيضاح الآتي: "وعكسه في البيع، لوقال: أبيعك لم يكن إنشاء للبيع بل إخبار لا ينعقد به بيع، بل وعدٌ بالبيع في المستقبل، ولو قال: بعتك، كان إنشاء للبيع، فالإنشاء في الشهادة بالمضارع وفي العقود بالماضي، وفي الطلاق بالماضي واسم الفاعل، نحو: أنتِ طالق، وأنتَ حر... ولا يقع الإنشاء في البيع والشهادة باسم الفاعل، ولوقال : أنا شاهدٌ عندك بكذا وأنا بائعُك بكذا... لم يكن إنشاء.[2]

ومن المناسب أن نذكر هنا، من فوائد هذا النص، ما يساعد على تصور بعض الأبعاد والخصائص التداولية لمباحث علماء أصول الفقه، ممثلين في نموذج جيد هوشهاب الدين القرافي، ونعتقد أن ذلك مما يؤيد

1. نفس المصدر، ج4، ص 1190
2. المصدر السابق، ج4، ص 1189.

إثبات وجود هذا البُعد من البحث التداولي في تراثنا، وأعني به "البحث في"الأفعال الكلامية":

* أن "الصيغة اللغوية" لا تكون دائما وفي كل السياقات معيارا للتمييز بين الإنشاء والخبر، بحكم اختلاف الصيغة بين الأخبار نفسها فيما بينها من جهة، وبين الإنشاءات نفسها فيما بينها من جهة أخرى. وبذلك اختلفت العربية عن غيرها من اللغات الأوروبية كاللغة الإنجليزية مثلا، كما وصفها الفيلسوف أوستين[1].

* أن القرافي، بوصفه نموذجا متميزا لعلماء الأصول، يعتبر التلفظ بلفظ البيع (بصيغة مخصوصة) "إنشاء" للبيع، والتلفظ بلفظ الطلاق (بصيغة مخصوصة) "إنشاء" للطلاق، والتلفظ بلفظ الشهادة (بصيغة مخصوصة) "إنشاء" للشهادة، فتصير" الشهادة" من ألفاظ "العقود والإيقاعات" والتي نصنف – بناء على أراء كثير من علماء التراث وعبر هذا المنظور الوظيفي/التداولي – متقلبة بين الخبر و" الإنشاء غير الطلبي" بحسب السياقات والمقامات المختلفة.

* أن صيغة "الفعل الكلامي البيعي" هي بعتك بصيغة الماضي، ولاتصح بالمضارع، ولا بصيغة" فاعل"، ولونطق البائع بإحدى هاتين الصيغتين لكان وعدا بالبيع لا بيعا، أولكان مخبرا عن بيع تم في الماضي.

* أن صيغة" الفعل الكلامي الشهادي" هي أشهد بصيغة المضارع، ولا تصح بالماضي، ولونطق بها لكانت خبرا، والشهادة **إنشاء**، ولا يصح أداؤها بالخبر.

---

1. j. Ll AUSTIN-Quand dire c‘est faire- p 85.

* لم يتحدث القرافي عن الشادة بصيغة" فاعل" أو(فعيل شاهد– شهيد)، وهذا المسكوت عنه جدير بالبحث، ويبدوأن" فعل الشهادة" بهذه الصيغة ينعقد في التصور الأصولي، فيندرج ضمن "الأفعال المتضمنة في القول، "ويصنف" **الإقاعيات**" بمفهوم سيرل.

وبمصطلحات سيرل يكون" فعل الشهادة" – كما تصوره القرافي والمازري – فعلا كلاميا أيضا، حتى وإن أخرجناه من حيز " الخبر" وأدخلناه في حيز" الإنشاء"، فهوفعل كلامي لا يفقد هذه الهوية سواء أكان خبرا أم إنشاء، غبر أنه قي صنف "**الإيقاعيات**" إذا كان إنشاء، ويكون حينئذ مكافئا إنجازيا لفعلي الطلاق أوالبيع، وإن اختلف عنهما من بعض الجهات: كالصيغة اللغوية، ويندرج في صنف "**التقريريات**" إذا كان خبرا.

ب. الدعوى والإقرار: وكتفريقهم بين" الشهادة" و" الرواية" والخبر فرق المتكلمون والأصوليون العرب بين" الدعوى والإقرار، "فـ" الدعوى خبر عن حق يتعلق بالمخبر على غيره[1]، أما الإقرار" فهوخبر يتعلق بالمخبر ويضر به وحده[2]. وبمعايير سيرل تعود التفرقة بين الأمرين هنا أيضا إلى" نمط الإنجاز" كما هو ظاهر.

ويلاحظ شدة الشبه بين" الإقرار" و"الشهادة"، إذ الإقرار أيضا شهادة والفرق بينهما عندهم أن" الإقرار" شهادة على النفس، و" الشهادة" شهادة على الغير.

---

1. نفس المصدر، ج4، ص.1191.

2 . نفس المصدر، ج4 ص.1191.

ج. الوعد والوعيد: وقد اعتبر القاضي عبد الجبار المعتزلي (المتوفي سنة 415 هـ) أن" الوعد"والوعيد" كليهما من الأخبار، و"الوعد" عنده هوكل خبر يتضمن إيصال نفع إلى الغير، أودفع ضرر عنه في المستقبل، وأما الوعيد فهو" كل خبر يتضمن إيصال ضرر إلى الغير، أوتفويت نفع عنه في المستقبل[3]"، ويشترط القاضي عبد الجبار في الصنفين معا أن يكونا في المستقبل، لأنه إن نفعه في الحال أو أضره مع القول لم يكن واعدا ولا متوعدا[4].

وقد صرح السيوطي أيضا بأن من أقسام الخبر" الوعد والوعيد"، لكنه أشار إلى أن في"كلام ابن قتيبة ما يوهم أنه إنشاء[1]، وكذلك صرح السبكي، ولكنه أضاف بأنه إن كان من الإنشاء فهومن الإنشاء غير الطلبي[2]. فنلاحظ عدم مجادلة السبكي لابن قتيبة، وترك مناقشته له، مما يوحي بأنه لا يعارض في أن يكون الوعد "إنشاء"، لكنه يصر على أنه من" الإنشاء غير الطلبي".

ويبدوأن القاضي عبد الجبار هومن تزعم القول بعد" الوعد والوعيد" من الأخبار، ثم تبعه بعض المتكلمين[3]، وهذان الأسلوبان يتفقان عنده؛ في أن مضمونهما فعل مستقبلي للمتكلم، ويفترقان في النتائج والآثار المترتبة على كل منهما، إذ أن الفعل الأول فيه نفع للمخاطب، والثاني فيه ضرر له.

---

3 . القاضي عبد الجبار شرح الأصول الخمسة، ص 135/143.

4. نفس المصدر، ص 135.

1. الإتقان، ج2، ص 77.

2. بهاء الدين السبكي، عروس الأفراج في شرح تلخيص المفتاح ضمن شروح التلخيص ج 2، ص 237

3. أنظر : طالب هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية. ......، ص 72.

وكتفرقة القرافي، قبل حين، بين" الخبر والشهادة" نجده أيضا، يفرق بين" الوعد والشهادة"، موضحا أن من أوجه الفرق بينهما أنه" لوقال الشاهد للقاضي: أنا أخبرك أيها القاضي بأن لزيد عند عمرو دينار عن يقين مني وعلم في ذلك، لم تكن هذه شهادة، بل هذا وعد من الشاهد للقاضي أنه سيخبره بذلك عن يقين، فلا يجوز اعتماد القاضي على هذا الوعد[1].

ومن المخالفين للقاضي عبد الجبار في" خصائص الوعد" ومفارقته للخبر العادي – غير ابن قتيبة وبهاء الدين السبكي في أحد رأييه – شهاب الدين القرافي، ففي سياق المفاضلة بين الأقوال المختلفة يرى أن "الكذب يختص بالماضي والحاضر، والوعد إنما يتعلق بالمستقبل فلا يدخله الكذب[2]، لكننا نجد في كلامه غموضا إن لم نقل تناقضا، فقد وجدناه يؤكد أن وعد الشرائع ووعيدها" مما يقبل الصدق والكذب، وهي دائما صادقة، لان الله تعالى يخبر عن معلوم، وكل ما يتعلق به العلم تجب مطابقته، فيكون الوعد بها خبرا صادقا[3]، أما وعود البشر فأمرها يختلف، فالواعد إنما ألزم نفسه أن يفعل.....مع تجويز أن يقع ذلك منه وأن لا يقع، فلا تكون المطابقة وعدمها معلومين عنده ولا واقعين، فانتفيا (الصدق والكذب) بالكلية وقت الإخبار[4]، فمن جهة نراه يصرح بعدم قبول" الوعد" و" الوعيد" للصدق والكذب ونراه، من جهة ثانية، ينسب جواز الصدق والكذب للوعود الإلهية والبشرية على السواء !

---

1. الفروق، ج4، ص.1189
2. الفروق، ج 1، ص 75.
3. نفس المصدر ،ج4، ص 24.
4. نفس المصدر، ج4، ص 24.

وأما بمعايير سيرل فيكون الفرق بين" الوعد والخبر" ليس في" شرط المحتوى القضوي، ولكن في" الغرض المتضمن في القول"، وأما الفرق بين الوعد العادي الذي يشبه الكلام الخبري كما أوضح القاضي عبد الجبار بأنه" يخبر عن **وقوع الفعل** منه مستقبلا عن "**إيقاع الفعل** منه مستقبلا" قلت الفرق بينهما بمعايير سيرل هوفي معيار" درجة الشدة" للغرض المتضمن في القول.

الكذب والخلف: وكما فرق القاضي عبد الجبار بين" الوعد والوعيد" فرق أيضا بين" الكذب" و" الخلف"، فالكذب هو" كل خبر لوكان له مخبر لكان مخبره لا على ما هوبه[1]، أما الخلف فهوأن يخبر أنه يفعل فعلا في المستقبل ثم لا يفعله[2]. وعلى هذا التحديد يكون الخلف متعلقا بـ "الوعد"، وأما الكذب فخبر عادي لا يطابق مخبره.

ولكننا نلاحظ أن" الكذب والخلف" مختلفان من جهة أخرى: فـ" الكذب" فعل كلامي محض، سواء أكان خبرا أم إنشاء، بينما الخلف فعل أو سلوك عام، قد يكون بالكلام أو بغير الكلام، فمن وعد بألا يحضر ثم حضر، يكون فعله "غير كلامي"، وأما من وعد بألا يتكلم ثم تكلم ففعله فعل" كلامي"، فالثاني مندرج ضمن "الأفعال الكلامية"، أما ا لأول فليس مندرجًا بينهما، وهكذا نرى أن الخلف يختلف عن الكذب أيضا من هذه الجهة.

وأما سيرل والتداوليون المعاصرون فلن نجد، فيما اطلعنا عليه من كتبهم، حديثا مستقلا عن "الكذب والخلف" باعتبارهما فعلين كلاميين

1. نفس المصدر، ص 135.
2. نفس المصدر، ص 135.

مستقلين، مع أنهما يندرجان في روح نصوص علمائنا القدامى، ضمن الأفعال الكلامية، بآية ترتب وانعكاس مواقف وأعمال اجتماعية ومؤسساتية عن هذين الصنفين من الأفعال، ولا نستثني إلا ما كان من حديث سيرل عن "الوعد غير المخلص" Promesse non-sincère.[1]

النفي: ومن الأفعال الكلامية **المنبثقة عن الأصلية** من جراء تطبيق ظاهرة الخبر عند علماء الأصول"**النفي**"، ومنزلته عندهم متأتية من كونه: "شطر الكلام كله"[2]، لأنه قسيم الإثبات في الخبر، ولذلك عرف فخر الدين الرازي (ت 606 هـ) الخبر بأنه: "القول المقتضى بصريحه نسبة معلوم إلى معلوم بالنفي أوبالإثبات [3]، وقد تفطن الفخر الرازي إلى التعريف المنطقي مبكرا، وأخذه عنه من بعده بعض العلماء؛ مثل جلال الدين السيوطي وغيره [4]. وروده في "الظواهر الكلامية" راجع إلى أن نفي الشيئ عن الشيء قد يكون بكونه لا يمكن منه عقلا، وقد يكون لكونه لا يقع منه مع إمكانه، فنفي الشيء عن الشيء لا يستلزم إمكانه[5].

وأما من جهة بحثهم في خصائصه التركيبية البنيوية فيبدو أن الفقهاء والأصوليين قد استثمروا "نظرية النظم"، للإمام عبد القاهر الجرجاني في تحليل الدلالات التركيبية كما ذكرها عبد القاهر، إذ صرح الزركشي بـ "أن

---

1. Searle-Les actes de langage 104

2. بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص377.

3. فخر الدين الرازي، نهاية الإنجاز في دراية الإعجاز، تح: بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت (لبنان)، ط1، 1985، ص 149.

4. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبوالفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا/بيروت، 1988، ج 3، ص 229.

5. فخر الدين الرازي، المحصول في علم الأصول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988، ص 149.

المنفي هوما ولي أداة النفي" [1]، فإذا قلت: ما ضربت زيدا، كنت نافيا للفعل الذي هوضربك إياه[2]، وإذا قلت: ما أنا ضربته، كنت نافيا لفاعليتك للضرب[3] وهوتحليل عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز. وأما نفي العموم فهوأن يتقدم أداة النفي لفظ من ألفاظ العموم[4].

II. القسم الثاني

1. الأفعال الكلامية المنبثقة عن الإنشاء عند الأصوليين

وكما استثمر الأصوليون والفقهاء ظاهرة الخبر في استنباط ظواهر جديدة أو"**أفعال كلامية منبثقة**، قاموا بنفس الصنيع مع ظاهرة الإنشاء، فاستنبطوا منها، وفرعوا عليها ظواهر وأفعال كلامية جديدة منبثقة من الأصلية، قلما نجدها عند غيرهم من الذين بحثوا في علم المعاني، وكان يحدوهم إلى ذلك حرص قوي على فهم النصوص الشرعية، وإدراك أغراضها ومقاصدها، وما تقتضيه من أحكام ومطالب دينية. وكما أشرنا سابقا فإنه لا يعنينا في هذا البحث، أن نتعرف على المباحث في ذاتها، ولكن يعنينا النظر في خلفياتها اللغوية وتجلياتها في "**أفعال كلامية**"، ضمن أسلوب "**الإنشاء**" في تقلباته المختلفة.

وعليه فقد استنبط الفقهاء والأصوليون أفعالا كلامية جديدة، بانتهاج النهج التداولي، وتحديدا من جراء البحث في المقاصد والأغراض التي يؤول إليها كل من الأوامر والنهي، وغيرهما من الأساليب الإنشائية، وذلك باعتماد

1. البرهان في علم القرآن، ج 2، ص 377.
2. نفس المصدر، ج2، ص 377.
3. نفس المصدر، ج2، ص 378.
4. نفس المصدر، ج2، ص 378.

القرائن اللفظية أوالمعنوية أوالحالية التي تهدي إلى تلك المقاصد، وتدل عليها....... وبحثوا في ما ينجر عن مفهوم الإذن من أفعال كلامية كـ "الإباحة" و"الأمر" وغيرهما، ونناقش في الصفحات القادمة بعض هذه المسائل بقدر ما يسمح به المقام، وكانت الخطوة الأولى في بحث الأصوليين أنهم قد تعرضوا لتعريف "الأمر والنهي"، إذ لم يأخذوا بتعريف علماء المعاني كما هو، بل عدلوا فيه بعض الشيئ، مثلما صرح إمام الحرمين الجويني (ت. سنة 498 هـ) بـ "أن حقيقة الأمر الدعاء إلى الفعل، وحقيقة النهي الدعاء إلى الكف[1]، وكما ذكر الشيرازي في " شرح اللمع" أن جمهور الأصوليين متفقون على أن الأمر هو: استدعاء **الفعل بالقول** ممن هودونه [2]، وعلى أن النهي هو: استدعاء **الترك بالقول**، ممن هودونه على سبيل الوجوب [3].

ما يلفت نظر الباحث أنهم قد عبروا- في هذه الصيغة التي رواها عنهم الشيرازي-عن الأمر بقولهم:"استدعاء **الفعل بالقول**" وعبروا عن النهي بقولهم:"استدعاء **الترك بالقول**"، ولم يستعمل علماء المعاني هذا التعبير التداولي الدقيق، وهذا التعبير نفسه مشابه لتعبير الفيلسوف "**أوستن**" **J L Austin** والمعاصرين، في تعبيرهم عن الصنف الثاني من أصناف الفعل الكلامي بـ "**الفعل بالقول**"[4](**Acte Illocutionnaire**)، (وهونفسه:

1. إمام الحرمين، أبوالعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني، الكافية في الجدل، تح: د. فوقية حسين عمرو، طبعة: عيسى الباني الحلبي، القاهرة 1979، ص 33.
2. الشيرازي، شرح اللمع، مج: 1، ص 191.
3. نفس المصدر، مج: 2، ص 293.
4. Quand dire c' est Faire-p 281

الفعل المتضمن في القول)، وهوما يدل دلالة قاطعة على وجود الوعي بـ "ظاهرة الأفعال الكلامية"، أي صناعة الأفعال والسلوكات والمواقف الاجتماعية والفردية والمؤسساتية بالكلمات، فقد يقع التشابه أحيانا حتى في التسميات والاصطلاحات نفسها، كما في هذه الحالة (استدعاء **الفعل بالقول**– استدعاء **الترك بالقول)**.

هذا وقد ربط الأصوليون الأوامر والنواهي بـ "إرادة المتكلم"، وهي، في تصورنا، تساير من بعض الجهات مفهوم "**القصدية**"، وقد بين الإمام أبوإسحاق الشاطبي (ت 790هـ)، أن الإرادة جاءت في الشريعة على معنيين:

–**أحدهما:** الإرادة الخلقية القدرية بكل مراد، فما أراده الله كان، وما أراد ألا يكون فلا سبيل إلى كونه.......

–**الثاني:** الإرادة الأمرية بطلب **إيقاع المأمور به، وعدم إيقاع المنهي عنه**، ومعنى هذه الإرادة أن يجب فعل ما أمر به ويرضاه، ويجب أن يفعله المأمور، وكذلك النهي، يجب ترك المنهي عنه ويرضاه.......[1]

ولكن الأصوليين لم يتوقفوا عند وضع التعريف الخاص بهم والمعتمد عندهم، بل كثيرا ما يتجاوزون وضع التعريف، إلى إبداع مفاهيم واستنباط أفعال كلامية فرعية، منبثقة من الأفعال الأصلية، كما قلنا سابقا.

---

1. الشاطبي: أبوإسحاق إبراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الشريعة، تح: عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، ط 1994. ج 2، ص 11 1/ 112.

2. أهم الأفعال الكلامية المنثبقة عن " الأنشاء "

أدت تطبيقات أسلوب الأمر الى تشقيق فروع كلامية منبثقة، تتدرج ضمن "الأفعال الكلامية، فنشأت مفاهيم وأفعال كلامية أخرى، مثل: **الوجوب، الإباحة، الحرمة، الكراهة، والتنزيه...** ولكن ما يجمع هذه الأصناف، في رأينا، صنفان هما: "الإذن" في حالة "الأمر"، و"المنع" في حالة النهي. وتصوير العلماء العرب لهما كالآتي:

أ. **الإباحة:** قد تأتي صيغة الأمرلـ "الإباحة"، ومع أنهم اتفقوا على أنها ليست طلبا، ولكنها تعد عندهم من "الأغراض" التي تستعمل فيها بعض صيغ الطلب، مثل صيغ الأمر، فكان ذلك مدعاة إلى تعرضهم لها، ضمن دراستهم الأساليب الأنشائية، وقد مثّلوا لها بالقول:

(45)–جالس الحسن اوابن سيرين.

وقد ربط بعض المناطقة والفلاسفة والبلاغيين، ومنهم على الخصوص ابونصر الفارابي وابن يعقوب المغربي، بين "الأمر" و "الإباحة" معللا ذلك بأنهما يشتركان في أنهما "اذن"، فالأمر بالقيام "اذنّ" بالقيام واباحة القيام "اذن" بالقيام[1]، والفرق بينهما ان الأمر اذن ومعه طلب، والإباحة اذن لا طلب معه! أما الدسوقي فقد أجاز أن تكون العلاقة بينهما (بين الإباحة والطلب) هي التضاد، وعلل ذلك بأن إباحة فعل الشيء وتركه تضادّ إيجابه [2]. وعلاقة التضاد، في علم المنطق، تكون بين شيئين(او

---

1. ابن يعقوب المغربي،مواهب الإنتاج تلخيص المفتاح،(ضمن شروح التلخيص)، ج2،ص313.
2. الدسوقي،ضمن ضمن شروح التلخيص، ج2،ص313.

معنيين) من جهة عدم إمكان اجتماعهما معا في شيء واحد، أو شخص واحد، ولكن قد يرتفعان معا...[1]

ومبدأ التفاوت بين الأوامر والنواهي الشرعية حسب الأولوية والأهمية، هي التي تجدها عند كبار الأصوليين؛ فقد أخذ الشاطبي **بمبدإ التفاوت بين "أوامر" الشريعة**، وصرح بأنها [أي الأوامر] لاتجري في التاكيد مجرى واحدا، فإن الأوامر "المتعلقة بالأمور الضرورية ليست كالأوامر المتعلقة بالأمور الحاجية ولا التحسينية"[2]، وعليه فهويرفض اطلاق القول في الشريعة بأن الأمر للوجوب أوللندب أوللإباحة، دون قرينة، كما هورأي الكثيرين (كالرازي، والمعتزلة وجل الظاهرية)[3]، أي يرفض القول بأن الأمر للوجوب مطلقا، كما تدعيه المدارس المتشددة، وأشد المدارس تشددا في القول بهذا الرأي والاعتداد به، "المدرسة الظاهرية" التي ترى أن الأوامر تؤخذ على ظاهرها، وهو **الوجوب الحتم اللازم** "بطلب الفعل في المأمورات، وبالكف عن الفعل في المنهيات، ما لم يصرفه نص إلى غير ذلك، كما صرح به ابن حزم (384-456 هـ)، وتشدّد في الدفاع عنه[4]، غير أن الشاطبي وآخرين (كالشعري والقاضي أبي بكر الباقلاني) ذهبوا إلى ضرورة اعتبار القرينة في

---

1. عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني،ضوابط المعرقة وأصول الأستدلال والمناظرة، دار القلم، دمشق،ط1988،3،ص54

2. ابوإسحاق الشاطى، الموافقات في اصول الشريعة، ج2،ص187.

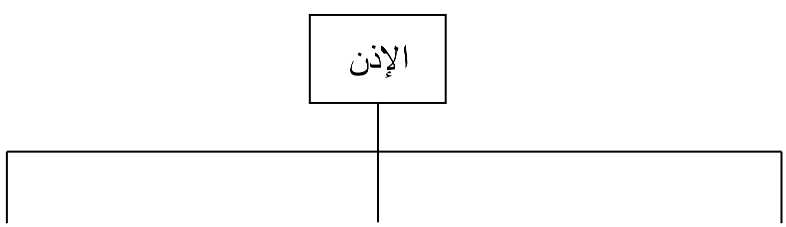
3. عبد الله دراز، الموافقات في أصول الشريعة،ج2، هامش ص187.

4. ابن حزم (أبومحمد علي بن أحمد)، الأحكام في أصول الأحكام، تح :أحمد محمد شاكر،دار الأفاق الجديدة، بيروت،1983، ج3، ص18. وانضر ايضا : محمد ابوزهرة، ابن حزم،دار الفكر العربي،القاهرة،1997،ص296.

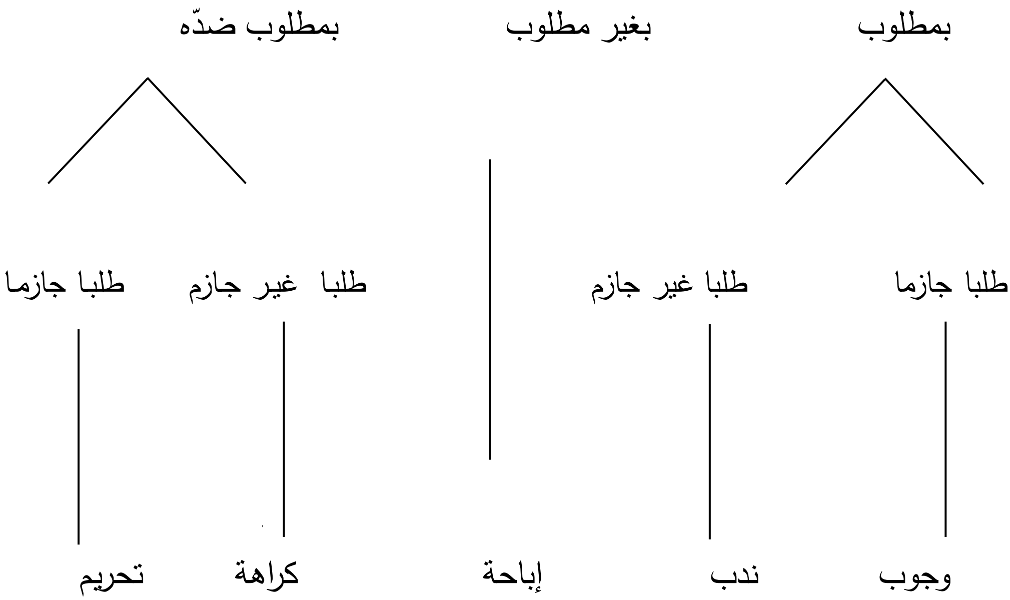
صرفه إلى الوجوب أوالندب، وحجة الشاطبي أنه "ليس في كلام العرب ما يرشد الى اعتبار جهة من الجهات دون صاحبتها" [1].

ب. الإذن: وقد جرهم الحديث عن "فعل الإباحة" إلى الحديث عن فعل كلامي آخر هو"الإذن"[2]، ودعاهم ذلك إلى الحديث عن "الكراهة"، ومع أنها ليست من أفراد "الإذن " كما يرى المغربي[3]، غير أن المكروه مأذون فيه، وهويقع موقع الضد من"المندوب"، فأضيف إلى الأصناف الواقعة تحت "الإذن"، ثم جرهم ذلك إلى الحديث عن "المحرم"، لأن "النهي شيء أمر بضدّه"[4]، فهو يقع موقع النقيض من "الأمر" أو من "المباح"، حسب تصنيف الأصوليين، ويكون المصطلح "الإذن" أعلى منها وشاملا لها.

وقد مثّل هاشم الطبطبائي لشكل العلاقة بين هذه الأصناف في الرسم الآتي[5]: ونورد تصوره فيما يلي مع شيء من التعديل لا يغير جوهره:

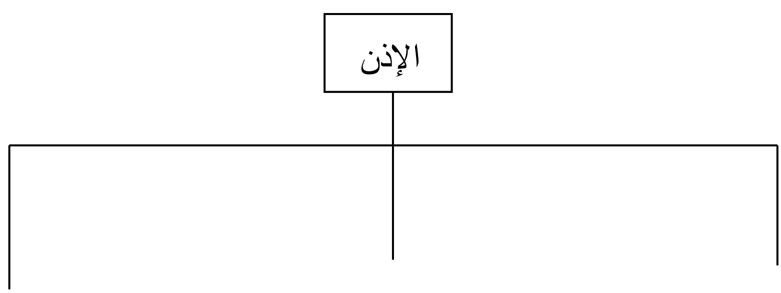


1. الموافقات، ج2،ص188.
2. لعل من أوائل المفكرين والعلماء الذين استعملوا مصطلحي "**الإذن والمنع** "في تراثنا الفيلسوف أبونصر الفارابي – في قوله: "ومنه تضرع وطلبة:**وإذن منع**..." –انظر :كتاب الحروف، ص162 \163. ونعتقد إن هذين المصطلحين "**الإذن والمنع**" مأخوذان من القرآن الكريم كما جاء في قوله تعالى: **[**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا**]** (اللحج–29).
3. مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، (ضمن شروح التلخيص)، ج2،ص311.
4. الشيرازي، شرح اللمع،مج1،ص295.
5. طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية....، ص80.



هذا بالنظر إلى المفهوم العام لـ: "الإذن"، كما يراه الطبطبائي، ولكننا من جانبنا نقترح أن يعاد تصوره – بالنظر إلى مفهومه الاصطلاحي الخاص عند الفقهاء والأصوليين – وإن تفرع تلك الأصناف الكلامية الجزئية عليه، وأن يوضع له مخطط آخر يخرج منه الوجوب والتحريم، باعتبار أن موضوع الأمر ليس "مأذونا فيه فقط" بل هو "مأمور به"، وهي درجة أشد من درجة "المأذون فيه"، وكذلك"التحريم"، فهو ليس من أفراد "الإذن،" وإنما هو من أفراد "المنع"، وإنما أثبتناه هنا لعلاقته بالإذن، إمّا علاقة تضاد، أو علاقة تنافر، بحسب درجات التحريم ودرجات الإذن.

وعليه يكون الرسم البياني لتمثيل المفهوم الصحيح لـ "الإذن" كالآتي:



بمطلوب جازم | بغير مطلوب (ولا منهي عنه) طلبًا غير جازم | بمطلوب ضدّه طلبا غير جازم

ندب | إباحة | كراهة

أما أفعال "المندوب" و"المباح" فمأذون فيها، ومن ثم يشملها "الإذن"، وأما أفعال "الأمر" و"النهي "،وتطبيقاتهما كـ "الحرام" فمباينة النهي.

فـ"فعل الإذن" مباين في تصورنا، لكل من "الأمر" و"النهي" مما يجعله مستقلا عنهما.

ويتعلق بفعل"الإباحة" فعل آخر لم يذكره شهاب الدين القرافي، وذكره بعض العلماء هو فعل "التخيير"، وعلى الرغم من تشابههما الشديد – برؤية المعاصرين– (من جهة الصيغة اللغوية ومن جهة القوة الإنجازية)، فإن بينهما فرقا واضحا، يتمثل في جواز الجمع بين "المباحين" في الإباحة، وامتناع الجمع بينهما في التخيير[1]، أي يختلفان في الآثار المترتبة على كل منهما، وهو ما سماه اوستين وسيرل (الفعل الناتج عن القول/أو الفعل التاثيري) "acte perlocutionnaire".

الأمر الصريح والأمر غير الصريح(عند الشاطبي)

1. الحسن بن قاسم المرادي، الجني الداني في حروف المعاني، ص228

قسم الشاطبي"الأمر" إلى صريح وغير صريح،

1. والصريح نوعان:

أحدهما: مجرد لا يعتبر فيه علة مقصدية، ويجري مع مجرد الصيغة مجرى التعبد من غير تعليل، ومثل له بقوله تعالى:]**وذروا البيع**] (الجمعة-9) وقوله [**أقيموا الصلاة**] (البقرة-43)

الثاني: من حيث ينظر إلى "قصده" الشرعي بحسب الاستقراء، وما يقترن من القرائن الحالية أو المقالية الدالة على أعيان المصالح في المأمورات والمفاسد في المنهيات[1]، ومثل له بأن قوله تعالى: [**فاسعوا إلى ذكر الله)** (الجمعة-9)، فالآية مقصودها الحض على إقامة الجمعة وعدم التفريط فيها، لا الأمر بالسعي إليها فقط، وقوله:[**وذروا البيع**] جار مجرى التوكيد والنهي عن ملابسة الشغل... ويرى أن هذا النظر يعضده الاستقراء[2]، ويميل الشاطبي إليه.

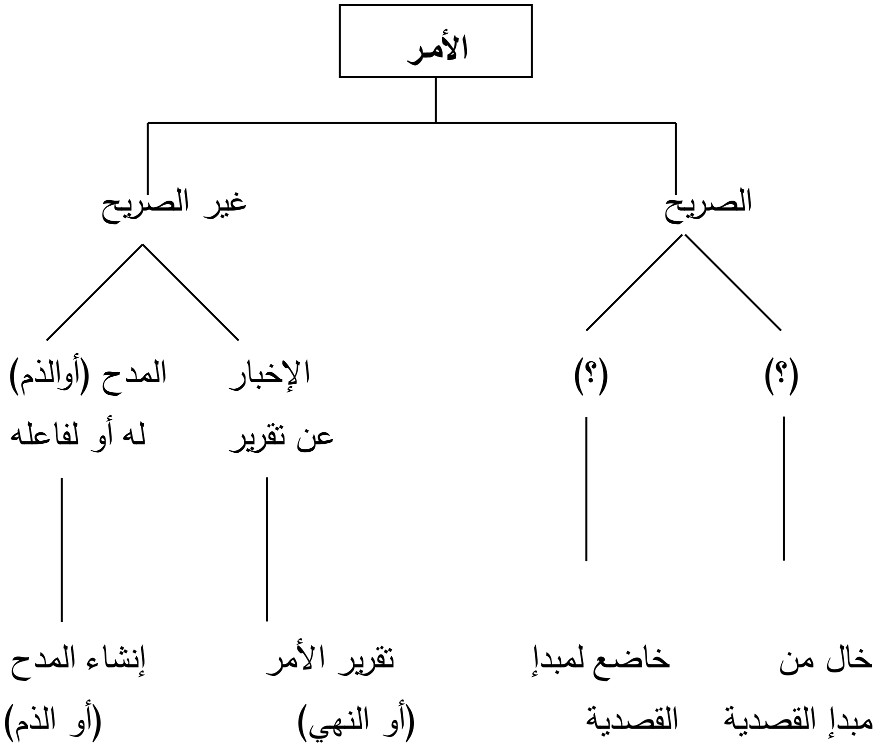
2. **أما الأمر غير الصريح**[3] فهو على ضروب أيضا:

- **ما جاء مجيء الإخبار عن تقرير الحكم مثل: [كتب عليكم الصيام]** (البقرة-183) وبقوله: [**الوالدات يرضعن أولادهن**] (البقرة-233)
- **ما جاء مدحا له أو لفاعله (أو ذما له أو لفاعله في النهي)**
- ما يتوقف عليه المطلوب (كون المباح مأمورا به)

ويمكن التمثيل لهذه الأنواع في الرسم الآتي:

---

1. الموافقات، ج2، ص 133.
2. نفس المصدر، ج2، ص 133 – 136 –137
3. وانظر أيضا: إمام الحرمين الجويني، الكافية في الجدل، تح: د. فوقية حسين محمود، طبعة: عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1979، ص 70، 89.



ينطوي هذا التصور على بعض الاعتبارات التداولية وتتمثل في:

– أن تطبيق مبدإ "القصديةّ في الأوامر الشرعية، كان معيارا صالحا ودقيقا لتصنيفها عند الشاطبي.

– أن قوة إنجازية ما تحملها هذه الأصناف الكلامية مثل: **(تقرير الأمر، تقرير النهي، إنشاء المدح، إنشاء الذم....)** وقد شعر الشاطبي بقوتها الإنجازية فجعلها أساسا لـ"الأمريات".

إن الشاطبي يؤيد مبدأ "**عدم الاحتكام إلى الصيغة وحدها** في تنميط الأفعال المتضمنة في القول"، كما قال كثير من علمائنا، فالصيغة اللغوية في الأوامر فيما بينها "مختلفة" على العكس ما هو سائد عند أوستين وبعض

المعاصرين، فالأمر يكون بـ"التقرير" و"بالمدح"، و"النهي" يكون بـ"التقرير" و"الذم".

وبمفاهيم الفيلسوفين أوستين وسيرل والتداوليين المعاصرين، نرى أن مراعاة الجوانب التداولية في هذا النوع الذي سماه الشاطبي"الأمر الصريح" تكمن في مراعاة مفهوم "القصدية" في النوع الثاني من الأمر الصريح، وعدم مراعاتها في النوع الأول، أما بمعايير سيرل، فإن الفرق بين النوعين الأول والثاني من الأمر الصريح تكمن في مبدإ "الغرض المتضمن في القول"، أما في الأمر غير الصريح فالظاهرة شبيهة بما سماه سيرل:"الأفعال الكلامية غير المباشرة".

تلخيص: ويتحصل من ذلك أنهم فرعوا على أسلوب "الأمر" خصوصا –من بين أساليب الإنشاء الطلبي– أفعالا متضمنة في القول جديدة هي: **الإذن، والندب، والإباحة، والتخيير**، فكلها يمكن إدراجها ضمن "الأمريات" السيرلية، وهذه الأفعال كلها لم نجدها عند أوستين وسيرل والمعاصرين فيما أطلعنا عليه من مؤلفاتهم، باستثناء كلام عام بنضوي تحت مبدإ "درجة الشدة للغرض المتضمن في القول" force ou intensité الذي وضعه سيرل الذي استفدنا منه هنا فجعلناه معيارا للتفريق بين التشابهات من هذه الأفعال الكلامية.

ج. تطبيق النهي عند الأصوليين:

وكما انبثقت عن تطبيقاتهم لأسلوب الأمر أصناف كلامية فرعية جديدة، كذلك انبثقت عن تطبيقاتهم للنهي أصناف كلامية فرعية جديدة، يمكن إدراجها ضمن "الأفعال الكلامية".

وقد عرف الأصوليون من الشافعية "النهي"، كما روى عنهم الشيرازي، بـ"أنه استدعاء الترك بالقول ممن هو دونه على سبيل الوجوب[1]، واختلفوا في دلالة صيغته، هل تقتضي التحريم أم الكراهة؟ فقد ذهب عموم الأشاعرة إلى الثاني[2]، ما لم ترد قرينة تؤيد ذلك[3]، واختار الأصوليون الشافعية الرأي الأول، كما هو واضح من تعريف الشيرازي الآنف الذكر، و"الحرام"و"المكروه"، في تصورنا وحسب فهمنا لكتبهم، يندرجان ضمن فعل كلامي آخر نسميه"**المنع**"– وقد عبر بهذا المصطلح بعض علمائنا وفلاسفتنا القدامى كالفارابي[4]، وهو في رأينا أشمل وأعم من النهي طالما أن هذا الأخير يعتبر عند بعضهم غير دال على التحريم بالضرورة، اعني غير جازم في التحريم.

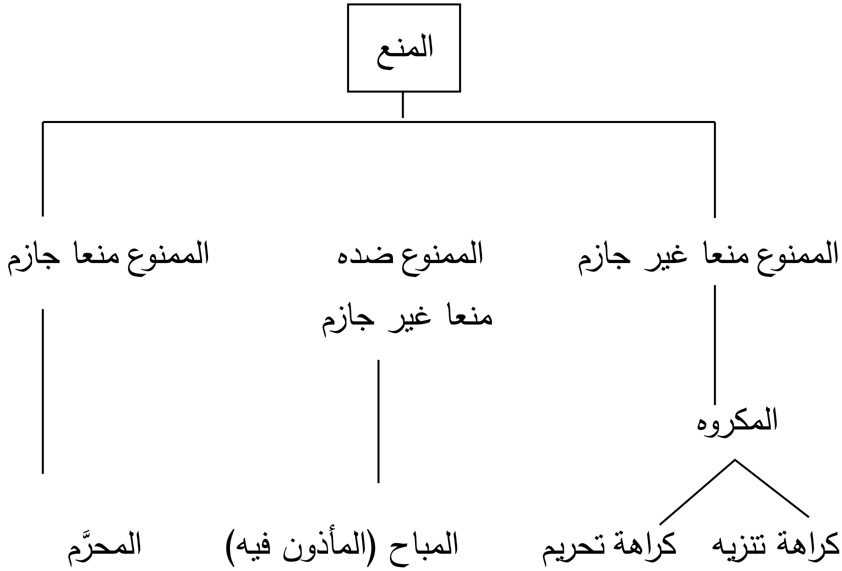
درجة الشدة في"الممنوعات": ويقع"المنهي عنه" – الذي يحتويه مصطلح"الممنوع"– في علاقة تضاد مع "المأمور به"، وفي علاقة تنافر مع "المباح"، بحسب الرسم البياني السابق الذي يوضح كيف تتدرج الأحكام الفقهية تبعا لتعالق الأفعال الكلامية ضمن تدرج منطقي محكم، ومع أن"التحريم" ليس من "الإذن" فقد أثبتناه هنالك لعلاقته بالإذن علاقة "تضاد"أو"تنافر" بحسب درجات"التحريم" ودرجات"الإباحة"، كما قلنا في الفقرة أعلاه.

– وما دام"الممنوع" منقسما إلى ممنوع منعا جازما وغير جازم، فقد انبثق عنه"فعلان كلاميان"، يعبر عنهما بمصطلحات الفقهاء بـ"الكراهة أو

---

1. شرح اللمع، مج 2، ص 291.
2. أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، مج 2، ص 291.
3. نفس المصدر، مج 2، ص 291.
4. انظر: كتاب الحروف، ص 163/162.

التحريم"، وأضاف الشاطبي درجة أخرى من درجات المنع سماها "التنزيه"[1]، ويبدو أن"التنزيه" معنى متفرع عن"الكراهة" حسبما يفهم من عبارته، فتكون الكراهة بناء على هذا التصور نوعين: كراهة تنزيه وكراهة تحريم. ويمكن تصوير العلاقة بين هذه الدرجات من "الأفعال الكلامية الفرعية" في البيان الآتي:



والفرق بين"المكروه" و"المحرم" هو في "درجة الشدة للغرض المتضمن في القول "بحسب معايير ومصطلحات سيرل، إذ الغرض المتضمن في القول من "الكراهة" اقل شدة من الغرض المتضمن في القول من"التحريم"، وفي كل منهما نجد فعلا متضمنا في القول، شاملا لهما معا هو":المنع" وكذلك يقال في الفرق بين مصطلحي الشاطبي (كراهة التنزيه وكراهة التحريم)، فالفرق بينهما في درجة الشدة في العرض المتضمن في القول، إذ الغرض المتضمن في فعل"كراهة التنزيه"اقل شدة من الغرض

1. نفس المصدر، مج 2، ص 125.

المتضمن في فعل"كراهة التحريم"، ونجد في كل منهما أيضا فعلا كلاميا شاملا لهما معا هو"المنع"، لكنه في أحدهما منع جازم وفي الآخر منع غير جازم.

والمأذون فيه إذنا غير جازم، أي المباح، ليس مندرجا في"المنع"، وإنما ضدّه هو المندرج في المنع، وقد أثبتناه هنا حتى نعرف انه يمكن أن يكون واردا في تطبيقات "الأمر" كما يمكن أن يكون واردا في تطبيقات "النهي"، فهو يقع في درجة بين الأمر والنهي، أو بين "الإذن" و"المنع"، ومن ثم لا يتعلق به فعل كلامي بالأمر الجازم أو النهي الجازم، فالمباح نوع من "الأفعال الكلامية المسكوت عنها"، ومادام مسكوتا عنها فهي "مباح،" إذ الأصل في الأشياء الإباحة.

د. استثمار الأصوليين والمفسرين لفعل"التعجب": اعتبر جمهور العلماء العرب"التعجب" من الإنشاء غير الطلبي، كما عبر عنهم ابن الحاجب وغيره[1] وعرفوه بأنه انفعال يحدث في النفس عما خفي سببه[2]ولهذا قيل: إذا ظهر السبب بطل العجب[3]، وقد نقل الأزهري عن أبى عصفور" أن التعجب "هو استعظام زيادة في وصف الفاعل خفي سببها وخرج بها المتعجب منه عن نظائره، أو قلّ نظيره[4].

1. جمال الدين ابن الحاجب، الكافية، ج2، ص 307.
2. الشريف الجرجاني، التعريفات، ص 62.
3. الرضى الاستراباذي، شرح الكافية، ج2، ص 307.
4. خالد الأزهري، شرح التوضيح على التصريح، دار الفكر، بيروت، دت، ج2، ص 87/86.

أما ما أضافه الأصوليون والمفسرون والمتكلمون إلى مناقشات النحاة والبلاغيين فهو مسألة "التعجب من أفعال الله تعالى، خصوصا الواردة في القرآن الكريم " وانقسموا إزاءه إلى فريقين:

- **الأول:** يقول بالجواز، ومنهم الزركشي وقد جوز أن يقال: ما أعظم الله![1] باعتبار انه تعظيم لله بشيء من صفاته.

- **الثاني** يرد هذا الرأي بأن التعجب استعظام يصحبه الجهل (خفي سببه)، والله منزه عن ذلك.[2]

وقد ناقش الزركشي أصل هذه المسألة بأن أصل الخلاف يلتف على خلاف آخر، "وهوأن حقيقة التعجب هل يشترط فيها خفاء سببه، فيتحير فيه المتعجب منه أولا؟ وإذا كان الجواب بنعم فقد استبشعوا أن ينسب ذلك إليه سبحانه، ولذلك استلطفوا واستحسنوا صنيع الزمخشري، إذ عبر عنه بـ "التعجب"، بمعنى أن التعجب مصروف إلى المخاطب، واستحسنوا رأي سيبويه، إذ إعتبر مجيئ التعجب من الله كمجيء الدعاء والترجيّ منه، وإنما هذا بالنظر إلى ما تفهمه العرب، أي هؤلاء عندكم ممن يجب أن تقولوا لهم هذه[3].

وهذا يوافق ما فسر به سيبويه قوله تعالى: [**لعله يتذكر أويخشى**] (طه-44) قال: المعنى: إذهبا على رجائكما وطمعكما[4]. وروى الزركشي أن أحد النحاة- هوإبن الصانع (ت 680هـ) علق على التفسير ب أنه حسن

1. البرهان في علوم القرآن، ج2، ص 318.
2. البرهان في علوم القرآن، ج 2، ص 319.
3. نفس المصدر، ص 319.
4. سيبويه، الكتاب، ج1، ص 319.

جدا[1]، وورد في تفسير محمد الطاهر ابن عاشور أن الترجي المستفاد من (لعلّ) في هذه الآية هو تمثيل لشأن الله في دعوة فرعون بشأن الراجي، أويكون إعلاما لموسى وهارون بأن يرجوا ذلك، فكان النطق بحرف الترجي على لسانهما.[2] وواضح تأثير تفسير سيبويه والزمخشري في هذا التخريج.

وقد أخذ المفسرون والأصوليون بمصطلح التعجب إذا كانت ألفاظ التعجب صادرة من الله تعالى، وعلى هذا جرت عادتهم، فقد فسر ابن عاشور قوله تعالى:[فما أصبرهم على النار] (البقرة– 175) بقوله: التعجب من شدة صبرهم على عذاب النار.[3]

والحصيلة أن الأصوليين أضافوا إلى التعجب فعلا كلاميا ثانيا هوالتعجب ومعناه حمل المخاطب على التعجب، "**إذ فعل التعجب فيه**" مصروف إلى المخاطب[4].

هـ. الاستفهام: في دراسة الأصوليين وعلماء التفسير للاستفهام اصطلح عليه بعضهم باصطلاح: الاستفهام، واصطلح عليه بعضهم باصطلاح الاستخبار، ووضعوا له تعريف: طلب خبر ماليس عندك[5] ومنهم من جعله مساويا للاستفهام، ومنهم من فرق بينهما بأن الاستخبار يكون فيما لم يفهم حق الفهم، والاستفهام أن تسأل عنه ثانيا...[6] ، وقد نسب الزركشي

---

1. البرهان في علوم القرآن، ج 2، ص 320.
2. محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس 1984، ج 16، 227.
3. نفس المرجع، ج2، ص 124.
4. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهتن في علوم القرآن، ج2، ص 319.
5. نفس المصدر، ج2، ص 318.
6. نفس المصدر، ج2، ص 326.

بعض اصطلاحاتهم في أقسام الكلام إلى أحمد بن فارس (ت.390هـ)[1]. والاستفهام،عند علماء المعاني، استعلام عن نسبة هي في أصلها خبر، ولهذا لا يستفهم عن طلب[2].

وما يميز بحث الأصوليين لهذه الظاهرة الأسلوبية الكلامية أنهم جعلوها متنقلة بين الخبر والإنشاء بحسب السياق وقصده المتكلم وغرضه من المخاطب؛ فالاستفهام الخبرى"نفى وإثبات" كما قالوا، والوارد للنفى يسمى:"استفهام إنكار"، والوارد للإثبات يسمى "استفهام تقرير"، لأنه "يطلب بالأول إنكار على المخاطب وبالثانى إقرار به"[3]. ثم راحوا يقسمون "الاستفهام الخبري" إلى أقسام كثيرة، تنتهي عند ضربين هما:

– **استفهام الإنكار**: ومعناه، حسب الزركشي، "أن ما بعد الأداة منفي"، ويجيء لأغراض كتعريف المخاطب أن ذلك ممتنع عليه"[4]، وله نوعان فى تصور الزركشي: إبطالي وحقيقي. ففي الأول (الإنكار الإبطالي) يكون ما بعد أداة الاستفهام غير واقع، ومثلوا له بقول الله تعالى:**[أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي؟]**(الزخرف – 43)، وبقوله سبحانه:**[أنلزمكموها وأنتم لها كارهون؟]** (هود –28). وفي الثاني (الإنكار الحقيقي) يكون ما بعد الأداة واقعا وفاعله معلوم، ومثلوا له بقوله تعالى:**[أتعبدون ما تنحتون؟]**(الصافات – 95)، وبقوله سبحانه: **[أإفكا آلهة دون الله تريدون؟]**(االصافات – 86).

1. نفس المصدر، ج2، ص 326.
2. د. مهدي المخزومي، في النحو العربي: نقد وتوجيه، المكتبة العصرية، صيدا/ بيروت، ط1، 1964، ص 264.
3. نفس المصدر، ج2، ص 328.
4. المصدر السابق، ج2، ص 331.

– **استفهام التقرير:** ومضمونه "حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عندك"[1]، ونسب الزركشي وضع هذا الضرب الاستفهامي إلى اللغوي أبي الفتح عثمان بن جني (ت392 هـ) فى كتابه "الخاطريات"[2]. وقد مثلوا له بقوله تعالى:**[ألم يجدك ضالا فهدى،ووجدك عائلا فأغنى]**(الضحى– 7)، وقوله:**[أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم]**(الأنبياء–62)، وقوله:**[أكذّبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما]** (النمل –37).

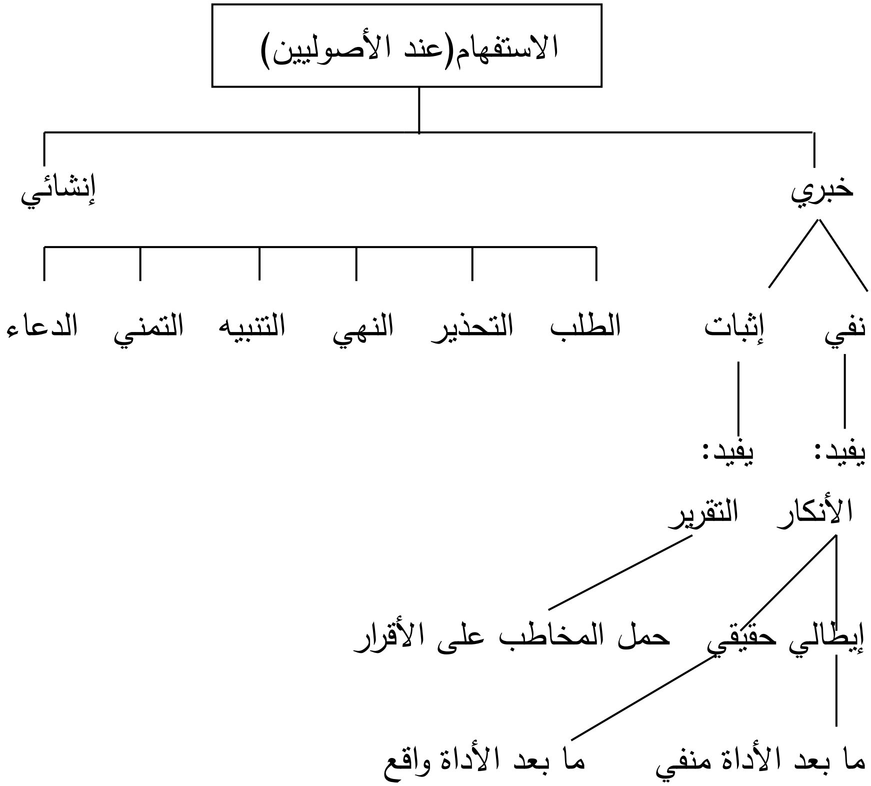
أما الضرب الاستفهامي الثاني، والذي سموه: "الاستفهام الإنشائي"، فقد قسموه إلى أصناف كثيرة حسب مقاصد المتكلمين ومرادهم من المخاطبين[3]، من أهمها: "**العرض والتحضيض**"وهما من أنواع **الطلب**، ومثلوا له بقوله تعالى: **[فهل أنتم شاكرون]**(الأنبياء – 80)، والاستفهام مستعمل فى استبطاء الشكر ومكنى به عن الأمر بالشكر[4]. ومنها التحذير وقد مثلوا له بقوله تعالى: **[ألم نهلك الأولينٍ]**، ومنها التنبيه، الترغيب، التمنى، الدعاء... وقد حشدوا لظواهره المتنوعة أمثلة كثيرة من القرآن الكريم[5].

وقد تعرضوا لدراسة ومناقشة حقيقة أسلوب الاستفهام وفحواه إذا صدر من الله تعالى، فبناء على أن الاستخبار "طلب الخبر أوالسؤال عن الخبر[6]،

1. المصدر السابق، ج2، ص 331.
2. السابق، ج2، ص 331، وقد ذكره محمد علي النجار، محقق "الخصائص"، قائلا: "ذكره المؤلف هكذا: ما أحضر نيه الخاطر من المسائل المنثورة، مما أمللته وحصل في آخر تعاليقي عن نفسي، وغير ذلك مما هذه حاله وصورته". انظر: محمد علي النجار، الخصائص، دار الكتاب العربي، ج1، ص 64
3. الزركشى، البرهان فى علوم القرآن،ج2،ص324 وما بعدها.
4. محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسيه للنشر،1984،ج17،ص122.
5. للإستزادة يراجع: الزركشى، البرهان فى علوم القرآن،ج2، ص324 وما بعدها.
6. إمام الحرمين الجوينى، الكافيه فى الجدل، ص34.

فإن أبا المعالي الجويني يقرر أنه "يصح من الله الاستخبار على معنى التقرير فأما على الاستفهام فمحال عليه[1].

ويمكن توضيح أقسام الاستفهام عندهم كالآتي:



و. **ألفاظ "العقود والمعاهدات"**: إن الصيغ الإنشائية المسماة بـ "**ألفاظ العقود**" (وهي التي تصاغ بها العقود والمعاهدات) في التراث النحوي والبلاغي العربي لم تنل حقها من الدراسة والاهتمام، ومن مظاهر نسيان تلك الصيغ وإهمالها أنها لم تأت مفصلة إلا في الكتب التطبيقية لظواهر الخبر والإنشاء، ككتب الفقه وأصوله، بوصفها متعلقة بإبرام العقود وفسخها،

1. نفس المصدر، ص34.

ومن ثم يكون بحث العلماء لها عرضيا غير مقصود لذاته. فالبحث النحوي والبلاغي لم يعيرا تلك الظواهر من الاهتمام إلا شيئا يسيرا. ويكفي أن نتصفح أي كتاب بلاغي أونحوي من عصر أبي يعقوب السكاكى وابن الحاجب (توفيا فى القرن الهجري السابع) حتى عصر السيوطي (توفي في القرن العاشر) لندرك الإهمال الكبير الذي تعرضت له هذه الصيغ، لولا أن نفرا من الفقهاء والأصوليين كالقرافي والإسنوي وابن رشد والآمدي قد بحثوا ظواهر من هذه الأفعال الكلامية فى ثنايا تنظيراتهم الأصولية ومناقشاتهم الفقهية[1]. ومن بين القضايا التداولية التي نجدها مبثوثة في كتب هؤلاء، ما يتعلق بإجراء المعاملات العامة؛ كالزواج والطلاق والبيع... وما تقتضيه تلك المعاملات من إبرام للعقود أو فسخ لها، وتلك هي الظواهر التي نتخذها موضوعا صالحا لبحث الجوانب التداولية في كتب أصول الفقه الإسلامي.[2]

ألفاظ (أوصيغ) االطلاق

من بين الصيغ التي بحثت باستفاضة في كتب الفقهاء والأصوليين التي "تنشىء" الطلاق و"توقعه"، أي التي يتم بها إنشاء الفعل الكلامي الذى ينجر عنه "فعل الطلاق"، فقد أجمع العلماء المسلمون، كما صرح أبوالوليد بن رشد (520–595هـ)،على أن الطلاق يقع إذا كان بنية ولفظ صريح"[3]،

1. نظر: شيهاب الدين القرافى، كتاب الفروق،ج1، ص28وص102، وأيضا: جمال الدين الإسنوي، نهاية السؤال،ج2، ص102، وأيضا : سيف الدين الآمدي، الإحكام فى أصول الأحكام.

2. نذكّر بأن الفيلسوف أوستين قد انطلق من الإعتبارات القانونية ومن الإرث الإغريقي في دراسة الأفعال الكلامي. انظر : Quand dire c'est faire- première et deuxième conférences-pp37-57.

3. أبو الوليد محمد بن رشد القرطي، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط6، 1983، ج2، ص47.

واختلفوا في هل يقع "باللفظ غير الصريح، أوبالنية دون اللفظ، أو باللفظ دون النية[1].

ولا يهمنا، هنا، أن نبحث الطلاق بحثا فقهيا أوقانونيا ولكن ما يعنينا هوالاعتبارات التداولية التي كانت خلفية لإنجاز هذا الفعل الإجتماعي الذي هو"الطلاق"، فما يلفت النظر في عبارات ابن رشد أثناء تحليله للطلاق، أن البحث الفقهي في الطلاق كان يتم بطريقة وإجراءات تداولية، ويتجلى ذلك في مبدأين أساسيين،هما:مبدأ "القصد" (أوالنية)، ومبدأ "الصراحة والكناية"، كما يلي:

1. "**القصد والنية**" **في** "**فعل**" **الطلاق**": وقد تبين حضور هذا المبدإ حضورًا قويا في مناقشات فقهائنا كما يبدومن كلام ابن رشد، وذلك من خلال اعتبارين:

– اشتراط بعضهم شرط "النية والقصد" في إيقاع هذا الفعل، فمن قال لزوجته: "أنت طالق"، وادعى أنه "أراد شيئا آخر، كأن يطلقها من وثاق هي فيه... فقد قالوا[2]: هو ما نوى وقد لزمه[أي الطلاق]، إلا أن تكون هناك قرينة مانعة من ذلك، فالمشهور عن مالك أن الطلاق لا يقع إلا باللفظ والنية وهو قول أبي حنيفة"[3]

وعند الشافعي أن لفظ الطلاق الصريح (مثل: أنت طالق) لا يحتاج إلى نية[4].

---

1. نفس المصدر، ج2، ص 74.
2. نفس المصدر، ج2، ص 75.
3. نفس المصدر، ج2، ص 75.
4. الشيرازي، شرح اللمع، مج 2، ص 234.

وعليه فقد اعتبروا شرط "**النية أوالقصد**" ركنا من أركان التمييز بين أنواع الطلاق وما هوصحيح منها وما هوغير صحيح في" تداولية" الأصوليين والفقهاء،ولا سيما عند مالك ابن أنس(93–179هـ) كما روى عنه ابن رشد.

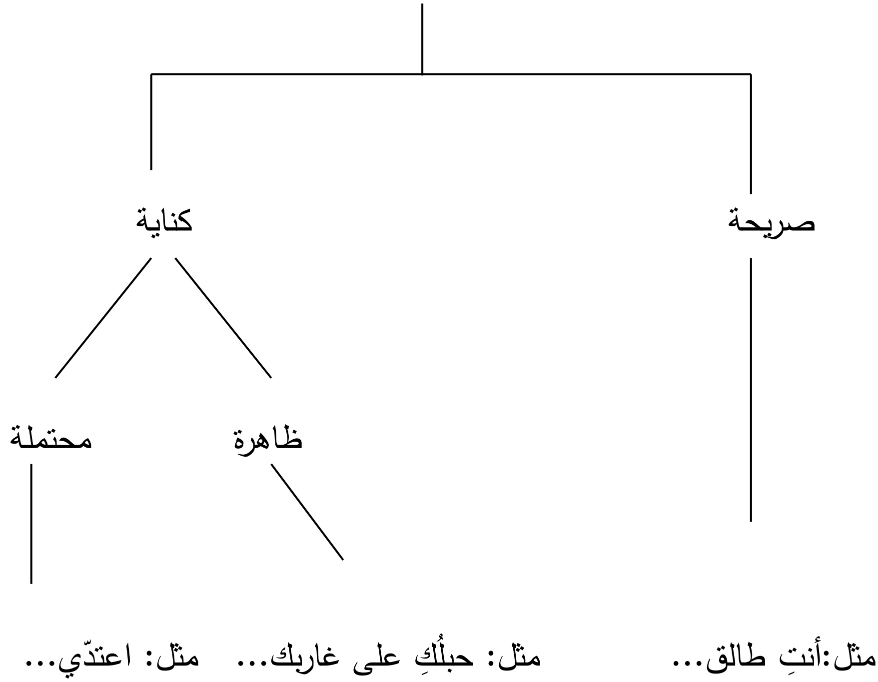
وأما باصطلاحات التداوليين المعاصرين فقد اعتبر أوستين مقولة "**القصدية**" مبدأ هاما من مبادىء الأفعال الكلامية، إذ تتوقف عليه الهوية الإنجازية لأي فعل كلامي، وأما باعتبارات سيرل فذلك مرتبط بمعيارين: معيار "**الغرض المتضمن في القول**" من جهة، ومعيار "**درجة الشدة**" من جهة أخرى.

2. "**الصراحة والكناية**" **في لفظ الطلاق:** فقد تحدث الفقهاء عن اللفظ الصريح للطلاق وعن كنايات الطلاق، وفائدة هذا المبحث أن نتعرف على الألفاظ التي تعد بمنظور تداولي "**أفعالا كلامية**" بوصفها ترمي إلى إنشاء أو إيجاد أفعال ومواقف وسلوكات اجتماعية بالكلمات كما عبر الفيلسوف أوستين، أوالألفاظ التي تعد "**أفعالا كلامية غير مباشرة**" كما عبر سيرل. فاللفظ الصريح للطلاق كقوله: أنت طالق، وطلقتك، وسرحتك...وأما كنايات الطلاق فقد قسموها إلى كنايات ظاهرة وكنايات محتملة، **فالظاهرة** كقوله: حبلك على غاربك، **والمحتملة** كقوله: اعتدى، أو استبرئى، تقنّعي... وذلك كله محكوم عند أغلب الفقهاء بالقصد والنية[1].

ويمكن تصوير ذلك فيما يلي:

ألفاظ الطلاق

1. ابن رشد، بداية المجتهد، ص 77/76.



والخلاصة أن كل هذه الألفاظ والعبارات التي ذكرها الفقهاء كألفاظ صريحة للطلاق، أوكناية عنه، نحو: "أنت طالق، حبلك على غاربك، الحقي بأهلك، اعتدّي،استبرئي، تقنّعي..." إنما تعد "أفعالا كلامية"، وتصنف، باصطلاحات سيرل، ضمن "**الإيقاعيات**" باعتبار أن المتكلم يريد من التلفظ بها "**إيقاع**" فعل وسلوك اجتماعي معيّن وإيجاده بالكلام.

ألفاظ (أوصيغ) البيع

ناقش الأصوليون والفقهاء المسلمون في كتبهم الألفاظ والصيغ التي تتم بها عقود البيع، إذ "الفعل البيعي" لا يصح إلا بألفاظ خاصة تواضع عليها أهل اللسان العربي لتؤدي هذا الفعل الكلامي، وهي الألفاظ التي وصفها ابن

رشد بأنها تلك التي "**صيغتها ماضية**، مثل أن يقول البائع: **قد بعتك هذا الشيء**"[1]، وهوما ذكره شهاب الدين القرافي أيضا –في نص أوردناه سابقا– أن صيغة البيع مخالفة لصيغة الشهادة، فتكون بالماضي: "وعكسه في البيع، لوقال: **أبيعك** لم يكن إنشاء للبيع بل إخبار لا ينعقد به بيع، بل وعد بالبيع في المستقبل، ولوقال: **بعتك**، كان إنشاء للبيع. فالإنشاء فى الشهادة بالمضارع، وفي العقود (مثل البيع) **بالماضي**، وفي الطلاق **بالماضي واسم الفاعل**، نحو: أنتِ طالق، وأنتَ حر. **ولا يقع الإنشاء في البيع...باسم الفاعل**، ولوقال: أنا بائعك بكذا...لم يكن إنشاء للبيع[2].

والتعبير الذي يستعملونه عندما يقولون: "إن صيغتها ماضية" لا يفيد أنها وقعت في الماضي، بل العكس هو المقصود من كلامهم وهوالصحيح، أي يشترط أن تقع في الحال، مع استعمال صيغة الماضي الذي يفيد الحال، ولهذا أورد الشريف علي بن محمد الجرجاني هذا الإيضاح الذي ينص على أن "صيغة ألفاظ العقود (كـ:بعتُ واشتريت، وزوجتُ وطلقت) إنشائية إذا لم يتم وقوع فعلها في الماضي، فإن العلم بعدم وقوع فعلها في الماضي دلالة على كونها للإنشاء[3].

ولا تتم عملية البيع حتى يقول المشتري: "قد اشتريت منك[4]"، وذلك ما يسمى عندهم: الإيجاب والقبول. وذلك ما اتفق عليه كبار الفقهاء كمالك

---

1. بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج2، ص 170، والتأكيد من عندنا.
2. كتاب الفروق، ج4، ص 1189، والتأكيد من عندنا.
3. حاشية تحرير القواعد المنطقية، ص 44.
4. بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج2، ص 170.

والشافعي. فالإيجاب هوأن يقول البائع: قد بعتك، والقبول هو أن يقول المشتري: قد اشتريت (أي قبلت).

وقد صرح ابن رشد بأنه "لاخلاف–فيما أحسب– أن الإيجاب والقبول المؤثرين في اللزوم لا يتراخى أحدهماعن الثاني حتى يفترق المجلس[1]، ومقتضى هذا التصريح أن الإيجاب والقبول اللذين ينعقد بهما البيع يشترط فيهما أن يتزامنا ليكون عقد البيع ملزما، وإلا كان البيع فاسدا.

ومن مظاهر الحضور القوي للخلفيات والاعتبارات التداولية في بحوثهم الفقهية أنهم ناقشوا – وإن لم يتفقوا على ذلك – مسألة انعقاد (أوعدم انعقاد) العقود التي يقع فيها خطأ أو تغيير في صيغة الإيقاعيات؛ فقد روى جمال الدين الإسنوي أن **أبا حامد الغزالي** (ت 505 هـ) قد ذكر في فتاويه ما يوضح ذلك، "فقال في المسألة العاشرة بعد المئة: إذا قال الولي زوجت لك أو زوجت إليك، صحّ، لأن الخطأ في الصيغة **إذ لم يُخلّ بالمعنى والغرض** ينزّل منزلة الخطإ في الإعراب بالتذكير والتأنيث...."[2]، والشاهد في كلام الغزالي أنه يعتدّ **بالمعنى والغرض (أي القصد)** على حساب الصيغة إذا طرأ عليها ما يخل بأدائها الإنجازي، فالعبرة بالمقاصد والمعاني لا بالألفاظ والمباني.

والخلاصة أن الأصوليين والفقهاء هم دارسون لنصوص شرعية، وهذه النصوص هي نصوص عربية، فكان من اللائق أن تكون الإعتبارات اللغوية هي المدخل المناسب لتلك الدراسات... وكان ذلك داعيا لهم إلى انتحاء منحى دراسي متجه إلى المعنى والغرض، حتى يحققوا غاياتهم

---

1. نفس المصدر، ص 170.

2. جمال الدين الإسنوي، الكوكب الدري فيما يتخرّج على الأصول النحويّة من الفروع الفقهيّة، تح: محمد حسن عواد، دار عمان، عمان (الأردن)، ط1، 1985، ص 170، والتأكيد من عندنا.

الدراسية، نسميه بلغة عصرنا: المنحى التداولي، والذي كان أكثر استجابة لطبيعة النص المدروس ولغرضهم العلمي من وراء الدراسة، فتعاطوا أساليب النصوص الدينية ومعانيها تعاطيا تداوليا، مستثمرين بعض الظواهر والمفاهيم التي لم تتمكن اللسانيات التداولية وفلسفة اللغة من بلورتها إلا حديثا، ودرسوا – ضمن نظرية الخبر والإنشاء – ظاهرة "الأفعال الكلامية"، واستنبطوا –عبر الجمع بين المنطلقات والمفاهيم النظرية من جهة والنصوص التطبيقية من جهة أخرى– أفعالا كلامية جديدة من الأساليب الخبرية أهمها: **الرواية والشهادة، والوعد والوعيد، والدعوى والإقرار، والكذب والخلف**...واستنبطوا أفعالا كلامية أخرى من الأساليب الإنشائية أهمها: **الإذن والمنع، والندب، والإباحة والتخيير**، و**التعجيب**، **وألفاظ العقود والمعاهدات والإيقاعات**... ودرسوا أسلوب الاستفهام ومعانيه دراسة معمّقة، واستنبطوا منه فروعا هامة من الأفعال الكلامية (منها على الخصوص: **التقرير، الإنكار الإبطالي، الإنكار الحقيقي)**...واعتدّوا بمبدإ الغرض من كلام المتكلم وقصده أيما اعتداد، وفضّلوه على الصيغة إذا طرأ عليها ما يخل بأدائها الإنجازي، فالعبرة عندهم بالمقاصد والمعاني لا بالألفاظ والمباني، وقد اعتبرنا كل هذه الظواهر الجديدة "**أفعالا كلامية**" منبثقة عن الأصلية، طالما أنها ترمي إلى صناعة أفعال ومواقف وسلوكات اجتماعية أومؤسساتية أو فردية بالكلمات.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: الكتب العربية والمترجمة:

1. (الآمـدي) سـيف الـدين، الإحكـام فـى أصـول الأحكـام، تـح: عبـد الرزاق عجمي، المكتب الإسلامي، بيروت 1402هـ.

2. آرمنقو(فرانسواز)، المقاربـة التداوليـة، ترجمـة: د.سـعيد علـوش، مركـز الإنماء القومي، بيروت، دت.

3. (الإسنوي) جمال الدين، الكوكب الدريّ فيما يتخرج على الأصـول النحويـة مـن الفـروع الفقهيـة، تـح: محمـد حسـن عـواد، دار عمـار، عمـان (الأردن)، ط1، 1985.

4. البيضاوي ناصر الدين، نهاية السول في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول، تح:د.شعبان محمد إسماعيل، دار ابن حزم،1991.

5. أوستين (ج.ل.J.L.Austin)، نظرية أفعال الكلام العامة، ترجمة: قنيني (عبد القادر)، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء.

6. البيضاوي (ناصر الدين)، منهاج الوصول إلى علم الأصول، ضمن شرحه المسمى: نهاية السول فى شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للإسنوي، تح: د. شعبان محمد إسماعيل، دار ابن حزم، 1999.

7. التفتازاني (سعد الدين)، شرح المختصر على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني (ضمن شروح التلخيص)، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1944.

8. تمام حسان، اللغة العربية: معناها ومبناها، الهيئة المصرية العام للكتاب، القاهرة،1979.

9. الدسوقي (محمد بن عرفة)، شرح الدسوقي على مختصر التفتازاني، (ضمن شروح التلخيص)، ترتيب وتعليق: عبد المتعال الصعيدي، منشورات دار الحكمة– قمّ (إيران)، دت.

10. جمال الدين (مصطفى)، البحث النحوي عند الأصوليين، المكتبة الوطنية، بغداد، رقم 1485. السنة 1980.

11. الجويني، (أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله، المعروف بـ: إمام الحرمين)، الكافية فى الجدل،تح: د. فوقية حسين محمود، طبعة: عيسى البابي الحلبي، القاهرة 1979.

12. ابن حزم (أبومحمد علي بن أحمد)، الإحكام في أصول الأحكام، تح: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت،1983.

13. الرازي (محمد بن عمر المعروف بـ: الإمام فخر الدين الرازي)، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تح: بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت (لبنان)، ط 1، 1985.

14. المحصول فى علم الأصول، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988.

15. الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله)، البرهان فى علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا/ بيروت، د.ت.

16. أبوزهرة (محمد)، ابن حزم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997.

17. السبكي (بهاء الدين)، عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح (ضمن شروح تلخيص المفتاح)، مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1948.

18- سيبويه (أبوبشر، عمروبن قنبر)، الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، دت.

19. الشاطبي (أبوإسحاق، إبراهيم ابن موسى)، الموافقات في أصول الشريعة، تح: عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، 1994.

20. الشيرازي (إبراهيم)، شرح اللّمع في أصول الفقه،تح: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.

21. الطبطبائي (طالب سيد هاشم)، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، منشورات جامعة الكويت، 1994.

22. طه عبد الرحمان، تجديد المنهج فى تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2.

23. ابن عاشور (محمد الطاهر)، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر (تونس)، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع (الجزائر)، 1984

24. القاضي عبد الجبار (الهمذاني الأسد أبادي المعتزلي)، شرح الأصول الخمسة، تح: د. عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، 1988.

25. القرافي (أحمد بن محمد، شهاب الدين)، أنوار البروق في أنواء الفروق المعروف بكتاب "الفروق"، تح: محمد أحمد سراج وعلي جمعة محمد، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط2001.

26. القرطبي (أبوالوليد محمد بن رشد)، بدايه المجتهد ونهاية المقتصد، دار المعرفة، بيروت، ط6، 1983.

27. قنيني (عبد القادر)، في: نظرية أفعال الكلام العامة (لأوستين)، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1991.

28. الميداني (عبد الرحمان حسن حبنكة)، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزّ وجلّ، دار القلم، دمشق، ط 3.

ثانيا : أهم الكتب الأجنبية:

29.AUSTIN (john Langshaw)-QUAND DIRE C’EST FAIRE- traduction française par: Gilles LANE-postface par : François RECANATI- Edition du seuil-1970.

30. SEARLE (john)-LES ACTES DE LANGAGE, essai de phylosophie du langage- traduction Française par Hélène PAUCHARD-Hermann-Paris-1972.

31. SEARLE (john)-SENS ET EXPRESSION, étude de théorie des actes de langage- traduction et préface par joelle PROUST-Les Editions de Minuit- Paris-1982.

التعدية عند عبد القاهر الجرجاني
دراسة في التركيب والدلالة

الأستاذة دليلة مزوز-
جامعة بسكرة

مقدمة :

تطرح قضية التعدية إشكالات عدة في الدرس النحوي، من مثل: بم ارتبطت؟ وما أصلها؟ ولماذا يتعدى الفعل مرة ويلتزم أحيانا، وما الفرق بين المتعدي واللازم؟ وإلى ماذا يعود؟ أإلى التركيب أم الدلالة؟ أم إليهما معا؟ وهل يمكن أن نجد أفعالاً لازمة لا تتعدى وأفعالاً متعدية لا تلتزم؟ أم أن القضيتين متداخلتان بحيث نعدي اللازم؟ ونلزم المتعدي متى اقتضت الضرورة ذلك.

وإذا وجدنا الأفعال تتعدى بنفسها وبواسطة، فهل مشتقات الفعل تعمل عمل فعلها بنفس القوة الدلالية والتركيبية؟

وللوقوف على حقيقة تعدي الفعل ومشتقاته فإن طبيعة المقال تفرض علينا التعرض للمستويين التركيبي، والدلالي للتعدية، عند عبد القاهر

الجرجاني الذي ينطلق في تحديد مفهومها عن طريق تعليق الاسم بالفعل: "والمتعدي ما جاوز الفاعل، كنصرته، وضربته ويسمى واقعا مجاوزا "[1] "والمتعدي ما نصب مفعولا به "[2].

لعل أهم ما نسجله عن هذين التعريفين، أن التعدية معناها وقوع الفعل على المفعول به، وتعلقه به فيتكون عندنا مصطلحان هما: الوقوع، (أو الأثر)، والتعليق.

والتعدية من سمات الأفعال ومشتقاتها، وهي عنده تأثير هذه الوحدات المتميزة في وحدات أخرى هي الأسماء المنصوبة، فينتج عن ذلك أثر سماه النحاة الوقوع؛ فالتعدي والعامل أثر، ومن ثم كان تصور عبد القاهر لأبعاده الثلاثة؛ عامل ومعمول، وعمل، أو بعبارة أدق، مؤثر ومتأثر وأثر.

فالمؤثر هو الفعل المتعدي ومشتقاته التي تعمل عمله، والمتأثر المفعول به وجميع المفاعيل الحقيقية وغير الحقيقية، والأثر هو العلامة الإعرابية وتكون إما حركة أو حرفا أو حذفا[3].

ويمكن تمثيل تصور عبد القاهر لفكرة العامل في المخطط الآتي:

فالوقوع انطلاق الأثر من العامل فيقع على المعمول، ولهذا كان ارتباط العامل بالمعمول وترتيبهما ترتيبا خاصا يوافق معاني النحو التي هي من الشروط الهامة التي أكد عليها عبد القاهر لتحقيق النظم " واعلم أنك إ ذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك أن لا نظم في الكلم ولا

---

1. عبد القاهر – المفتاح في الصرف – تحقيق: علي توفيق الحمد – مؤسسة الرسالة – دار الأمل – ط 1 –1987 – ص: 56.
2. المقتصد في شرح الإيضاح – ج 1 / 595.
3. عبد القاهر – العوامل المائة– تحقيق: بدراوي زهران– دار المعارف– ط2: 1988. ص: 10.

ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك "[1].

إذا كان عبد القاهر قد بنى فكرة التعدي على التأثير؛ أي تأثير العامل في المعمول مثلما تؤثر الحرارة في المعادن فتذيبها، فإن ابن الأنباري يخالفه الرأي، فهو يعتبر التأثير شيئا ثانويا، أو أنه غير سائر على جميع الأفعال المتعدية يقول: "ثم ليس التأثير شرطا في عمل الفعل، وإنما شرط عمله أن يكون له تعلقا بالمفعول، فإذا تعلق بالمفعول تعدى إليه سواءا كان مؤثرا أم لم يكن مؤثرا، ألا ترى أنك تقول ذكرت زيدا، فيتعدى إلى زيد وإن لم يكن مؤثرا فيه، إلا أنه لما كان له به تعلق عمل، لأن ذكرت تدل على الذكر، والذكر لا بد له من مذكور، فيتعدى إليه، فكذلك هاهنا "[2].

فابن الأنباري يؤكد على التعلق، ويجعله شرطا أساسيا لتحقيق التعدية.

ثم إن الحديث عن أثر العامل لا يعطينا حق التصور بأنه يمتلك قوة التسلط على كل العناصر الوظيفية "لأن العوامل في هذه الصناعة ليست مؤثرة حسية كالإحراق للنار والإغراق للماء والقطع للسيف، وإنما هي دائما أمارات ودلالات"[3].

"فالعامل مجاله الوظيفي أن يفرق بين المعاني النحوية المتكافئة، فلولا تمايز الحركات الأواخر من الكلمات لما تمايزت الوظائف فيما بينها، ولتعذر فهمها لعلة التباسها، فلهذا التنوع الحركي دور مهم في تحديد المعنى وبيان القصد"[4].

---

1. الدلائل: ص: 55.
2. أسرار البلاغة– دون تحقيق– ص: 158.
3. الإنصاف– ج1/46.
4. صلاح الدين ملاوي– نظرية العامل في ميزان النقد– رسالة ماجستير 1998–1999– باتنة–الجزائر.

يشرح القزويني قانون التعليق ويرى انه مكمل لعملية الإسناد فـ: "حال الفعل مع المفعول كحاله مع الفاعل، فكما أنك إذا أسندت الفعل إلى الفاعل كان غرضك أن تفيد وقوعه منه، لا أن تفيد وجوده في نفسك فقط، كذلك إذا عديته إلى المفعول وكان غرضك أن تفيد وقوعه عليه لا أن تفيد وجوده في نفسه فقط فاجتمع الفاعل والمفعول في أن عمل الفعل بهما، إنما كان ليعمل التباسه بهما، فعمل الرفع في الفاعل ليعلم التباسه من جهة وقوعه منه، والنصب في المفعول ليعلم التباسه من جهة وقوعه عليه"[1].

فالتعليق بناء وحسن تأليف الكلمات بعضها مع بعض، فيحصل بذلك الانسجام والتوافق الذي لا يكون معه اعتوار أو خلل.

ولعل ما أوصل عبد القاهر إلى هذا القانون العام للنحو، هو فهمه الجيد لنظرية العامل وتطويره لها، يقول البدراوي زهران في معرض حديثه عن العامل والتعليق، وشرحه للارتباط الحاصل بينهما: "ومن فهمه الجيد لنظرية العامل وتطويره لها توصل إلى قانون عام في طرق التعليق بين الكلام طبقا للأبواب النحوية يتفق في عمومه مع ما يذهب إليه علماء اللغة من أن نحو اللغات يدرس طرق تأليف الكلمات في جمل، ويضع طرائق ترتيبها، ويحدد أبعادها من حيث المدلول الشكلي للوحدات اللغوية الذي تتوقف عليه عمليات التركيب"[2].

ويلتقي عبد القاهر بعلماء اللغة المحدثين في تثبيت فكرة نحو العلاقات محاولا تثبيتها في أذهان معاصريه فـ "اللغة ليست مجموعة من الألفاظ بل مجموعة من العلاقات"[3].

---

1. الإيضاح في علوم البلاغة- راجعه: عماد بسيوني زغلول- مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت-ط:2- 1977- ص: 106.
2. العوامل المائة- ص: 24.
3. أسرار البلاغة: ج14/1.

ومما تجدر الإشارة إليه أن التعدية ترتبط بالمعنى لا بالصورة: "لأن كون الفعل متعديا أو غير متعد، شيء يتعلق بمعاني الأفعال وحقائقها لا بألفاظها وصيغها إذ حقيقة التعدي ما تقدم من كون الفعل متناولا شيئا وحدثا ومؤثرا، وغير المتعدي أن لا يكون كذلك"[1].

فالشيء وضده متساويان في التعدية أو اللزوم مثل: دخل، ضده خرج، فهما لازمان، ومثله: "ضرب"، و"قبل" متعديان أما الحدث فهو جنس الفعل أو العمل الذي يتضمنه التركيب، والأثر هو الوقوع والعامل.

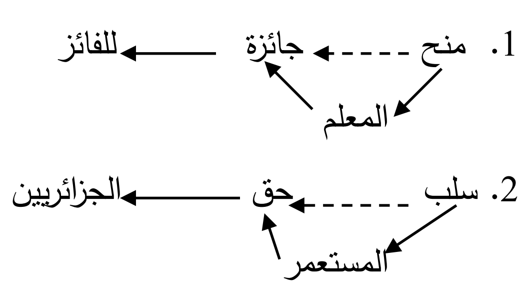
ومن ثم فإن الوقوع أثر يقوم به الفعل المتعدي، ويرتبط أساسا بمعنى الفعل لا بصيغته ولفظه، فإذا أخذنا على سبيل المثال هاتين الجملتين:

1. منح المعلم جائزة للفائزين.

2. سلب المستعمر حق الجزائريين.

فإننا نلحظ أن"منح وسلب" فعلان متعديان متضادان في المعنى ولكنهما يرتبطان بمفعوليهما ارتباطا واحدا؛ فـ "منح" ارتبط بنوع الشيء الممنوح وهو الجائزة، مثلما ارتبط "سلب" بنوع الشيء المسلوب وهو الحق.

ومنه أبني تصوري للجملتين وفق المخطط الآتي:



1. المقتصد : ج601/1.

وتشير الأسهم المتقطعة أن الفعلين في "1" و"2" مرتبطان دلاليا بمفعويهما، وتكون نتيجة المنح والسلب للفائز والجزائريين؛ فالفوز كان سببا للجائزة ونتيجة لها مثلما كان الجزائريون هدفا للمستعمر الذي سلبهم حقهم.

تأخذ التعدية عند عبد القاهر بعدا تركيبيا وآخر دلاليا؛ إذ جعل كل دراسته في نظرية النظم في حسن التأليف بين الكلمات يقول: "وأعلم أن مما هو أصل في أن يدق النظر ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت، أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباط ثان منها بأول وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحدا وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه ههنا في حال ما يضع بيساره هناك"[1].

فالتركيب بناء لغوي، وانتقاء لعناصر وظيفية تؤدي الدور الذي يرتضيه المنشئ، فهويهتم بزيادة عناصر جديدة للإسناد مثل: المفعولات، نحو: ضرب عمرو زيدا أو حذفها منه لأسباب بلاغية نحو: إثبات معنى الفعل في قوله تعالى: "**هو الذي يحي ويميت**"[2] ومعناه هو الذي منه الإحياء والإماتة، وقوله تعالى: "**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**"[3] ومعناه: هل يستوي الذين يعلمون العلم والذين لا يعلمونه، أو بتقديم العناصر المكملة فتصير عمدة في الكلام نحو: ما زيدا ضربت[4] فأردت أن تنفي عن نفسك ضربك لزيد، فقد يكون الضرب واقعا على إنسان آخر غيره، فقدمت المفعول به "زيدا"

---

1. الدلائل– ص:93.
2. غافر: 68.
3. الزمر: 10.
4. الدلائل: ص: 126.

على الفعل والفاعل، وغرضه نفي التباس الضرب بك، أما الدلالة فتعمل على إبراز نوع العنصر ووظيفته داخل التركيب، وكلما عرف منشئ اللغة طريقة التأليف ووافق بينها وبين المعنى توصل إلى دقة النظم؛ "فالنظم في جوهره يتصل بالمعنى من حيث هو تصور للعلاقات النحوية، كتصور علاقة الإسناد بين المسند والمسند إليه، وتصور علاقة التعدية بين الفعل والمفعول به"[1] ولتقريب الصورة الذهنية للتركيب الموسع بزيادة المفعول، أورد المخطط الآتي:

1. (فعل × فاعل) + مفعول به = زيادة على علاقة الإسناد – توسع الإسناد وارتباطه بعناصر جديدة.

[المسند إليه × المسند] U [مفعول 1 + مفعول 2 + مفعول 3] توسع العلاقة من الإسناد إلى علاقة التعدية

الفعل الفاعل.

2. تقليص العناصر الوظيفية:

(فعل × فاعل) – مفعول 1 – مفع 2 – مفع 3. تراجع التركيب إلى الصورة الأصلية.

فالتعدية هي علاقة ذهنية بين الفعل ومفعوله؛ إذ أن الفعل يستدعي مفعوله من جهة الدلالة، فيحضر التركيب نحو: أكل الولد خبزا، فالفعل "أكل" مرتبط دلاليا بالمفعول "خبزا" لأن الفعل يقتضي مأكولا، أما الآكل فهو مفهوم من السياق الكلامي، وإليك السمات الدلالية للفعل والمفعول:

1. محمد عبد المطلب– "النحو بين عبد القاهر وتشومسكي" – مقال في مجلة فصول– عدد: 1–م5– ص:28.

أكل [فعل + ماض + مذكر + مفرد]

خبزا [+ اسم + منصوب + نكرة + شيء + حدث]

يعتمد عبد القاهر على الموقعية في تصنيف العوامل، وهو مبني على تصور النحاة في ترتيب عناصر الجملة (ف – فا – مفع) وقد اهتممت بإدراج العوامل اللفظية القياسية وهي سبعة، لأنها ترتبط بما أنا بصدد دراسته، وأول هذه العوامل:

1. الفعل: فالفعل أصل في العمل؛ فهو رافع الفاعل وناصب المفعول به، نحو: نصر زيد عمرا[1] فالنصر واقع من زيد على عمرو.

وترتبط التعدية بالموقعية والمطابقة؛ فالموقعية تأخذ ثلاثة أشكال في التركيب المتعدي لواحد منها:

الشكل الأول: [فعل + فاعل] + مفعول به، نحو: سرق اللص المال، علاقة إسناد + علاقة تعدية.

الشكل الثاني: فعل + [مفعول به] +فاعل نحو: نصر عمرا، زيد. وهناحدث فصل بين المسند والمسند إليه.

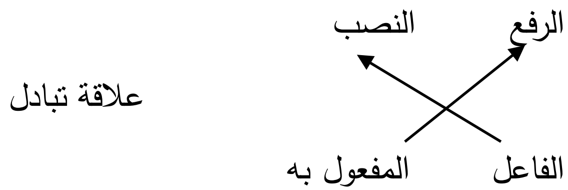
الشكل الثالث: مفعول به + [فعل + فاعل] نحو: عمرا، نصره زيد، تأخير الإسناد.

وتحفظ الرتبة إذا انتفت قرينة الإعراب في الأسماء المقصورة نحو: أكرم موسى عيسى.

1. العوامل المائة– ص:283.

فموسى فاعل، وعيسى مفعول به. أو إذا كان الفاعل والمفعول به أسماء إشارة نحو: أكرم هذا ذاك أو جارا ومجرورا نحو: ضرب من في الدار من على الباب[1].

وقد يعطى الفاعل إعراب المفعول به وذلك عند أمن اللبس كقولهم: خرق الثوب المسمار، ويكون المسمار فاعلا والثوب مفعولا به، كما يعطى المفعول إعراب الفاعل في قولهم: كسر الزجاج الحجر.



2. المصدر: ويجعله عبد القاهر في المرتبة الثانية بعد الفعل، ويعلل لوضعه في هذه المرتبة: "فإن قيل لم قدم المصنف المصدر على اسم الفاعل، فإن عمله مقيد بزمن الحال والاستقبال"[2] ويعمل المصدر عمل فعله دالا على الماضي نحو: أعجبني ضرب زيدا عمرا أمس.

هذه الجملة مركبة من جملتين مرتبطتين من جهة المعنى، الجملة الأولى: أعجبني [U] ضرب زيد عمرا [U] [أمس] ←] فعل + فاعل (ضمير) + مفعول به (ضمير متصل (نا))

[U] اسم مشتق (مصدر) + فاعل + مفعول به + زمن (أمس)]، فالإعجاب ارتبط بالضرب والضرب كان أمس. أو كان دالا على المستقبل:

1. العوامل المائة– ص: 284.

2. المصدر نفسه– ص: 288.

نحو: أعجبني إكرام عمرو خالدا غدا أو الآن[1] فالإكرام ارتبط بزمن الحاضر أو المستقبل.

والمصدر المعرف باللام إعماله قليل في لغة العرب، بل لقد ورد متعديا بحرف الجر في قوله تعالى: " **لا يحب الله الجهر بالسوء**"[2] فالجهر مصدر تعدى إلى السوء بحرف الجر الباء وتعلق به.

3. **اسم الفاعل:** ويجعل النصب إن كان فعله متعديا نحو: زيد ضارب أبوه عمرا الآن أو غدا[3] فضارب اسم فاعل نصب عمرا، وأصل التركيب: أبو زيد ضارب عمرا الآن أو غدا ويساوي "زيد يضرب أبوه عمرا" فهما متساويان في الدلالة على الزمن والتعدية؛ لأن اسم الفاعل والفعل المضارع يدلان على الحال أو المستقبل.

يلجأ عبد القاهر الجرجاني إلى التقدير، إذا كان لاسم الفاعل مفعول آخر نحو: زيد معط عمرو درهما الآن، فدرهما منصوب بفعل مقدر هو: أعطاه درهما، لأنه يتصور أن الجملة استثنائية فيه، فهي جواب عن السؤال، فإن قيل: زيد معط عمرو، يكون السؤال. ماذا أعطاه ؟ فيكون الجواب: أعطاه درهما[4].

1. المصدر نفسه- الموضع نفسه.
2. النساء: 147.
3. العوامل المائة- ص: 294.
4. المصدر نفسه- ص: 296-297.

واسم الفاعل الدال على الماضي لا يجيزه عبد القاهر، إذ لا يصح عنده: مررت برجل ضارب أبوه زيدا أمس، وإن كان جوّزه بعض النحويين متحججين[1] بقوله تعالى: "**وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد**"[2]

ومدار الحجة هنا أن اسم الفاعل باسط دل على الحال؛ فالحدث مستمر من الماضي إلى الحاضر، فلو استبدلناه بالفعل المضارع " يبسط" لم يفسد المعنى.

فاسم الفاعل "معط" عامل نصب درهما إذ أن فعله نصب مفعولين: زيدا، ودرهما. وارتباطه بالدرهم أكثر من ارتباطه بزيد، لأن العطاء متعلق بنوع العطاء، ولهذا تصح الجملة نحو: زيد معط عمرو درهما الآن،. فيكون اسم الفاعل "معط"هو الذي نصب درهما لا الفعل المقدر.

4. اسم المفعول: ما جاء على وزني: مفعول، ومفعل (بفتح العين)، ويعمل إذا كان دالا على الحال أو الاستقبال، ويتعدى إلى مفعول واحد، ومفعولين، وثلاثة مفاعيل، ويعتمد في تعديه على أحد الأمور الستة:

1. الاعتماد على المبتدإ نحو: زيد مكرم أصحابه الآن.
2. الاعتماد على الموصول نحو: جاء المضروب غلامه الآن.
3. الاعتماد على الموصوف نحو: جاء رجل مضروب غلامه.
4. الاعتماد على ذي الحال، نحو: جاء زيد مشقوقا ثوبه الآن.
5. الاعتماد على همزة الاستفهام نحو: أمضروب غلامه الآن ؟

---

1. من الذين أجازوا إعمال الفاعل في الماضي- الكسائي- انظر: المقتصد- ص: 512.
2. الكهف: 18.

6. الاعتماد على حرف النفي، نحو: ما مضروب غلامه الآن[1].

ويتعدى إلى مفعولين نحو: زيد معطي أخوه درهما، وأصله: زيد أعطى أخاه درهما، فجاء اسم المفعول مبنيا للمجهول، ونائبه "أخوه"، وهو المفعول الأول، ويتعدى إلى ثلاثة مفاعيل، زيد معلم أخاه خالدا منطلقا.

وتعديته إلى المفعول الثالث، لأن اسم المفعول "معلم" مرتبط دلاليا بمنطلق، والهدف الذي يرجى من وراء التركيب هو الإبلاغ بانطلاق خالد.

5. الصفة المشبهة: يرى عبد القاهر أن الصفة أضعف العوامل، فهي تأتي في المرتبة الثانية بعد أسماء الفاعلين، ولتقوية عملها وضع الجرجاني أسسا لذلك أذكرها مرتبة فيما يلي:

1. الهمزة نحو: أحسن أخوك.
2. ما النافية نحو: ما حسن غلامك.
3. الموصوف نحو: مررت برجل حسن غلاماه.
4. المبتدأ نحو: زيد حسن غلاماه.
5. الحال نحو: هذا عمرو قويا غلاماه، وجاءني زيد حسنا ثيابه[2].

ومثال عملها:

1. الرفع على الفاعلية: نحو سررت برجل حسن الوجه[3] فاعل في المعنى، ومررت برجل حسن وجهه فاعل لفظا ومعنى، فالفاعل الأول

---

1. العوامل المائة- : 299.ص
2. المقتصد- ص: 539.
3. المصدر نفسه- ص: 540.

دلالي، والثاني: تركيبي دلالي. الوجه فاعل للصفة حسن ففي الجملة الأولى أدت وظيفة، ولم يظهر أثر العامل على اللفظ المتمثل في الحركة الإعرابية (الرفع).

2. الجر بالإضافة: نقول: مررت بزيد الحسن الوجه، والمعنى، الحسن وجهه. جاء مضافا لفظا وصفة في المعنى[1]

3. النصب على الشبه بالمفعولية: نحو: مررت بزيد الحسن الوجه؛ فالأصل في الحسن أنه غير متعدي ولكنه شبه باسم الفاعل ضارب الذي يتعدى إلى مفعول واحد.

4. النصب على التمييز: نحو قوله تعالى: "**قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا** "[2].

فنصب " أعمالا على أنه تمييز، والعامل فيه " الأخسرين" تعلق العمل بالخسران.

5. الرفع على الصفة: مررت برجل حسنٌ وجهُهُ.

6. الرفع على المبتدإ والخبر: نحو: مررت برجل حسنٌ وجهُهُ؛ فوجه مبتدأ وحسن خبره[3]

فرغت من الحديث عن العوامل، لأخلص إلى تخصيص الحديث عن أقوى العوامل، وذلك لمعرفة طبيعة عمله في التركيب، وبعض الخصائص التي تميز بها، محاولة التركيز على بعض الشذرات الهامة.

---

1. المصدر نفسه– ص: 547.
2. الكهف: 99.
3. المقتصد– ص: 548.

1. الفعل المتعدي – خصائصه وطبيعة عمله:

الأفعال صنفان: متعدية ولازمة؛ فإذا أردنا أن نحول اللازم متعديا سلكنا أحد الأسباب الثلاثة:

أ. **الهمزة:** نحو: ذهب الرجل – أذهب الرجل.

ب. **حرف الجر الباء**[1]: أجمع النحاة على جواز التعدية بالباء، " وباء التعدية هي القائمة مقام الهمزة في إيصال معنى اللازم إلى المفعول به، نحو: " **ذَهَبَ الله بِنُورِهِم**"[2] [3].

وقد أقر مجمع اللغة قياسية التعدية بالباء[4] وهي توصل معنى الفعل إلى المفعول، وتعلقه به نحو: ذهبت بزيد؛ فالذهاب واقع على زيد، فعمل الباء شبيه بعمل الهمزة، واختلف في الحركة الإعرابية لاختلاف موضعهما، فالهمزة ساقت الفعل وقوته فتعدى إلى المفعول فظهر النصب وكأن الفعل تعدى إليه دون واسطة. أما الباء توسطت الاسم والفعل ونصبها للاسم كان معنى لا "لفظا "

والتعدية بحرف الجر قسيم التعدية بالهمزة، والتضعيف، وتلك سمة أخرى من سمات القربى بين النصب والجر ويبدو أن الأصل في التعدية كان عن طريق حرف الجر، فكثير من المفاعيل ينصب على معنى حروف الجر به، وله، فيه، معه، منه، كما أن حرف الجر لا يزال يستعمل مع

---

1. المرجع نفسه– ص: 592.
2. البقرة: 16.
3. المرادي– الجنى الداني في حروف المعاني– تحقيق: فخر الدين قباوة– ومحمد نديم فاضل– دار الأفاق الجديدة بيروت ط:2– 1983– ص: 37.
4. ممدوح عبد الرحمن الرمالي– العربية والوظائف النحوية– ص: 150–151.

معمـول الفعـل المتعـدي المتقـدم عليـه ومعمـول المشـتقات مـن الأفعـال المتعدية[1].

ت. تضعيف العين (تثقيل الحشو): نحو: فرح، فرحته، ذهب، ذهبته: فالتضعيف مثل الهمزة في أذهبته.

1. الأفعال المتعدية:

تصنف الأفعال المتعدية إلى ثلاثة أنواع:

ما يتعدى إلى مفعول، وما يتعدى إلى مفعولين، وما يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل.

أ. ما يتعدى إلى مفعول:

ويكون علاجا وغير علاج، ولكن ما معنى العلاج في الفعل المتعدي؟

يفرق النحاة في الفعل المتعدي بين العلاج وغير العلاج فيقولون: " فالعلاج ما يفتقر في إنجاده إلى استعمال جارحة أو نحوها نحو: ضربت زيدا، وقتلت بكرا، وغير العلاج ما لم يفتقر إلى ذلك، بل يكون مما يتعلق بالقلب، نحو: ذكرت زيدا، وفهمت الحديث، وذلك على حسب ما يقتضيه ذلك الفعل نحو: أكرمت زيدا وشربت الماء"[2].

يوضح عبد القاهر العلاج في المتعدي، يقول: " يعني بالعلاج أن يكون من أفعال الجوارح التي تشتمل عليها الرؤية نحو: اليد، والرجل،

1. المرجع نفسه– الموضع نفسه.

2. ابن يعيش– شرح المفصل– عالم الكتب– بيروت– مكتبة المتنبي– القاهرة– ج 62/1.

واللسان، فكل فعل كان بما يشبه اليد والرجل، نحو: الضرب والقتل والمشي والقيام والقعود كان علاجا، وما لم يكن علاجا فأفعال القلوب وما جرى ذلك المجرى نحو: هويته وفهمته، لأن ذلك ليس مما يعالج ويرى، وإنما يخبر عنه صاحبه ويستدل بالشمائل والأحوال عليه"[1].

تحكم الدلالة في التعدية:

ترتبط الدلالة بالتعدية من حيث كونها تتحكم في علاقات الفعل مع المفاعيل، فدلالة الفعل تقتضي إحضار مفعول أو مفعولين أو ثلاثة مفاعيل إلى التركيب. مثلما تعمل على حذفها لأغراض بلاغية أسهب في ذكرها عبد القاهر.

فالأغراض التي تستدعي حذف المفعول: "فهم يذكرونها تارة ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعاني التي اشتقت منها للفاعلين، من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين، فإذا كان الأمر كذلك كان الفعل المتعدي كغير المتعدي مثلا في أنك لا ترى له مفعولا لا لفظا ولا تقديرا"[2] ومن الأمثلة التي حذف فيها المفعول به تركيبا ودلالة قول العرب: فلان يعقد ويحل.

عرفت التعدية أنها زيادة ركن جديد إلى ركني الجملة الأساسيين؛ المسند والمسند إليه، فإذا قلنا: ضرب زيد عمرا، فإن العلاقة القائمة بين المسند إليه "ضرب" والمسند " زيد " تصبح أكثر ارتباطا وتخصيصا، وهي أيضا جهة في إسناد الضرب إلى زيد ووقوعه على عمرو. يقول عبد القاهر

1. المقتصد- ص: 596.
2. الدلائل- ص: 154.

في توضيح علاقة الإسناد الخاصة الحاصلة بين عناصر التركيب السابق الذكر: " كذلك إذا عديت الفعل إلى المفعول، فقلت: ضرب زيد عمرا، كان غرضك أن تفيد التباس الضرب الواقع من الأول بالثاني ووقوعه عليه"[1] فالمقصود ليس الضرب بوصفه حدثا مجردا، بل تعلقه بزيد ووقوعه على عمر، ونوضح هذه العلاقة فيما يلي:

ضرب ع زيد زيد ع عمرو	ضرب ع عمرو؛ فالضرب حاصل

من الأفعال المتعدية إلى واحد، أفعال الحواس: رأى، شم، لمس، سمع واستثنى منها: سمع[2] فهو ثنائي الاتجاه، إذ يفترض صوتا وصاحب صوت نحو: سمعت زيدا يتحدث فارتباط الفعل بمفعول يجب أن يكون من جنس ما يسمع لا غير، أما رأى، وذاق، وشم ولمس. فإنها تقتضي في: "رأى " مبصرا، وذاق طعاما، وشم رائحة، ولمس شيئا.

يشغل الفعل اللازم المتعدي بحرف الجر بـ " أل " كثير من النحويين، فهم ينزلونه منزلة المتعدي إلى واحد تركيبا " وأعلم أن قولهم: دخلت البيت في الظاهر بمنزلة فعل متعد إلى مفعول، وليس كذلك في المعنى، لأن الأصل فيه أن يجيء مع الجار كقولك: دخلت في البيت"[3] فالفعل دخل

1. المصدر نفسه- ص: 153.
2. المقتصد- ص: 597.
3. المصدر نفسه- ص: 599-600.

مصدره على وزن " فعول " الذي لا يتعدى، أو أن الأفعال تقاس لمعانيها ومفرداتها وأضدادها في التعدي واللزوم.

فمرادف " دخل "، " غار" وهو فعل لازم، إذ لا يجوز: غرت البيت، بل نقول غرت في البيت إذا ولجته " واللفظان للكائنان بمعنى واحد، متى ثبت لأحدهما أمر معنوي وجب ثباته للآخر لا محالة، إذ لا يتصور اتفاقهما في المعنى مع الاختلاف في شيء مما يعود إلى الحقيقة، والتعدي معنى في الفعل ووصف لا زم له"[1].

والشيء نفسه يقال عن: خرج، فهو متعد بحرف الجر، ولا يجوز إسقاطه منه، والتعدي هنا ارتبط بدلالة الفعل الذي يعمل على انتقاء نوع العناصر المتممة، ويحدد عملها.

ترتبط أفعال العطاء والمنح بنوع المنح، وبالشخص الممنوح له، ويجوز أن نسقط مفعوليهما من التركيب فنكتفي بالفعل وفاعله على سبيل ذكر وقوع الحدث لا غير.

ولحذف المفعولين في هذا الباب عظيم الفائدة، ومبلغ الأثر، يصفه السكاكي " أنه أحد أنواع سحر الكلام حيث يتوصل بتقليل اللفظ إلى تكثير المعنى"[2]، ومن أغراضه: القصد إلى التعميم والامتناع " أو القصد إلى نفس الفعل بتنزيل المتعدي منزلة اللازم ذهابا في نحو فلان يعطي، إلى معنى: يفعل الإعطاء"[3].

1. المصدر نفسه ص: 600.
2. السكاكس- مفتاح العلوم- دار الكتب العلمية- بيروت- ط: ط: 1987- ص: 228.
3. المقتصد- ص: 621.

وتتغير وظيفة الفاعل مع الفعل المتعدي إلى ثلاثة مفاعيل؛ فهمزة النقل عملت على نقل الفاعل إلى وظيفة المفعول به فيصير عندنا ثلاثة مفاعيل نحو: أعلم الله زيدا عمرا خير الناس؛ فزيد منصوب على المفعولية، ولكنه في حقيقته فاعل، لأن العلم ارتبط به، أي (زيد)، فهو عالم.

فإذا استوفت الأفعال تعديها إلى المفاعيل الثلاثة، فإنها تتعدى إلى المصادر وأسماء الزمان والمكان والحال والمفعول لأجله ...

ولكن كيف تتعدى إلى كل هذه المنصوبات ؟ وما علاقتها بها ؟

يوصف الفعل بالحدث والزمن؛ فالزمن دلت عليه الصيغة الصرفية، كما دلت على الحديث أو المصدر ولهذا ارتبط زمن الفعل بزمن الأسماء سواء كانت مبهمة أو مختصة، فنقول: قمت يوما وليلة. وفي المصدر قمت قياما.

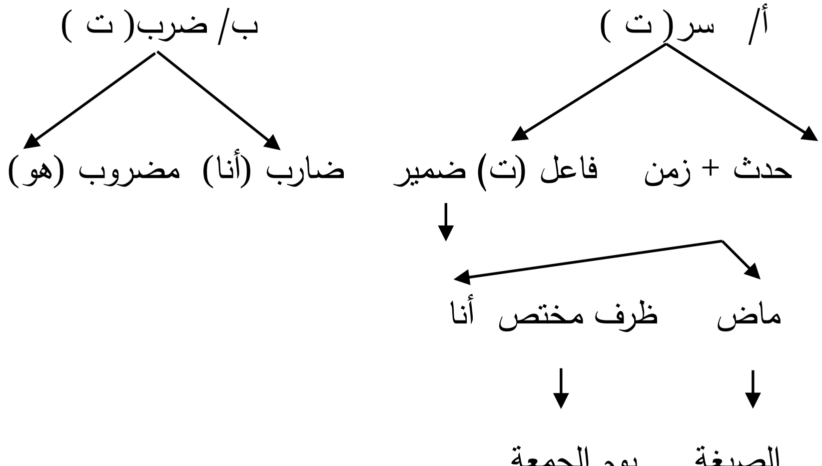
والظروف في العمل على نوعين:

أ. ما يفيد استغراقه كله: نحو: صمت يوما، فالصيام لا يكون بعض اليوم، بل كله، وقولك: لمن سألك كم مسافة سرت ؟ فتجيبه: سرت عشرين ميلا، فالسير استغرق كل هذه المسافة.

ب. ما يفيد استغراق بعضه: نحو: أتيتك الشهر الماضي؛ فالإتيان لم يكن مستغرقا كل الشهر، بل يوما أو بعض يوم[1] وتكون الظروف منصوبة على الظرفية الزمانية والمكانية.

1. المصدر نفسه ص: 638.

ومن شروط ظروف المكان المختصة أن يتعدى إليها الفعل اللازم بحرف الجر، ويجوز حذفه اتساعا " فتنصب المفعول به"[1] فتعديه إلى ظروف المكان يشبه تعدية المفعول به من جهة التركيب؛ ذلك أن الفعل في: " سرت يوم الجمعة " يساوي الفعل في "ضربت زيدا "؛ فالفعلان "سار"، و"ضرب" أوقعا النصب دون واسطة، أما من حيث جهة الدلالة فهما مختلفان؛ لأن الأول "سار" لازم تعدى بحرف الجر المحذوف، وضرب متعد في الأصل، ويتضمن طرفا آخر هو المضروب. والفرق الدلالي بين الفعلين أوضحه في المشجر الآتي:



فالاتساع في التركيب " أ " كان في الزمن أما في التركيب " ب " كان في الحدث.

فالجملة في "أ" اتجهت من الزمن العام إلى الزمن الخاص، فهي تسعى دوما نحو التخصيص.

---

1. المصدر نفسه– ص: 646.

2. المفعول معه: العامل في المفعول معه، الفعل الذي قبله، إذ يتعدى بواسطة الواو[1] في نحو استوى الماء والخشبة، فـ "الواو" يقوي عمل الفعل "استوى" ليوقعه على الخشبة فينصبه، فالتعدي هنا شبيه بتعدي الفعل بحرف الجر، نحو: مررت بزيد، أو بهمزة النقل نحو: ذهب وأذهبت زيدا؛ فالأفعال " استوى مر، ذهب، أفعال لازمة والتعدي بواسطة الواو في الأول، والباء في الثاني، والهمزة في الثالث.

ينفي عبد القاهر أن تكون الواو هنا للعطف، مستندا في تحليله على القرينة الدلالية، "فإذا قلت: جاء البرد والطيالسة، عُلِمَ أنَّك تقول: اقترنا وتصاحبا، ولو قلتَ: جاء البردُ والطيالسةُ، بالرفع على العطف لم يكن في نفس اللفظ دلالةُ على الاقتران والتصاحب، كما أنك إذا قلت: جاء زيد وعمرو، لم يكن فيه دلالة على أنهما جاءا في دفعة واحدة، بل يجوز أن يكونَ كلُ واحد منهما جاء على انفراده وهذا هو النُكْتَةُ"[2].

فالاختلاف بين "واو" العطف و" واو" المعية كان في الدلالة على أن الفعل في: "جاء زيد وعمرو يقتضي فاعلين، وتقدير الجملة، جاء زيد، وجاء عمرو، وليس بالضرورة أن يكون مجيئها دفعة واحدة، أما الواو في: جاء البرد والطيالسة فإنها بمعنى "مع"، فعندما نقول: جاء البرد مع الطيالسة حذف حرف الجر مع، ونصب الاسم بنزع الخافض، وجيء بالواو لتبرير نصب الاسم، فقالوا: إنه يقوي الفعل على التعدية؛ إذ أنه لا يجوز أن نقول: جاء

---

1. المصدر نفسه– 660 وانظر العوامل المائة ص: 187. إذ يذكر أن العامل "في المفعول معه عند جمهور النحاة هو الفعل".

2. المصدر نفسه– ص: 661.

البرد، الطيالسة،ولكن لا أجد مبررا لهذا التعليل، فـ "الواو" لم تفعل شيئا مما قالوا: وإنما اكتفت بربط الاسم المنصوب بالفاعل.

وينفي أبو حيان التوحيدي أن ينصب المفعول معه بالفعل أو الواو، وإنما انتصب على الخلاف[1]

ويرجع أحد الباحثين المحدثين النصب بعد الجر بعلاقة القرابة بين العلامتين الإعرابيتين " واعتمادا على أمثلة التبادل الكثيرة بينهما.

اعتقد النحويون أن النصب هو الأصل، وأن الجر قد تفرع عنه، فالنصب كامن في الجر، وأن المجرور لفظا منصوب محلا" [2].

3. المفعول لأجله: فالمفعول له معنى في الفعل، ونتيجة له وثمرة يقصدها الفاعل"[3]، فالجملتان ضربته تأديبا له، وكافأته تشجيعا له، يتضمن فعليهما سببا ونتيجة.

وينصب الاسم بالفعل الذي قبله بنزع الخافض: " فلما حذف الحرف وصل الفعل إلى المصدر فنصبه" [4] ويشترط في نصبه أن يتضمن فعله السبب والنتيجة؛ فالضرب كان لسبب وهو التأديب ونتيجة له.

إن ارتباط الفعل بالمفعول لأجله في مثل هذه التراكيب، يجعله متعدد الدلالات؛

---

1. والنصب على الخلاف– لأنك لم ترد عطف الاسم الثاني على الأول في نحو: لو تركت والأسد لأكلك. انظر: السيوطي الأشباه والنظائر في النحو– تحقيق: عبد الاله نبهاه– مطبوعات مجمع اللغة العربية– دمشق– 1985– ج519/1.
2. العربية والوظائف النحوية– ص: 185.
3. المقتصد– ص: 667.
4. المصدر نفسه– ص 665.

1. دلالة الحدث أو الجهة L'aspect.

2. دلالة الزمن La sémantique temporal.

3. دلالة الغائية Sémantique de cause.

4. دلالة الهدف Sémantique deBut.

والعلاقة بين الفعل والمفعول لأجله علاقة تبادل " Réciproque " أمثلها في الرسم الآتي:

فعل (ضرب) ← تأديبا له.

السبب ← النتيجة.

فالضرب لم يكن غاية في حد ذاته، بل كان وسيلة.

4. الحال: وهي من أشباه المفاعيل؛ لأن العامل فيها المعنى لا الفعل، ولأن معنى الفعل أضعف من الفعل المحض"[1]. فالحال تشبه الظرف، والمفعول الصحيح[2]؛ فهي تشبه الظرف في أنك تصفها فتقول: جاءني زيد في حال الركوب، كما نقول: في أي موضع زيد، وتفسيره أن الأفعال تتعدى إلى الظروف بحرف الجر.

وتشبه المفعول الصحيح في أنها يتعدى إليها الفعل دون واسطة، فنقول: جاء زيد راكبا مثلما نقول: ضرب زيد عمرا، ولا نقول: جاء زيد في راكبا.

1. المصدر نفسه– ص 272.

2. المصدر نفسه– الموضع نفسه

5. التمييز: العامل في التمييز الاسم المبهم، وهو مذهب النحويين أيضا، ونصبه يكون عن تمام الكلام، مثل: طاب زيد نفسا، وتصبب عرقا، وامتلأ الإناء ماء.

يفسر ابن عصفور النصب عن تمام الكلام، بقوله: " ألا ترى أن ماء مفسر للمالئ، الإناء الذي انطوى عليه قوله: امتلأ الإناء"[1]، فالماء فسر إبهاما انطوى عليه الكلام، ولا نصفه بالتعدي، لأنه لم يتعد إليه الفعل*.

يشترك كل من "أ" و"ب" في النصب مع الاختلاف في طرق التعدية.

يفسر المنحنى البياني: اختلاف التراكيب من حيث التركيب والدلالة باختلاف العناصر الوظيفية اشتراك كل من الأفعال اللازمة والمتعدية في نصب غير المفعول به.

تتساوى ج (2)، و ج (5)، و ج (7) (ب) في عدد العناصر، أما ج (8)، وج (11)، وج (13) فإنها جمل تشترك مع ج (2)، و ج (5)، و ج (7) (ب) في عددالعناصر وتختلف في وظائفها ودلالتها فهي ذات مستوى تركيبي واحد، ومستويات دلالية مختلفة، وتتساوى ج (1) مع ج (4) وج (7) (جـ) مع اختلافهم الشديد في الدلالة.

كما وجدت التقاء الفعل اللازم والمتعدي إلى واحد في المفعول معه.

وللتحدث عن العلاقات الاستبدالية، يكون التركيز على نوع الفعل، لأنه هو الذي يتحكم في دلالة الجملة وتركيبها، فيتوسع التركيب أو يتقلص.

---

1. المقرب– ج163/1.

* انظر المعلم البياني ص 266.

فإذا كان الفعل متعديا إلى واحد، أو اثنين حدث توسع، وإن كان لازما مبنيا للمجهول فإن التركيب ينحو نحو التقلص.

ويمكن ملاحظة هذا على المستويين الأفقي والعمودي، فإرتباط عنصر من محور العوامل مع عنصر من محور المعمولات يؤثر على امتداد التركيب الذي مثلت له بمنحنى بياني.

ونظرة عجلى على الرسم البياني استنتج أنماط التركيب الواردة وهي: ستة أنماط أبينها فيما يلي:

النمط الأول: فعل (لازم) + فاعل = ج 1

فعل متعد + فاعل + مفعول (محذوف) = ج 4 } اللزوم

فعل (مبني للمجهول) + نائب فاعل = ج 7 (جـ)

النمط الثاني: فعل + فاعل + مفعول = ج 2

فعل + فاعل +مفعول 1 + مفعول 2 (محذوف) = ج 5

فعل (مبني للمجهول متعد إلى اثنين) + نائب فاعل + مفعول = ج 7 (ب) و (أ)

المصدر + فاعل + مفعول = ج 8

اسم الفاعل + فاعل + مفعول = ج 11

الصفة المشبهة + فاعل +مفعول = ج 13

النمط الثالث: فعل + فاعل + مفعول 1 + مفعول 2

اسم المفعول + فاعل + مفع 1 + مفع 2 = ج 12

النمط الرابع: فعل + فاعل + مفعول 1 + مفعول 2 + مفع 3 = ج 6

النمط الخامس: المصدر + فاعل + ظرف زمان = ج 9

المصدر + فاعل + ظرف مكان = ج 10

النمط السادس: اسم مبهم + فاعل + تمييز = ج 14

ومما تقدم أخلص إلى أن الجملة في العربية تنطلق من التركيب الإسنادي نحو المتممات توسعا ثم تعود لتنحصر في الإسناد. كما أن نوع المعمول مرتبط بنوع العامل وقوته – والفعل هو أساس المعمولات.

وخلاصة القول، أن عبد القاهر هو مؤسس النحو البنيوي، وواضع أصوله من خلال وضع نظريتي **النظم والعوامل.** فالنظم قائم على مبدإ التعليق؛ تعلق الاسم بالفعل، أو الاسم بالاسم، وتعلق حرف بهما.

ويعمل على تسيير العلاقات النحوية وتنظيمها داخل التركيب، ومثاله تعلق الاسم بالفعل، بأن يكون فاعلا له، أو مفعولا، أو ظرفا زمان أو مكان أو مفعولا لأجله أو حالا أو مصدرا. وقد جمع عبد القاهر كل هذه المصادر في جملة واحدة: ضربت زيدا يوم الجمعة أمام عمرو تقويما له مجردا من ثيابه ضربا شديدا[1]

---

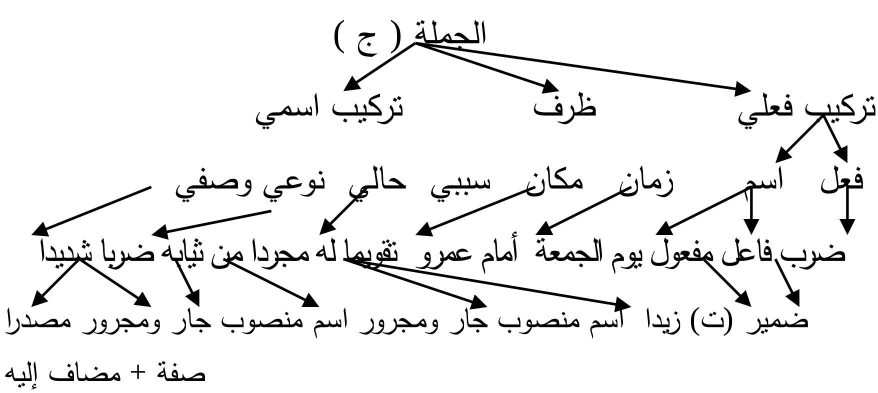
1. المقتصد– ص: 628.

الفعل		الأسماء	نوع التعليق	اتساع الوظيفة الإبلاغية للجملة
ضرب (ت)		زيدا	مفعول به	ضربت زيدا ......
		يوم الجمعة	ظرف زمان	ضربت زيدا يوم الجمعة..
		أمام عمرو	ظرف مكان	ضربت زيدا يوم الجمعة أمام عمرو.....
		تقويما له	مفعول لأجله	ضربت زيدا يوم الجمعة أمام عمرو تقويما له ....
		مجردا من ثيابه	حال منصوبة	ضربت زيدا يوم الجمعة أمام عمرو تقويما له مجردا من ثيابه ....
		ضربا شديدا	مصدر (مفعول مطلق)	ضربت زيدا يوم الجمعة أمام عمروا تقويما له مجردا من ثيابه ضربا شديدا.

نلاحظ من خلال الجدول أن الفعل كون ست علاقات مع الأسماء، وأن علاقته مع المفعول به علاقة أصلية، أو تعدي حقيقي، أما بقية المفاعيل فنصبها كان تركيبا لمشابهتها المفعول به.

تبرز علاقات الفعل مع الأسماء الواردة في الجدول حقيقة هامة تفطن إليها ابن هشام، وتعمق في شرحها عبد القاهر، وهي: " التراكيب الصغرى أي التراكيب التي يشملها غيرها من جمل أو من تراكيب أكبر منها، وهي أن الجملة ليست فقط سلسلة من الكلمات التي يشملها غيرها من جمل أو من تراكيب أكبر منها، وهي أن الجملة ليست فقط سلسلة من الكلمات، بل أنها مرتبة طبقيا في صورة مجموعات يرتبط بعضها في بعض"[1].

يمكن تحليل الجملة: ضربت زيدا يوم الجمعة أمام عمرو تقويما له مجردا من ثيابه ضربا شديدا، إلى المكونات المباشرة وفق المشجر الآتي:



أما العامل فقد اتبع درسه النظري بتطبيق عملي، وصنف مؤلفا نال الحظوة، وبلغ شأوا بعيدا؛ فقد أزال عنه كل لبس وغموض. ونظمه وبسط مفاهيمه ليسهل على المتعلمين فهم أسراره.

1. محمد فتيح- في الفكر اللغوي- دار الفكر العربي- القاهرة-ط: 1- 1989- ص: 118.

ومن المعلوم أن نظرية العامل تعود جذورها إلى: " الشيوخ الأوائل[1]، وقد كان منهجهم فيها قويما غير أنهم اتخذوا من القياس والتاويل أداتين انتهتا بهم إلى وضع اللغة وفرض صور وتقديرات على حد تعبير ابن مضاء: " لو أنها ظهرت لتغير مدلول الكلام مما بعد عن المنهج القويم من ناحية وعن روح اللغة من ناحية أخرى"[2].

وقد كانت محاولات الإصلاح والرد من أبي على الفارسي وتلميذه عبد القاهر بأن وضع كتابه العوامل المائة، فهو: " يهذب ذهن المبتدئ وفهمه، ويعرفه سمت الإعراب ورسمه، ويفيد في حفظ المتوسط الأصول المتفرقة، والأبواب المختلفة لنظمها في أقصر عقد وجمعها في أقرب حد"[3]

وفي ضوء هاتين النظريتين حاولت عرض ظاهرة التعدية لأوضح موقعها من الدراسات الجملية فاكتشفت أن لها مستويين تركيبي ودلالي.

وعرفت أن عبد القاهر درس النحو" دراسة أسلوبية بوساطة التحليل الداخلي للجملة والعبارة بدلا من التقسيم الخارجي الإعرابي"[4] فهو إذ يعد بحق " الأب الحقيقي لنظرية البنائية اللغوية، والنظرية الأسلوبية"[5].

إننا نعد كتاب دلائل الإعجاز أعظم مصنف حوى شرحا هاما ومعمقا في توضيح نظام العلاقات في التراكيب العربية، ثم إن تحليله للتراكيب اتسم بالبعدين التركيبي والدلالي، " لقد ذهب الجرجاني أبعد من ذلك لتأسيس نظام دلالي فلسفي يمكن من خلاله أن يشرح لنا طبيعة العلاقات اللغوية المقدمة في التركيب "[6].

---

1. يرجع درسه إلى عهد الخليل وتلميذه سيبويه.
2. العوامل المائة ص: 22 وانظر أيضا البدراوي زهران- عالم اللغة المفتن في العربية ونحوها- دار المعارف- ص:140.
3. العوامل المائة- ص:16
4. علي حسن مزيان- "عبد القاهر الجرجاني- دلاليا" مقال بمجلة القافلة- العدد 7-م47- أكتوبر- نوفمبر 1998- ص:30.
5. العوامل المائة- ص13.
6. مازن الوعر- نحو نظرية للسانيات عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية- دار طلاس- بيروت-ط1-1987- ص:46.

وبعد عرض لأنواع العوامل و المعمولات، ألخصها في هذا المعلم البياني موضحة تغير التركيب باختلاف العلاقات الوظيفية.

- التعليق– (تعلق العامل بالمفعول).

حتمية الرهان على التكامل الثقافي العربي للإنخراط الإيجابي في العولمة

أ.د. عثمان بدري

جامعة الجزائر: يوسف بن خدة

بدأ القرن الواحد والعشرون يعد المتصدرين فيه ويتوعد المتخلفين عن وتيرة أدائه المتسارعة، بإنتاج وتسويق وتعميم الصيغ الثقافية والعلمية والحضارية الجديدة، التي طرحتها العقود الأخيرة من القرن الماضي (ق20)، وهي صيغ طيفية، استطاعت أن تختزل الأمكنة والأزمنة وأن تفكك "الهويات" الثقافية والإجتماعية والحضارية المتمايزة، بعد أن تحكمت في إعادة هيكلة وبرمجة وتهديف الفضاءات الإقتصادية والمالية والتجارية – وبالتبعية– السياسية، في ما عرف حينها بـ: "النظام الإقتصادي العالمي الجديد"[1].

1. من بين الأبحاث التي تكاملت في الالمام بالموضوع، أنظر:

د. علي الدين هلال: "النظام الدولي الجديد، الواقع الراهن واحتمالات المستقبل" في مجلة: "عالم الفكر" المجلس الوطني للثقافة والفنون وتاآداب، الكويت، مج:23، ع: 3،4، يناير-يونيو 1995، ص: 9-23.

د. ودودة بدران: "مفهوم النظام العالمي الجديد في الأدبيات الأمريكية (دراسة مسحية)، المرجع السابق، ص: 25-41.

د. ناصيف يوسف حتي: "أي هيكل للنظام الدولي الجديد؟" المرجع السابق نفسه، ص: 97-119.

فبعد تفكيك الكتلة الدولية المكافئة (الاتحاد السوفياتي)، وما تبعه من تذويب للتيارات والحركات والاتجاهات الوطنية القومية، ذات المشارب والآليات والمصبات التحررية، التحريرية، استطاعت المجتمعات الغربية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، أن تسن لنفسها ميثاقا جديدا للوصاية على العالم، وأن تعيد– بذلك– تجميع أقدار ومقدرات مساحات شاسعة، مما يشغل سطح وباطن الكرة الأرضية، في محشر زجاجي مقعر، تنتظم أبعاده، لافتة سرابية، مركزية، متصدرة، تدعى:" الشمولية"، حينا، و" العولمة"[1] حينا آخر.

وإذ نقر بأهمية المكاسب المركبة، الجبارة التي أتاحتها العولمة للبشرية، فإن ذلك لا يبرر أن الأداء الرسمي للعولمة، من موقع القاطرة الرسمية الأمريكية على الخصوص، يكشف عن إرادة مخططة وهادفة لإحكام النفوذ الإقتصادي وما يرافقه– حتما– من إعادة إنتاج، ذرائع وآليات ومقاصد الهيمنة القطبية على العالم، بعد أن تلاشت القوى المتكافئة فيه.

وبالتأكيد، فإن الضحايا المرئيين، للإمتدادات الأفقية والرأسية لإرادة "عولمة القوة "، يتمثلون في الشعوب والمجتمعات والكيانات الهشة، التي أنهكها الإستعمار الغربي التقليدي بوجه عام، وفي تلك المجتمعات التواقة

---

1. أنظر في الموضوع: مجموعة من الباحثين: مستقبل الثقافة العربية في القرن الحادي والعشرين، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .تونس 1998، ص: 8– 27/30–252/34–291

د. عبد الخالق عبد الله : " العولمة " : " جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها" ، مجلة عالم الفكر مج:28،ع :2، الكويت 1999 ص: 39–91.

د. محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية، منشورات ثالثة، الجزائر 2003 ص: 367 – 440.

للإنعتاق والتحرر، التي تمتلك قابليات مركبة لمعاودة الإقلاع الحضاري، حتى ولو كان ذلك بعد مئات السنين، عملا بقاعدة: " وتلك الأيام نداولها بين الناس"[1]، بوجه خاص، مما يعني أن ضحايا الاستعمار التقليدي بالأمس، هم ضحايا الاستعمار الكوكبي الأحدث، اليوم.

ومن الواضح أن فضاء الوطن العربي، هو المجال الاستراتيجي، الحيوي، المغري بتجريب "عولمة القوة"، من موقع تعميم خارطة المصالح الحيوية الأمريكية "البراجماتية"[2]، مبعثا وأداء ومردودا.

وبهذا التصور يبدو أن الشعوب والدول المهددة، بالقوة "الإبتلاعية"[3] تستطيع أن تجد في مصطلح "الأمركة" "americanisation " صيغة معادلة، جزئيا من موقع البعض، وكليا، من موقع البعض الآخر، لمفهوم ومحسوس" العولمة".

ولكن مهلا .. فإن هذه الواجهة الشائهة، لا يجب أن تحجب عنا، أن قاموس المصطلحات الشمولية، المتصدرة عالميا، في مفترق القرنيين(20-21)، ليس وليد زمن استعراض القوة، وإنما هو يعود إلى أبعد من ذلك بعشرات العقود، إذ ماذا لو افترضنا أنه يعود إلى حتمية وضع الرهانات الاستراتيجية الكبرى للإنسان الحديث، على الثقافة والعلم والمعرفة الإرادية،

---

1. سورة آل عمران، الآية 141.

2. د. محمد العربي ولد خليفة، المرجع السابق، ص: 384-419.

3. لتوفيق الحكيم رأي طريف مؤداه أن " التعادلية" هي فلسفة مقاومة القوى الابتلاعية التي لا مكافىء لها، أنظر : توفيق الحكيم، التعادلية ، مذهبي في الحياة والفن، المطبعة النموذجية، القاهرة، 1976، ص: 117- 120.

في أعلى مراتب الإهتمامات الجذرية العميقة للمجتمعات والدول الغربية الفاعلة في صيرورة التاريخ الحديث والمعاصر، بصرف النظر عن الجدل الأخلاقي المتداول هنا أو هناك؟

وعلى سبيل المثال لا الحصر، فإن كل سياسات التربية والتعليم في العالم المتقدم تتكامل في تداول مفهوم: " مجتمع المعرفة" ، المفتوح على كل الفضاءات الاجتماعية، فقد، ورد على لسان الأستاذ (دوقلاس هاغ)، في كتابه: "ما وراء الجامعة"، قوله: "وأفضل جامعات القرن الحادي والعشرين تلك التي تجمع شمل قوة العقل، حيثما وجدت، وليس داخل المؤسسات فحسب، والهدف هو ابتداع جمهورية المثقف مفتوحة للجميع، يكون مواطنوها الطبيعيون أولئك الذين يبقون على يقظتهم الفكرية مدى الحياة وأولئك يجب تمثيلهم في صناعات المعرفة"[1].

وفي هذا السياق، تؤكّد مؤشرات كثيرة على ضرورة انفتاح الصيغ المحلية على الرؤى العالمية للمجتمع المستشرف، من موقع سلطة العقل، كما عبرت عن ذلك المقولة القائلة: "إننا يجب أن نفكر عالميا وننفذ محليا"[2].

ولعل هذا ما جعل البعض يرى في "العولمة" امتدادا لما وعدت به "الحداثة" ، نظريا، ولم تتمكن آلياتها الإجرائية المتاحة، من أنجازه عمليا: "فالعولمة تذهب إلى ما وصلت إليه الحداثة في تقريب العالم ودمج أفراده،

---

1. مايكل شاتوك، ترجمة: هند مصطفى: " المهددات الداخلية والخارجية لجامعة القرن الحادي والعشرين" في : " عالم الفكر" ، مج :24، ع:1،2 الكويت 1995ص : 48.

2. د.حسين كامل بهاء الدين ، التعليم والمستقبل ، دار المعارف القاهرة 1997ص: 14.

وتداخل اقتصاداته، وربط ثقافاته. لقد أصبح انكماش العالم ممكنا بسبب الثورة العلمية والتكنولوجية الراهنة، إن الثورة العلمية والمعلوماتية هي التي جعلت عالم اليوم أكثر اندماجا، وهي التي سهلت حركة الأفراد والسلع والخدمات والمعلومات، وهي التي قلصت المسافات وجعلت التحولات سريعة، ومذهلة في سرعتها" [1].

ويبدو أمرا طبيعيا ومشروعا، عندما نتنادى من مواقعنا الدفاعية الهشة: إن هويتنا الاجتماعية والثقافية والحضارية والروحية، المميزة، محل اختزال وتجفيف وتذويب، من موقع تسخير العولمة، وليس من موقع العولمة نفسها.

غير أن انشغال الإكراه هذا يدفعنا أكثر إلى استكشاف ما كان بالإمكان فعله، ولم نفعله، ومن ثمة إلى "تشخيص" موقعنا من القاعدة الذهبية التي صارت حجة علينا، ومع ذلك لا نمل من تداولها اليومي، وهي: "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم[2] " ، بالتأكيد في عالم الغيب، ولكن من باب أولى وأنسب في عالم الشهادة.

وللإنصاف، يمكن لشعوب ودول عالمنا العربي، أن تعتز بمواجهتها لتحديات وأهوال ومكاره داخلية وخارجية مركبة، لم تحل دون إنجازها لمكاسب سياسية وإقتصادية وثقافية واجتماعية وحضارية، تنموية، قطرية أو قومية، عظيمة، تفاوتت في تحقيقها المؤسسات والقطاعات والهيئات والتنظيمات، العامة، او المتخصصة، الرسمية أو شبه الرسمية أو المستقلة،

---

1. د. عبد الخالق عبد الله في مجلة: "عالم الفكر" (سابقا ص:60)
2. سورة الرعد، الآية 11 .

التي شهدت تناميا ملحوظا خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين، على الخصوص[1].

ومن بين التنظيمات القومية، النوعية، المتصدرة في الفضاء الثقافي للعالم العربي، الإتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، الذي لم يقبل أن يكون في حائط المبكى، فراح يعمل على تعزيز ما أتيح من آليات التلاحم والتضامن والتكامل الثقافي والحضاري القومي، بوجه عام، وعلى ثبات الإنتصار للأدب العربي، بمفهومه الجمالي والثقافي والحضاري، القومي الواسع، بوجه خاص، وعلى سبق استكشاف بناء رؤية قومية جديدة، تتيح فرص الإنخراط الإيجابي في الوتيرة، المتسارعة للعولمة، شريطة إزالة احتلال الأراضي العربية، ورفع أشكال الوصاية عليها من خارجها، بوجه أخص.

غير أن استهداف الإتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، لتحقيق هذا الطموح القومي، المشروع، بكل المعايير، في زمن الإكراهات الداخلية

1. ليس صدفة أن تتسع مساحة الفضاء الثقافي النوعي المستقل خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين من ذلك مثلا:

- مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت
- مؤسسة سلطان ابن علي العويس الثقافية ، الامارات العربية المتحدة.
- مؤسسة جائزة الملك فيصل العالمية ، السعودية.
- مؤسسة عبد الحميد شومان الأردن .
- مؤسسة الجاحظية الجزائر .الخ..............

فكل هذه المؤسسات الثقافية النوعية، تتكامل، جزئيا حينا وكليا حينا آخر، في فك الحصار الإداري الرسمي (السياسوي) الذي ضرب على الثقافة العربية الحديثة والمعاصرة لعشرات العقود، من جهة، وتتكامل في تأسيس أرضية إقلاع ثقافي تنموي يحتكم فيه إلى تثمين مردود الجهد المتميّز، الذي يمتلك قابلية افتكاك الإعتراف به داخليا وخارجيا.

وشراهة الأطماع الخارجية، يقتضي العمل بحكمة القائل: "رحم الله أمرءا أهدى إلي عيوبي".

وفي هذا السياق يبدو انه ليس جلدا للذات أو انتقاصا من أهمية ما استزرع وآتى أكله في حينه، أن نعترف بوجود "خلل" أو "إختلال" أو "إخلال" ، يشغل واقع وآفاق الفضاء الثقافي العربي الحديث والمعاصر، من أقصى مشرقه إلى أقصى مغربه، رغم ما يبدو من مواقع إشعاع جزئي، يلوح هنا أو هناك.

ولِمَ لا نقر أننا تضخمنا كثيرا في بناء الحجر وأهملنا بناء الزرع والضرع والبشر، وتباهينا بالأعراض الشكلية الطارئة التي توارثناها عن ثقافة شجرة الأنساب والأحساب، وتركنا الجواهر الجامعة، المفتوحة، أماما، يعلوها الصدأ، وتنافسنا في التبعية للآخر: الخصم والحكم، وتقاطعنا، ثم تدابرنا فيما بيننا لأوهى الأسباب؟!!

وقد يقول فقهاء التبرير والارجاء والتعلل: " أن ليس في الإمكان أبدع مما كان " ، وأن الأمر ليس فينا وإنما هو في خارجنا!

وإذ نقدر هذه الوجهة، غير الوجيهة، فإننا نعتقد، جزما، أن ما أريد لنا أن نكونه قهرا، تأسس ونما وآتى شرابه علقما، بنا، وفي غياب مشروع ثقافي وحضاري، تنموي، يجسد إرادة الفعل القومي للتغيير الجذري في العمق، ولا يكتفي بالاعلان عن إرادة النوايا وعن خطاب "يجب"، "سوف"، "عسى"، "لعل" "رب"، الخ.... الذي لم يعد له محل في عالم متدافع، لا أهمية فيه للكيانات المجهرية المتضائلة، كما ونوعا.

وهذا معناه أن العلة قائمة في كياننا الداخلي، قبل أن تكون في محيطنا الخارجي، القريب، أو البعيد، أو الأبعد.

ولذلك لا نملك إلا أن نتساءل في العمق: هل نحن "موجودون: فعلا، في القرن العشرين، أم أننا مجرد "متواجدين"، فيه وبالضرورة، مجرد "منتسبين"، إلى الألفية الثالثة، التي سحبت منا وعينا بإنياتنا، بالقوة حينا، وبالفعل حينا آخر؟

ولعل هذا ما تداوله كثير من المفكرين والنقاد العرب، المتصدرين، كالفيلسوف، الأديب، زكي نجيب محمود (توفي سنة 1993)، رحمه الله، الذي قدم في إحدى معايناته الفكرية، مكاشفة جريئة، مؤداها أن تشخيص مواطن القصور فينا، هو الذي يتيح فرص الإقلاع التنموي للأمة العربية في الاتجاه الصحيح، يقول: "وسأظل أعزف عليه ما بقي من حياتي، لعلي أكون صوتا خافتا يشارك أصواتا أخرى، أعلى وأقدر، في إنهاض أمتنا، وأنا أريد لهذه الأمة نهضتين: الأولى أن تعود الأمة العربية رائدة كما كانت، والثانية هي أن تتغير. إنني آمنت وأومن وسأظل أومن أنه لا بد من تغيير السياسة التي يربى عليها المواطن العربي، فالمواطن العربي الآن ينشأ في المدارس والجامعات على الحفظ: يحفظ الموروث آنا، ويحفظ الوافد من الغرب آنا آخر، أما أن يبدع، أما أن يبتكر، أما أن يشارك في موكب الحضارة، فهذا لم يحدث، أو على الأقل، لم يحدث بالنسبة التي كان لا بد لها للعربي، لكي يتكافأ مع تاريخه وحضارته ومجده وعظمته، إنني أومن

إيمانا شديدا أنه لا بد من تضافر جهود الأدباء والمفكرين وأهل القدوة في وضع صيغة للعربي الجديد" [1].

إن مدار القول في هذا النص، وفي مجمل نصوص زكي نجيب محمود الأخرى، ثم في مجمل نصوص الرموز الفكرية والأدبية العربية، المتصدرة[2]، يتمثل في طرح إشكالية عميقة، موجعة، تتمثل في أن قصور السياسات التربوية والتعليمية والثقافية والعلمية الرسمية التي تواترت لما يزيد عن قرن، أنتجت مجتمعا نسقيا استهلاكيا، قولبته ثقافة المحاكاة الشكلية، القائمة على تصدر صيغ النقل، وعلى حجب المبادرات الخلاقة للجهد الفيزيائي أو العقلي أو الوجداني العربي، تحت مظلة "الأصالة " حينا، وباسم: "معاصرة "، ما زلنا مجرد مستهلكين سلبيين لها، حينا آخر.

1. نقلا عن د. حسام الخطيب في بحثه (أي أفق للثقافة العربية وآدابها في عصر الاتصال والعولمة ؟ في مجلة: عالم الفكر مج 28 ع 2 الكويت 1999 ص: 238.

2. من بين الرموز الفكرية العربية الحديثة التي شخصت أو فككت هذه الإشكالية يمكن أن نشير إلى أعمال:

- محمد عابد الجابري (المغرب).
- الطيب تيزيني(سوريا).
- المرحوم (مالك بن نبي) (الجزائر)
- محمود أمين العالم (مصر)
- حسن حنفي (مصر)
- محمد العربي ولد خليفة (الجزائر)
- أحمد أبو زيد (الاسكندرية-مصر)، إلخ...

وللأهمية نحيل القارئ الكريم على مجلة "عالم الفكر" المجلس الوطن للثقافة والفنون والآداب، الكويت: مج 28، ع:2، أكتوبر-ديسمبر 1999 محور: (العولمة ظاهرة العصر)

- مج: 29، ع: 4، أبريل-يونيو 2001 محور: (الفكر التاريخي).
- مج: 29، ع:3، يناير-مارس 2001: محور: (التنوير)

إلا أن هناك من المؤشرات المتاحة، ما يفيد أن " تشخيص" الإشكاليات الثقافية العربية الحديثة والمعاصرة عموما، والأدبية والنقدية خصوصا، أكبر و أعقد من اختزاله في المعاينات النخبوية، الاصطفائية، التي لا ننكر عليها امتلاكها لخطاب ثقافي ومعرفي مركب، ذي مواصفات حجاجية ومنهجية، من أعلى المستويات، ولكنها بالرغم من ذلك لم تستطع أن تكون قوة اقتراح، لرصد وتصنيف وتهديف أولويات وآليات الأداء الثقافي العربي المشترك، الذي بإمكانه أن يستغل المميزات والامتيازات التقنية والإعلامية الفعالة، المقترحة من موقع العولمة، لتعديل الصور والمفاهيم والقيم "الفولكلورية " ، "الكاريكاتورية" التي شكلها العالم الغربي المتعالي، المستعلي عن العالم العربي الحديث والمعاصر، خصوصا أثناء العقود الأخيرة من القرن الماضي، وبالأخص، مع بداية الألفية الثالثة. وإذ يبدو أن لا مفر من التقويم الميداني لأداء النظم والمنظومات التربوية التعليمية ولأداء القطاعات أو الهيئات أو المؤسسات الثقافية والإبداعية، كميا ونوعيا، فإن ذلك يظل شأنا داخليا من مشمولات السيادة الوطنية والقومية التي عليها وحدها أن تنهض به وأن تتحمل مسؤولياتها التاريخية والحضارية فيه.

وفي هذا الإطار وكما سبقت الإشارة، فإن الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب يتصدر طليعة التنظيمات القومية النخبوية الجامعة، التي يبدو أنها أكثر تأهيلا لتجسيد حتمية الرهان على التكامل الثقافي العربي المشترك، الذي أصبح – في الألفية الثالثة – ضرورة دولية خارجية، بعد أن كان قبل ذلك اختيارا داخليا، مؤسسا على تجانس شعوب العالم العربي، في المكونات والوظائف والأهداف والتحديات.

ورغم العوائق والمثبطات المتنوعة المصادر، التي قيدت من أداء هذا الفضاء فقد استطاع أن يفك كثيرا من القيود المادية والمعنوية بحكمة "لا إفراط ولا تفريط"، فإلى جانب احتضانه للإنجازات النقدية والأدبية العربية المتنوعة بطباعاتها ونشرها وتشجيع منتجيها،ما فتئ يسعى لاستكشاف الآليات العملية، الموضوعية، الهادفة إلى **الرقي بأداء ومردود الثقافة العربية الحديثة والمعاصرة المتجذرة في الوعي الاجتماعي، الجمعي للأمة العربية قصد امتصاص المضاعفات الأليمة لصيغة عولمة القوة من جهة،** وقصد **إتاحة فرص الانخراط الإيجابي في ما تقترحه الألفية الثالثة، وإن تم ذلك على نحو اختزالي، من جهة ثانية.**

والواقع أن كل المعاينات المتماثلة أو المتباينة، المتاحة، تتكامل في الإقناع بأن من بين الأسباب الحيوية للاختلالات القائمة في الفضاء الثقافي العربي الحديث أو الأحدث، **اضطراب أولويات التكامل الثقافي العربي، وجمود آليات الاتصال والتواصل الإعلامي والمعلوماتي**، عل النحو الذي تأخذ فيه مظاهر التكامل وأشكال الإتصال والتواصل طابع الحتمية الطبيعية، التي يمكنها– وحدها – أن تجعل من آداء ومردود المجال الثقافي العربي، قوة اقتراح لتعزيز "**التثاقف**" الطبيعي في المدار، العربي/العربي، وقوة اقتراح لمحاصرة اكراهات "**ثقافة السلطة**" والانخراط في سلطة الثقافة، وقوة اقتراح للحوار المتكافئ في المدارات العالمية عموما، وفي المدارات الغربية الأنجلوسكسونية، التي فيها الخصام، وهي الخصم، والحكم، خصوصا.

وإذا كان هذا التوجه محل تفاوت بين "الاختيار" و"**الخيار** " على امتداد سبعين سنة من القرن الماضي، فإن صيغ وآليات الإستقطاب الجديدة للعالم تجعله حتمية لا بديل عنها إلا بعقد كل المراهنات عليها، فالعقود الأخيرة من القرن العشرين والمؤشرات الآنية أو الإستشرافية للنصف الأول من القرن الواحد والعشرين، كشفت أن الكيانات والكينونات المجهرية الصغرى معرضة لإكراهات الإختزال حينا والتذويب البطيء حينا آخر، إذا هي لم تتهيكل في كتلة محورية مؤثرة كميا ونوعيا.

وإذا كانت صيغة "العولمة / القوة"، محل رفض ومقاومة شعبية في العالم الغربي، بما في ذلك أمريكا نفسها، فمن باب أولى أن يناهضها العالم العربي، المستهدف الأول منها، حتى وإن فرضت عليه بالتعسف في استخدام القوة، خارج أطرما يعرف بالشرعية الدولية.

أما العولمة كإنجازات تكنولوجية وإعلامية ومعلوماتية أثمرتها إرادة العقل الحديث، فلا بديل للعالم العربي عنها إلا بحتمية التكامل في وضع سياسة ثقافية لترشيد الانخراط فيها وتحويل ماقد يبدو للبعض "مهددات" ثقافية أو حضارية إلى عوامل بناء وتعزيز "لإنياتنا " المتجذرة من جهة، وإتاحة فرص التكيف مع الآداء المتقدم للعصر الحديث في الألفية الثالثة التي يطيب لكثير من المفكرين الإستشرافيين أن يصفوها ب: "ألفية العولمة" من جهة ثانية.

ومن البديهي أن حتمية الرهان على التكامل الثقافي العربي من موقع الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، تقتضي تلافي الأداء البيروقراطي

الرديء المبدد المردود من موقع السياسات "السياسوية"، الرسمية التي مورست تحت مظلة الجامعة العربية.

وفي هذا السياق يمكن لهذا الفضاء الثقافي القومي أن يستكشف واقع وآفاق الأسئلة التالية:

1. إلى أي حد يستطيع الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب أن "يعولم" هياكله ومنتوجه الفكري والإبداعي عربيا ودوليا بالصيغة التي تعتمد التأثر والتأثير؟

2. إلى حد يستطيع هذا الفضاء أن يقنع نخب المجتمع العربي في كل المجالات بأهمية الإقلاع عن الصيغ المتنوعة للمحاكاة الاستهلاكية في المجال الداخلي للثقافة، فالحضارة العربية الإسلامية وفي المجال الخارجي للثقافة، فالحضارة الغربية؟

3. إلى أي حد يستطيع الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب أن يضطلع بمهمة إقناع الأنظمة العربية بأهمية التكامل في إعادة تنزيل وتوصيف وترسيم وإنتاج وتسويق وإشهار مختلف أصناف وأشكال الثقافة الفكرية أو الإبداعية، ذات المواصفات العالمية، قصد الانفتاح بها على الآخر، المنكر لها أو المتردد في الاعتراف بقيمتها النوعية، لجهله بها؟

4. إلى أي حد يستطيع هذا التنظيم القومي، النوعي أن يقنع القطاعات العربية الرسمية المعنية بأهمية تكاملها في تشخيص مواطن التهافت في النظم والمنظومات التربوية والتعليمية من أسفلها إلى أعلاها ومن أعلاها إلى أسفلها، قصد وضع مشروع قومي في الموضوع، يستهدف بناء الثروة البشرية المستدامة؟.

5. إلى أي حد يستطيع الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب أن يقنع المؤسسات أو الهيئات أو الجمعيات ذات، العلاقة بأهمية الآداء الثقافي المتكامل فيما بينها أولا، وما هي الأولويات الإنجازية المتصدرة التي يمكن أن يتكامل فيها معها ثانيا؟.

6. هل يمكن تحديد كم ونوع وأهمية المنجزات الثقافية النوعية العربية الحديثة والمعاصرة قصد ترجمتها إلى اللغات الأجنبية الأكثر دورانا وتأثيرا، وعبر دور النشر العالمية المرجعية في الدول الغربية فضلا عل استغلال المواقع الثقافية الجاذبة في الانترنيت؟

7. هل يمكن للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب أن يشرع في إعداد أطالس ومعاجم وموسوعات ثقافية تغطي المجالات الإبداعية والنقدية المتصدرة في راهن أداء اللغة العربية بكل المجتمعات العربية؟

8. كيف يمكن العمل على تكوين وتفعيل مراكز ثقل "لوبيات" ثقافية عربية متكاملة في المجتمعات والدول الغربية نفسها؟

9. إلى أي حد يستطيع الاتحاد أن يتكامل مع فضاءات المجتمع المدني، في الوطن العربي، قصد بلورة وتعميم صيغة "المجتمع الديمقراطي" المتواصل مع خارجه والمنسجم مع خصوصياته الثقافية والحضارية المتجذرة في التاريخ والجغرافيا؟

10. وقبل كل ذلك وأثناءه وبعده إلى أي حد يستطيع الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب أن يتكامل مع المؤسسات أو الهيئات ذات العلاقة

المباشرة[1]، في وضع صيغة إجرائية، عملية، في النهوض بواقع وآفاق أداء ومردود اللغة العربية، بوصفها هي واجهة الكيانات العربية، ومكمن كينونتها وهويتها الثقافية والحضارية، بالمعنى الرمزي الواسع الذي أطره الأثر القائل: "ليست العربية فيكم بأب أو أم، وإنما كل من تكلم العربية، فهو عربي"؟

1. لعل أكثرها تأهيلا لذلك:
- مجمع اللغة العربية (القاهرة)
- مجمع اللغة العربية السوري (دمشق).
- مجمع اللغة العربية بالمملكة الأردنية الهاشمية.
- المجمع الجزائري للغة العربية (الجزائر)
- المجلس الأعلى للغة العربية (الجزائر).
- مركز التعريب (الرباط)، الخ...

التعليمة معرفة علمية خصبة*

أ.بشير إبرير
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة عنابة

أولا – مقدمة:

نبدأ حديثنا بهذه الحكمة التي وردت عن الحكيم الصيني كونفوشيوس إذ قال: «**إذا أردت أن تؤسس لعام فازرع القمح، وإذا أردت أن تؤسس لجيل فشجر الأرض، وإذا أردت أن تؤسس للعمر كله فعلم الناس**».

نستنتج من هذه الحكمة أن التعليم أهم ما في الحياة؛ فهو العصب الحساس في أي مجتمع من المجتمعات، وهو الحامل الناقل لمفاتيح الوعي في الإنسان والأمة.

وإذا كان المثل المتداول بيننا في عصرنا يقول عن الرجل الذي يحقق إنجازات ونتائج ويبلغ مراكز مهمة: «**وراء كل رجل عظيم امرأة**» فإنّه

*** مداخلة قدمت في ندوة تربوية تكوينية لمعلمي التعليم الأساسي.**

بإمكاننا أن نقول قياسا عليه: «**وراء كل مجتمع راق مدرسة**»[1].

أردت أن أقدم هذا الموضوع: «**التعليمية معرفة علمية خصبة**» لأن هذا التخصص على أهميته في العملية التربوية، يكاد يكون مجهولا في منظومتنا التربوية بما في ذلك الجامعة الجزائرية، إذ ما زال فيها يعاني كثيرا من العناء والغبن[2].

وسأحاول في–البداية– أن أحدد **مفهوم التعليميات؟** لأن مفاتيح العلوم مصطلحاتها، وإذا أردنا أن نفهم علما ما فعلينا أن نحدد مصطلحاته ونفهمها، ونعرف كيف نقيم الحدود بينها ونبين الفروق بين هذا العلم وذاك، انطلاقا من مصطلحاته ومفاهيمه.

ثم سأحاول البحث عن **موضوع التعليميات، وعلاقتها بالمعارف الأخرى** مثل اللسانيات وعلم النفس وعلم الاجتماع والبيداغوجيا.

ثانيا – مفهوم التعليمية:

نشير إلى أننا نجد في اللغة العربية عدة مصطلحات مقابلة للمصطلح الأجنبي الواحد، ولعل ذلك يرجع إلى تعدد مناهل الترجمة، وكذلك إلى ظاهرة الترادف في اللغة العربية، وحتى في لغة المصطلح الأصلية؛ فإذا ترجم إلى لغة أخرى نقل الترادف إليها، من ذلك: «تعدد المصطلحات

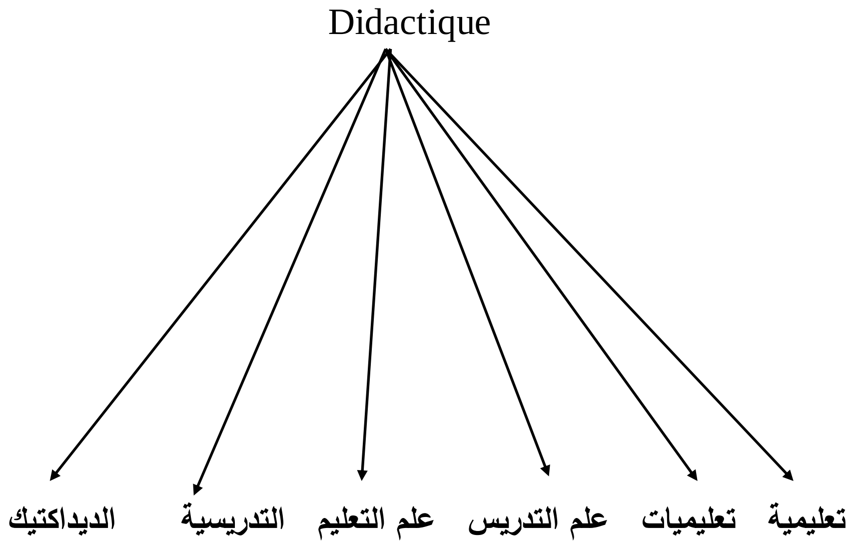
---

1. انظر، عبد المالك مرتاض، مقدمة العدد 3 من مجلة اللغة العربية، مجلة فصلية يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية 2000، ص:5.

2. نقول هذا الكلام تأكيدا للحقيقة وإقرار بها، فبالرغم من كون التعليمية معرفة علمية ثرية ولا بد منها في العملية التربوية والتعليمية فإننا لا نجد الجامعة الجزائرية قد خصصت لها شهادة ليسانس خاصة بها، بل أكثر من ذلك فإنها كمادة مستقلة ما تزال مهمشة في الجامعة، ولا يهتم بها إلا قليل من الأساتذة والباحثين.

المستقاة من الإنجليزية في شقها البريطاني والأمريكي.»[1] والشواهد على هذه الظاهرة كثيرة في العربية، سواء أتعلق الأمر بالإنجليزية أم بالفرنسية، باعتبارهما اللغتين اللتين يأخذ منهما الفكر العربي المعاصر على تنوع خطاباته والمعارف المتعلقة به.

ومنها مصطلح «DIDACTIQUE» الذي يقابله في العربية عدة ألفاظ:



وتتفاوت هذه المصطلحات من حيث الاستعمال؛ ففي الوقت الذي اختار بعض الباحثين استعمال «**ديداكتيك**» تجنبا لأي لبس في مفهوم المصطلح، نجد باحثين آخرين يستعملون «**علم التدريس**» و«**علم التعليم**»،

---

1. يوسف إلياس، ترجمة النصوص الإخبارية، المجلة العربية للدراسات اللغوية، المجلد الثاني، العدد الثاني، رمضان 1404 هـ/يونيو 1984، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص: 38.

وباحثين آخرين قلائل يستعملون مصطلح «**تعليميات**» مثل لسانيات ورياضيات...الخ. وأما مصطلح «**تدريسية**» فهو استعمال عراقي، لم يشع استعماله. غير أنّ المصطلح الذي شاع في الاستعمال أكثر من غيره هو: «**تعليميات**» ولذلك اخترته مقابلا لـ «**didactique**» بالرغم من الإغراء الذي يمارسه كل من مصطلح «**علم التدريس**» و«**علم التعليم**».

وقد عرّف جان كلود غاينون (J.C.Gagnon) في دراسة له أصدرها سنة 1973 بعنوان: «**ديداكتيك مادة**» (La didactique d'une discipline)، التعليمية كما يلي:

«إشكالية إجمالية وديناميه، تتضمن:

– تأملا وتفكيرا في طبيعة المادة الدراسية وكذا في طبيعة وغايات تدريسها.

– إعدادا لفرضياتها الخصوصية، انطلاقا من المعطيات المتجددة والمتنوعة باستمرار لعلم النفس والبيداغوجية وعلم الاجتماع... الخ.

– دراسة نظرية وتطبيقية للفعل البيداغوجي المتعلق بتدريسها.»[1]

ونستنتج من هذا التعريف أن التعليمية علم مستقل بنفسه وله علاقة وطيدة بعلوم أخرى وهو يدرس التعليم من حيث محتوياته ونظرياته وطرائقه دراسة علمية. وهو في ميدان تعليم اللغة يبحث في سؤالين مترابطين ببعضهما هما، **ماذا ندرس ؟ وكيف ندرس ؟**.

ويتعلق السؤال الأول بالمادة الدراسية من حيث كمها وكيفها بالنظر

---

1. رشيد بناني، من الديداكتيك إلى البيداغوجيا، الحوار الأكاديمي والجامعي، الدار البيضاء، ذ 1 ، 1991، ص: 39.

إلى معجمها ودلالتها ونحوها وأصواتها، وبجرد الأبنية أو الأشكال اللغوية والمفاهيم التي تتماشى مع احتياجات المتعلمين، وتجيب عن هذا السؤال اللسانيات التطبيقية، وهو تخصص يتداخل كثيرا مع التعليمية.

أما السؤال الثاني فيتعلق بتحديد نوعية المتعلمين وحاجاتهم وميولهم، ثم تحويل أو ترجمة هذه الحاجات والميول إلى قوالب لغوية ومفاهيم، ثم تكييفها بما يستجيب للمتعلمين والأهداف والوسائل التعليمية المتوفرة، ويجيب عن هذا السؤال علم منهج تدريس اللغات méthodologie de l'enseignement des langues وكذلك تخصصات أخرى لها صلة وثيقة بالتعليمية مثل: علم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم التربية، ونظريات التعليم، وعلم الاختبارات والتقويم La docimologie، وتكنولوجيا التربية.

ثالثا – موضوع التعليمية:

تطرح موضوعات عديدة على بساط البحث في التعليمية، إذ يمكن أن يهتم المتخصص فيها بعدة اهتمامات لا تنحصر في المادة وحدها، وإنما تمتد لتشمل كل ما يتعلق بالعملية التعليمية في مختلف أبعادها ومساراتها، في ترابط وتناسق وانسجام بين مختلف عناصرها المكوّنة **لنظام التعلم والتعليم** الذي يمكن تفصيله كما يلي:

1. معرفة عينة المتعلمين، من هم؟ أصغارًا أم كبارًا؟ وما هو مستواهم المعرفي، ومعرفتهم السابقة بمواد التخصص الذي يدرسونه، وبالمادة التي سيدرسونها مجددا؟ وما هي خصوصياتهم النفسية والاجتماعية، وخصائصهم كجماعة من المتعلمين يضمهم قسم واحد؟ والخصائص المميزة لهم كأفراد؟.

فالإجابة عن هذه الأسئلة تمكن الباحث في التعليمية[1] من تحديد حوافز المتعلم ودوافعه المختلفة نحو التعلم وموقفه من المادة وعلاقته بالمحيط واستعماله للغة[2]

2. **المعلم:** في هويته وتكوينه وخصائصه النفسية والمعرفية والاجتماعية، وعلاقته بالتوجهات العامة للتعليم، وأساليب ممارسته وطرائق تبليغه وأدائه.

3. **المحتوى:** ويتمثل في كل ما يمكن تعليمه وتعلمه، وجملة المعارف العلمية والفنية المكوّنة لمحتوى البرنامج المقرر؛ فيمكن الباحث في التعليمية أن يدرس المحتوى التعليمي دراسة وصفية أو تحليلية، أو مقارنة أو من منظور اللسانيات الاجتماعية Socio-linguistique أو من منظور اللسانيات النفسية[3] Psycho-linguistique، من أجل تحديد مقاييس انتقاء المادة بدقة، ففي تعليمية اللغة مثلا، توجد عدة مبادئ لاختيار المادة اللغوية، **فليس كل ما في اللغة ضروريا للمتعلم؛** إذ « يقتصر المتعلم في تعبيره الشفوي والكتابي على بعض العناصر اللغوية دون غيرها، فلا يستعمل كل ما في اللغة مهما كانت درجة ثقافته وسعة ثروته اللغوية، وهذا القدر المشترك في الاستعمال بين الناس جميعا لتأدية الأغراض التبليغية الضرورية هو الذي

---

1. استعملت "الباحث في التعليمات" مقابلا للمصطلح الأجنبي "Didacticien"، الديداكتيكي أو التعليمي أو التعليماتي أو الخبير في التعليم.

2. عبد اللطيف الفاربي، مدخل إلى ديداكتيكا اللغات حقول ومجالات اشتغال الديداكتيكي، مجلة ديداكتيكا، العدد (1)، ص7المرجع نفسه، ص7.

3. المرجع نفسه، ص: 7.

يحتاجه المتعلم.»[1]

يقول الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح في هذا المقام: « لا يحتاج المتعلم إلى كل ما هو ثابت في اللغة للتعبير عن أغراضه، بل تكفيه الألفاظ التي تدل على المفاهيم العادية وبعض المفاهيم العلمية والفنية أو الحضارية مما تقتضيه الحياة العصرية، أما اللغة التقنية التي سيحتاج إليها بعد اختياره لمهنة معينة ثم الثروة اللغوية الواسعة، فهذا سيكون من مكتسباته الشخصية، يتحصل عليها على ممر الأيام في مسيرته الثقافية وفي تلقيه لشتى الدروس غير دروس اللغة.»[2]، وليس كل ما في اللغة يناسب الطفل أو المراهق من حيث الألفاظ والتراكيب في مرحلة معينة من مراحل نمو الطفل وارتقائه[3].

وبإمكان الباحث في تعليمية اللغات أن يقوم بإحصاء المستوى الإفرادي للغة، من أجل تحديد عناصرها اللازمة للتعليم، وذلك تسهيلا لعمل المتخصص في تعليم اللغات؛ لأن الإحصاءات وسيلة فعالة تمكن الباحث من إجراء تحليلاته ومقارناته بين الطرائق المختلفة، ليعرف مواطن الضعف فيها، ويقترح لها الحلول المناسبة[4].

---

1. عبد المجيد سالمي، مدخل إلى علم تعليم اللغات، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، معهد اللغة العربية وآدابها، عدد 5، 1995، ص 140.
2. عبد الرحمان الحاج صالح، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، عدد 4، 1974، ص 44.
3. المرجع نفسه، ص 44..
4. عبد المجيد سالمي، المرجع نفسه، ص 140-141.

وبالإضافة إلى الفرق بين المنطوق والمكتوب وأسبقية المشافهة على التحرير، فهناك اختلاف من حيث الكم والنوع بين العناصر اللغوية في الخطابات الشفوية والمكتوبة، وهو ما يجب مراعاته في وضع طرائق لتعليم لغتنا، إذا أردنا أن نجعلها ذات استعمال عفوي متداول[1].

4. مؤسسة التعليم: أين تقع ؟ في بيئة اجتماعية مدنية أم ريفية؟ وهل هي قادرة على توفير وسائل العمل اللازمة؟ وما هي القوانين التي تسيرها؟

5. معرفة الأهداف: ما نوعها؟ أهي عامة أم خاصة أم إجرائية؟ وهل تتعلق بمهارات عامة أم بمعارف معينة؟ ومن يختارها ويحددها؟؛ فقد جلبت أنظار الاختصاصيين في التعليمية أهمية الأهداف في نظام التعليم، بغية الوصول إلى الطريقة المثلى التي توضح لنا كيف نؤسس تعليمية ما على أهداف تربوية تعليمية مدروسة بدقة، وبإمكانها أن تجيب عن التساؤلات الآتية:

هل يهدف التعليم أساسا إلى إكساب المتعلم معلومات أو مهارات أو سلوكا أو اتجاها فكريا محددا مثل النقد أو الإبداع أو الاستظهار، وهل يهدف التعليم إلى إكساب المتعلم إشكاليات حقيقية وإطلاعا معمقا على المفاهيم، وتحكما فيها والربط بين علاقاتها المختلفة[2].

6. الأنشطة: أي ما هي الأنشطة التي يقوم بها المعلم في تبليغه لمعلوماته، والتي تتعلق بمهارات السمع والكلام والقراءة والتصحيح؟ فهناك

1. المرجع نفسه، ص 141.
2. إدريس مولاي شابو، ما هي التعليمية، مجلة المبرز، العدد 5 جانفي جوان 1995، ص:33.

أنشطة شفوية وأخرى كتابية، ولا يمكن الاهتمام أو الاكتفاء بجانب واحد منهما، وإنما بينهما انسجام وتكامل، ثم إن هذه الأنشطة منها ما يتعلق بالمعلم، ومنها ما يتعلق بالمتعلم ولذلك تسمى الأنشطة التعليمية – التعلمية؛ فمن ذلك مثلا إتاحة فرص الحديث للمتعلم عن موضوعات ضمن سياقات مختلفة مع بقية المتعلمين داخل القسم، وما يتطلبه ذلك من تبادل للأدوار بينهم وإنماء لملكتهم التبليغية، كما يمكن تشجيع المتعلمين على الإنصات الجيد، مع التحلي بالصمت في حالات الاستماع المختلفة والاستعداد للرد السريع شفويا، ومعرفة متى يكون ذلك، ومتى يلتمس الكلمة والتمييز بين أنواع الخطابات التي توجه إليه، وأغراضها المختلفة وما إذا كانت بغرض الإقناع أو التوضيح أو التأثير أو لفت الانتباه إلى أمر ما أو الاستدلال والمحاجة، والتكلم بجرأة ووضوح باستعمال جمل مفيدة، وعدم الاقتصار في الإجابة على كلمة واحدة، وتمرينهم أيضا على آداب الحديث والمناقشة وما تتطلبه من قدرات مختلفة مثل: التكيف مع أحوال الخطاب المختلفة، ومعرفة الفروق بين مخاطبة الصغير ومخاطبة الكبير، ومن هم في منزلة اجتماعية يقتضي مقامها الحرمة، ومن هم في منزلة أدنى واختيار الخطاب المناسب، وما يقتضيه من كلمات وتراكيب، فلا يكتفي المعلم بتبليغ محتويات معلوماته، وإنما يمكنه أن يعمل على إكساب المتعلمين المهارات المختلفة التي تدعم ملكة التبليغ مشافهة وتحريرا[1].

---

1. بشير إبرير، توظيف النظرية التبليغية في تدريس النصوص بالمدارس الثانوية الجزائرية، رسالة دكتوراه دولة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة 2000، ص: 248–249.

ولابد من التأكيد على الأنشطة الكتابية أيضا، لأهميتها في إكساب المتعلم ملكة التفكير النافذ، فكتابة الموضوعات والتعليق عليها وتلخيصها ووضعها في رؤوس أقلام من شأنها أن تطور استراتيجيات متقدمة في التفكير؛ «فالأعمال الكتابية ذات طبيعة خلاقة، حيث تدفع إلى التفكير المتعمق وإعمال الذهن وتوجيهه نحو اكتشاف المعاني والأفكار والعلاقات...»[1].

ونشير – في كل هذا – إلى أن دور المعلم يكمن في تدخلاته المنهجية وتوجيهاته الضرورية فقط، ويمكن أن يبقى جانبا في بعض الحالات اللازمة، فلا يتدخل في كل صغيرة أو كبيرة، ليدع المجال للتلاميذ يعبرون بأنفسهم عن أنفسهم ويتخاطبون، فذلك يؤدي إلى روح التنافس المثمر، وتقوية دوافع التلاميذ نحو التعلم[2].

7. **الوسائل:** التي يمكن استعمالها في أداء العملية مثلا:

هل قسم أم مخبر؟ هل كتاب أم مطبوعة أم صور أم أشرطة ؟... الخ.

8. **النتائج** التي تم تحقيقها فعلا، وهل تم تحقيق الأهداف المحددة ؟ وما نسبة ذلك التحقيق أو النجاح ؟ وهل بإمكان المتعلمين أن يشاركوا في

1. حمدان علي نصر، أثر استخدام نشاطات كتابية وكلامية مصاحبة على تنمية بعض مهارات القراءة الناقدة، دراسة تجريبية، المجلة العربية للبحوث التربوية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المجلد 16، العدد 1، 1996، ص: 226.

2. بشير إبرير، المرجع المذكور سابقا، ص:249–250

تقويم النتائج المتوصل إليها؟[1] وما هي الثغرات التي ظهرت ومن اللازم سدها؟ وما هي الصعوبات التي تواجه المعلمين والمتعلمين معا في التعليم والتعلم ؟ وهل يتعلق ذلك بالطريقة أم بالمتعلم؟ أم بالمحتوى أم بالوسائل أم بالمعلم؟ باعتباره العنصر الأول في العملية التعليمية ؟ وكيف يتم تصحيح كل ذلك ؟ أم بعملية التقويم في حدّ ذاتها؟

إن ما يمكن أن يبحثه المتخصص في التعليمية يمكن أن نلخصه كما يلي:

« **متعلمون** في علاقة مع:

- **معلم** لكي يتعلموا
- **محتويات** داخل إطار
- **مؤسسة** من أجل تحقيق
- **أهداف** عن طريق
- **أنشطة** وبمساعدة
- **وسائل** تمكن من بلوغ
- **نتائج.**»[2]

وإن أهم الموضوعات التي يمكن أن تكون الانشغالات الأساسية للتعليمية، وعلى المتخصص في هذا الميدان أن يبحثها تتمثل – حسب كلود

---

1. يوجد كثير من الجامعات في العالم يقوم فيها المتعلمون– في نهاية كل سنة– بملء استمارة تقويم عن الأستاذ، وهذا لا وجود له على الإطلاق في بلادنا، بل حتى ذهنيا هو غير مقبول لعوامل عديدة ليس هذا مجال ذكرها.

2. عبد اللطيف الفاربي وعبد العزيز الغرضاف، كيف تدرس بواسطة الأهداف، الدار لبيضاء، ط 1، 1989، ص: 17.

بيجين CLOUDE BEGIN في مقالة له عنوانها:

La didactique et ses principales préoccupations[1] في: تحسيس المدرسين بمشاكل التعليم المختلفة، وجعلهم يعرفون بعض أهداف التعليم وبعض وسائل بلوغها وتيسير التعليم، وتنمية المهارات العقلية (مثلا مهارة الحساب الذهني، حل بعض المشاكل، التفكير الاستدلالي...)، والبحث عن الحد الأدنى من التعليم، فماذا يتبقى منه، إذ هناك معارف مهمة كثيرة يطالها النسيان.

وإثراء الوسط التربوي بالتصدي للمعرفة وفهمها، خصوصا أن هذا العصر الذي نعيشه هو عصر المعرفة، ولا مكان فيه لمن لا معرفة له، وكذلك تحفيز التلاميذ نحو المواد الدراسية وتشويقهم للتعليم، وبيان أهمية المواد الدراسية ووظائفها في المجتمع، وكذلك تكوين المعلمين وتحسين أدائهم البيداغوجي، والقيام بالبحث في المواد التعليمية، وفي تنظيم عملية التعليم والتعلم والبحث – أيضا – في بناء المناهج وتطوير البرامج التعليمية، دون أن ننسى في كل هذا البحث التقويم وأساليبه وأنواعه، وأهميته في العملية التعليمية.

رابعا. علاقة التعليمية بالمعارف العلمية الأخرى:

تتداخل التعليمية مع عدة تخصصات علمية أخرى إلى درجة يصعب التفريق بينها في بعض الأحيان، فهي في إيطاليا ترادف علم النفس اللغوي وعلم النفس التربوي، ويتداخل مفهومها إلى حد الالتباس في – بلجيكا – مع البيداغوجيا، بينما يرتبط في فرنسا باللسانيات التطبيقية، دون أن ننسى

---

1. رشيد بناني، المرجع المذكور سابق، ص: 72 وما بعدها.

اللسانيات العامة والصوتيات وعلم النفس، العام وخصوصا ما تعلق منه بنظريات التعلم، وعلوم أخرى اهتمت بالمجال الاجتماعي الثقافي، مثل الاقتصاد والتاريخ والجغرافيا وعلوم عريقة مثل الأدب والفلسفة...

ويفسر ماري Mariet «هذا الحضور المكثف لمختلف الفروع والعلوم بالموقع الاقتصادي الهام لتعليمية اللغات، فقد كانت بحكم التطور الذي عرفته موردا هاما للعمل، ووجدت فيها بقية العلوم الأخرى ضالتها بما أنها تدرس المادة – والمتعلم – والطرائق.»[1].

ولهذا.. فإن الباحث في التعليمية يجد نفسه مضطرا للبحث في علوم أخرى، ذات علاقة ومنافع متبادلة بينها وبين التعليمية[2]، ومنها:

1. اللسانيات: فقد استفادت تعليمية اللغات من اللسانيات استفادة كبيرة على تعاقب مدارسها ونظرياتها، فقد قدمت المدارس اللسانية ونظرياتها التي انبثقت عنها للتعليمية إمكانية التفكير والتأمل في المادة اللغوية، وبنياتها والمناهج التي تحكمها، وذلك انطلاقا مما قدمه سوسير F.Saussure في المدرسة البنيوية "Le structuralisme"، وبلومفيلد L.Bloomfield في المدرسة التوزيعية L'école distributionnelle، ومدرسة شومسكي N.Chomsky التوليدية التحويلية L`école générative transformationnelle، وما قدمته المدرسة الإنجليزية مع فيرث FURTH ثم تطورت بفضل تلميذه مايكل هاليداي M.Halliday وديل هايمس Dell

1. عبد اللطيف الفاربي، مدخل إلى ديداكتيكا اللغات، ص: 8.

2. تتبادل التعليمية المنافع مع كثير من العلوم ومنها اللسانيات، لأن تعليمية اللغات تستفيد من اللسانيات والعكس كذلك، إذ تستفيد اللسانيات من التعليمية فتصير موضوعا من موضوعاتها في إطار العملية التربوية.

Hymes ، وقد نتج عن كل هذه المدارس عدة مفاهيم، كان لها بالغ الأثر في تعليمية اللغات، ومن أهم تلك المفاهيم مفهوم النظام عند سوسير؛ ففي رأيه أن اللغة نظام محكم يتكون من مستويات للتحليل هي: المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي والدلالي، «ومن ثمة فإن تحديد تلك الأبنية ووحداتها وما يربط بينها من علائق متنوعة من شأنه أن يعين على معالجة المواد اللغوية المدرّسة، معالجة بيداغوجية مخصوصة يراعى فيها التدرج من البسيط إلى المعقد، والانتقال من الشبيه إلى الشبيه به أو المقابل له، وهو ما يساعد على ترسيخ المعلومات المقدمة في أذهان المتعلمين، وتيسير عملية استحضارها من قبلهم كلما شعروا بالحاجة إلى ذلك...»[1]. إن الرؤية الوصفية للغة التي ترسخت في منهج مستقل بها عند سوسير لم يتوقف تأثيرها في التعليمية فحسب، وإنما امتد ليطال مناهج تحليل النصوص الأدبية.

ولعل أحسن استثمار لمفهوم البنية في تعليمية اللغات يتمثّل في التمارين البنوية exercices structuraux التي تعتمد على مفاهيم التقابل l'opposition، والتشابه l'analogie، والاختلاف le contraste، في فهم اللغة وإدراك مدلولاتها.

ومن بين مظاهر التأثير أيضا أن أعيد الاعتبار للغة المنطوقة، فأصبحت لها أهميتها في الوصف والدراسة، وهي نظرة جديدة، لم تكن من قبل عندما كانت تسود الدراسات التاريخية والمقارنة التي كانت تركز على

1. محمد صالح بن عمر، كيف نعلم العربية لغة حية؟ بحث في إشكاليات المنهج، دار الخدمات العامة للنشر، تونس، ط 1، 1998، ص: 16.

النصوص المكتوبة لكبار الأدباء، إن اللغة المنطوقة تتميز بالنشاط والحيوية، من ذلك أن الطفل لا يشرع في تعلم اللغة المكتوبة إلا بعد أن يتعلم اللغة المنطوقة.

وقد استفادت تعليمية اللغات أيضا من اللسانيات في جانبها الصوتي في تصحيح النطق لدى المتعلمين، خصوصا في تعلم اللغات الأجنبية، بالإضافة إلى أن معظم المدارس اللسانية قد اتخذت من الجملة وحدتها الأساسية في دراسة اللغة، بالإضافة إلى تكوين الأرصدة اللغوية الأساسية التي يحتاجها المتكلمون باللغة في أغلب شؤون حياتهم، وقضاء حوائجهم[1].

ومن بين أهم المفاهيم اللسانية التي كان لها تأثير واسع في تعليمية اللغة مفهوم "**الملكة اللغوية**" La compétence linguistique[2]، ويقابلها مفهوم "**الأداء أو الإنجاز**" "La performance"[3]، وهما مفهومان أساسيان في المدرسة التوليدية التحويلية، فالملكة اللغوية تمثل جملة القدرات والاستعدادات التي تمكن الفرد من إنجاز اللغة بعد ذلك، بمعنى أن الإنجاز هو استثمار للملكة.

وإن ما جاء به شومسكي في هذا الإطار على قدر كبير جدا من الأهمية في تعليمية اللغات، غير أنه يظل غير كاف في نظر أصحاب

1. المرجع نفسه، ص: 17 وما بعدها.
2. تحدث عن الملكة اللغوية العلامة عبد الرحمن بن خلدون في كتابه المقدمة بقرون طويلة قبل تشومسكي؟ وتعادل الملكة عند الفارابي وغيره من علماء العرب القدامى "الموجود بالقوة"، غير أن هذا لا يعني إلغاء الجهود العظيمة لتشومسكي وغيره من علماء الغرب وإضافاتهم العظيمة للفكر الإنساني خصوصا من حيث الضبط المنهجي والتأسيس النظري.
3. يعادل عند العرب القدماء "الموجود بالفعل"

المدرسة الإنجليزية التي تسمي بالفيرثية الجديدة نسبة إلى "فيرث FURTH" صاحب نظرية سياق الحال في بداية الأربعينات. ولهذا أضاف "ديل هايمس" مصطلحا آخر هو: **الملكة التبليغية/التواصلية** la compétence communicative[1].

إذ تشكل موضوعا للبحث على درجة كبيرة من الأهمية في الدراسات العربية والغربية على حد سواء، وقد ألفت في ذلك كتب كثيرة ورسائل جامعية متعددة.

تعني الملكة التبليغية «القدرة على استعمال اللغة في مختلف الأحوال الخطابية لشتى الأغراض.»[2] وهي بهذا تتعدى الملكة اللغوية التي تعني القدرة على التركيب السليم للنماذج الصوتية، والمعجمية والنحوية والنصية لنظام اللغة.

إن الملكة التبليغية لا تعني معرفة النظام الصوتي والصرفي والنحوي فقط؛ وإنما تتعدى ذلك إلى معرفة معايير وقواعد التوظيف، وقدرة المتكلمين في ذلك، فلا تتضمن العناصر والبنيات اللسانية وحدها، بل تشمل أيضا قواعدها الاجتماعية، ومعرفة سياقاتها وكيفيات استعمالها حسب مقتضيات أحوالها[3].

---

1. الحديث عن الملكة التبليغية في عصرنا لا يخرج عما تحدث عنه علماء اللسان والبلاغة العرب والبحث عن جذور النظرية التبليغية في التراث العربي على قدر كبير من الأهمية، انطلاقا من سيبويه في القرن الثاني، وصولا إلى ابن خلدون في القرن الثامن الهجري.

2. عبد الرحمن الحاج صالح، علم تدريس اللغات والبحث اللغوي في منهجية الدرس اللغوي، ص: 10

3. انظر. Dell Hymes, Vers la compétence de communication, Paris, 1984, p:124.

وهكذا تشكل اللسانيات للباحث في التعليمية ميدانا لدراسة الظواهر التي يلاحظها في أبحاثه ويفسرها، ومجالا لتقديم تصورات أو خطط وإجراءات منهجية، بغية تعليم اللغات وتعلمها وذلك على مستويين؛ مستوى مفهومي أو نظري، ومستوى منهجي أو تطبيقي.

2. علم النفس بأنواعه:[1]

يشكل علم النفس بأنواعه خلفية نظرية للكثير من النظريات والمقاربات les approches التي تشكل مجالا لاهتمامات الباحث في تعليمية اللغات؛ فالنظريات التي تعمل على تنمية آليات الاستعمال اللغوي تستند إلى خلفية معرفية، تتعلق بعلم نفس السلوك الذي يعد مظاهر السلوك الملاحظة في الكلام منطلقا لدراساته، والاستجابات نحو المثيرات المختلفة، وتتأسس المقاربات التواصلية على النظريات النفسية البنائية أو علم النفس التكويني أو المعرفي كما يسمى أحيانا، باعتبارها تعد التعلم عملية تفاعل بين الذات العارفة وموضوع المعرفة، إن علم النفس يجيب عن كثير من التساؤلات المتعلقة بالحياة التعليمية التعلمية ويقدم معلومات ثمينة عن الحاجات اللغوية، والدوافع نحو التعلم واستراتيجياته، ويحاول أن يجيب عن أسئلة مثل: كيف يتلقى التلميذ خطابا؟ وما هي أهم الصعوبات والعقبات التي تواجهه؟ وما هي مجمل العلاقات بين تعلم لغة من اللغات، وبين عناصر مثل: الشخصية والذاكرة والإدراك والفهم[2]

---

1. نقول: علم النفس بأنواعه؛ لأن التعليمية تستفيد من علم النفس العام وعلم النفس التربوي وعلم النفس اللغوي.

2. انظر عبد اللطيف الفاربي، مدخل إلى ديداكتيكا اللغات، ص: 9.

3. علم الاجتماع بأنواعه[1]

إذا كانت التعليميات قد استفادت من حصاد علم النفس، فإنها قد استفادت أيضا من حصاد آخر لا يقل أهمية عن الأول، وهو حصاد علم الاجتماع؛ لأن اللغة ظاهرة اجتماعية أولا وقبل كل شيء، تلعب دورا حاسما في التواصل بين الأفراد والمؤسسات الاجتماعية المختلفة، ولهذا فإن علم الاجتماع يجيب عن العديد من الأسئلة المتعلقة بالتعليمية من مثل الاستعمالات اللغوية المختلفة، من يستعملها ومع من يستعملها؟ وكيف يستعملها؟ وعمّ يستعملها؟ وما هي جملة القواعد الاجتماعية المتحكمة في ذلك؟ وما هي الاستعمالات اللغوية الممكن استثمارها في المؤسسة التعليمية؟ وما هي الأوضاع اللغوية وغير اللغوية وأنماط التواصل الشفوي والمكتوب، وما تؤديه الحركات والإيماءات وأنظمة التبليغ غير اللغوي، وعلاقة ذلك بطرائق التعليم، وما هي المظاهر الثقافية والحضارية لمجتمع لغوي معين مثل الازدواجية اللغوية، والتعددية...، وأنساق القيم والعادات والتقاليد والأعراف المعبر عنها في محتوى لغوي مقرر على التلاميذ في مرحلة دراسة معينة.

4. البيداغوجيا:

تشترك التعليميات والبيداغوجيا في مسارات اكتساب المعارف وتبليغها، لكن التعليميات تعالج محتويات المعرفة بصفة خاصة، بينما تهتم

---

1. نقول: علم الاجتماع بأنواعه؛ لأن التعليمية تستفيد من علم الاجتماع العام وعلم الاجتماع التربوي وعلم الاجتماع اللغوي وعلم الاجتماع الثقافي.

البيداغوجيا بالعلاقات بين المتعلمين والمعلمين[1] ونسجل وجود تداخل كبير بين البيداغوجيا والتعليمية، حتى أنه يصعب التفريق بينهما ورسم الحدود التي تميز هذا عن ذاك، فهنالك من يرى بأن تعليمية اللغات هي عبارة عن امتداد للبيداغوجيا ومنتوج ووليد جديد لها[2].

إن المهم في كل هذا هو أن تعليميات اللغات والبيداغوجيا تتبادلان المنافع، شأنهما شأن اللسانيات وعلوم النفس والاجتماع كما سبق أن رأينا وما يمكن التأكيد عليه أن الأسئلة التي تجيب عنها البيداغوجيا تتمثل في: العلاقات بين المعلم والمتعلم، واستعمال الطرائق والتقنيات التربوية، واستعمال الوسائل المختلفة في العملية التعليمية، وأساليب تقويم التعليم والتعلم...الخ.

خامسا. خلاصة:

ومحصول الحديث من كل هذا هو أن التعليمية تعد تخصصا علميا بالغ الأهمية، نظرا للمعارف الخصبة التي يقدمها لأعوان العملية التربوية والتعليمية في آن واحد، والتي يمكن استثمارها في اكتساب المعارف وتبليغها، ومعالجة المحتويات الدراسية وبنائها البناء المنهجي المناسب حسب ما يقتضيه نظام التعلم والتعليم.

كما أن التعليمية تتبادل المنافع مع كثير من العلوم الأخرى مثل: علم النفس التربوي، وعلم النفس العام، وعلم النفس اللغوي، وعلوم التربية واللسانيات بفروعها، وعلوم عريقة أخرى مثل الفلسفة والأدب والتاريخ...

1. انظر ميشال دوهلاي، التعليمية والبيداغوجيا، مجلة معالم، العدد 1، 1997، دار مارينور للنشر، الجزائر، ص: 181.
2. انظر رشيد بناني، من الديداكتيك إلى البيداغوجيا، ص: 45.

فكل هذه العلوم توظفها التعليمية وتستفيد منها في بناء مصطلحاتها ومفاهيمها ومعارفها ورسم حدودها الفارقة التي تميزها عن غيرها من التخصصات العلمية الأخرى، ثم إن هذه العلوم تستحيل بدورها إلى موضوعات للدراسة في ميدان التعليمية فنقول: تعليمية الأدب واللغة أو الفلسفة أو اللسانيات أو التاريخ...الخ.

المحاسبة وتبادل المعطيات إلكترونيا

د. أبو بكر خالد سعد الله

صارت المعلوماتية اليوم متواجدة في أبسط الوظائف والمهن بل بات الاستغناء عنها من المستحيلات. والمحاسبة ليست في معزل عن هذا التحول، كما أنها ليست الاختصاص الأخير الذي تعرّف على الحاسوب وفضائله. إن إلمام المحاسب والخبير المحاسب وأعوانه بالمعلوماتية ضرورة لا تحتاج إلى الكثير من البيان. كيف يمكن أن يكون الخبير المحاسب ناجحا في عمله دون أن يقترح خدمات جديدة لزبائنه؟ وأين له ذلك في هذا العالم السائر في طريق العولمة إن لم يلجأ إلى الحاسوب والمعلوماتية والشبكات الداخلية والإنترنت؟

إن المحاسبين بكافة فئاتهم مطالبون بالإسراع إلى الغوص في بحر هذه الأدوات الجديدة والتحكم فيها إذا ما أرادوا أداء مهامهم على أحسن وجه ومواكبة عجلة التطور التي تسير بسرعة لا ترحم. ومن هذا المنظور يعتبر تبادل المعطيات إلكترونيا أمرا هاما ينبغي تتبع تطوراته المتسارعة والتعامل معه وبه.

ما هو هذا التبادل؟ تبادل المعطيات إلكترونيا Electronic Data Interchange (EDI) هو تبادل المعطيات مباشرة دون استخدام الورق، أي باستخدام المعلوماتية وشبكات اتصالها الحديثة سيما الشبكات الداخلية (الإنترانت) وشبكة الإنترنت العالمية. والواقع أن تبادل المعطيات إلكترونيا صار يعني الاستغناء الكلي عما لا يمتّ بصلة إلى المعلوماتية: يرسل الزبون طلب بضاعة إلى الشركة أو المصنع فيتم استقبال هذا الطلب في جهاز حاسوب. ومن ثمّ تنطلق معالجته معلوماتيا ابتداء من تسيير مخزون البضاعة في مقر الشركة حتى تسليمها إلى الزبون مرورا بمصلحة المحاسبة وإصدار الفاتورة وإرسالها إلكترونيا إلى صاحبها.

تشير التقديرات إلى أن تكلفة مراسلة بالطريقة التقليدية تعادل – إذا ما أخذنا بالحسبان كل المصاريف (اليد العاملة، الورق، أجهزة الرقن، الإرسال، الخ.) – عشر مرات تكلفة مراسلة عن طريق التبادل الإلكتروني. أما تكاليف الأرشفة الحديثة فهي لا تساوي شيئا مقارنة بالأرشفة الورقية التقليدية(5).

ومن التسهيلات الكبيرة التي تقدمها المعلوماتية الحديثة للمحاسبين وغيرهم أنهم يستطيعون "الاجتماع" بزبائنهم عن بعد بالصوت والصورة دون كلفة تذكر ودون الحاجة إلى الخروج من المكتب. وهكذا يوفّر الجميع وقت التنقل ومتاعبه وتكاليفه ومصاريف أخرى.

ظهر تبادل المعطيات إلكترونيا بكثافة عندما شعرت المؤسسات الكبرى بالحاجة إلى "تأليل" الوظائف الإدارية المتكررة في مصالحها التجارية والإنتاجية (البيع والشراء وتبادل الأموال، ...) بهدف تحسين الإنتاجية

وزيادة المردود. وكان تبادل المعطيات إلكترونيا يُعنَى في البداية بحقل الصناعة في بعض البلدان المتقدمة دون غيرها. أما اليوم فلم يعد هذا الأسلوب في التبادل حكرا على كبريات الشركات القادرة على إنفاق أموال باهظة من أجل تحديث أنظمتها المختلفة، بل صارت هذه الطريقة في متناول المؤسسات الصغيرة والمتوسطة. والأكثر من ذلك فإن ظهور التجارة الإلكترونية قرّب تبادل المعطيات إلكترونيا من الجمهور العريض. كيف ذلك؟

لقد بلغ عدد المواقع التجارية على شبكة الإنترنت 4412 موقعا عام 1997. وارتفع هذا الرقم عام 2002 إلى أزيد من 11800، وهو يتضاعف بشكل متسارع سنة بعد سنة. كما أن عدد مستخدمي شبكة الإنترنت في العالم في تزايد مطرد : كان قد وصل إلى 70 مليون نسمة عام 1997، وقارب 320 مليون نسمة عام 2002، وهو اليوم يناهز 650 مليون نسمة (1).

وتشير الإحصائيات الخاصة بعدد الزبائن التجاريين عبر شبكة الإنترنت إلى الأرقام التالية : كان عددهم 3 ملايين نسمة عام 1995 ثم ارتفع إلى 8.9 مليون عام 1996، وقفز إلى 27.6 مليون نسمة عام 1998، ثم إلى 41.6 مليون عام 1999. وفي العام 2000 وصل إلى 59.4 مليون. وبلغ 128.4 مليون نسمة عام 2002، وربما يتجاوز 400 مليون في نهاية السنة الجارية. وفيما يخص الاتصال عبر البريد الإلكتروني فقد كان يقدّر رقمه بـ 505 مليون عام 2002، ومن المنتظر أن يبلغ 1.2 مليار عام 2005 (1،2).

وفيما يخص مبيعات التجارة الإلكترونية فقد بلغت 16 مليار دولار عام 1997. وفي ذلك الوقت كانت تقديرات الخبراء أن هذا النوع من التجارة

ستبلغ مبيعاته 37 مليار دولار عام 2002. لكن هؤلاء المحلّلون فوجئوا عند انقضاء عام 1998 حين وجدوا بأن تلك المبيعات بلغت في الواقع 50 مليار دولار! وكانت التوقعات لعام 1999 تشير إلى بلوغ 100 مليار دولار. لكن تبيّن فيما بعد أن هذا الرقم تم تجاوزه بكثير. ويرى الخبراء أن مبيعات التجارة الإلكترونية قد فاقت عام 2002 مبلغ 600 مليار دولار، أي أزيد من 15 مرة قيمة المبلغ الذي كانوا توقعوه خلال 1997، وهكذا دواليك!!!

ولا بد أن نتساءل عن العوامل التي أدت بمختلف المؤسسات إلى تبني طريقة تبادل المعطيات إلكترونيا. من الطبيعي أن نشير هنا إلى عوامل الزيادة في الأرباح المالية للشركات فضلا عن تحسين طرق التسيير وخدمة الزبون. وعلينا ألا ننسى بوجه خاص أن تبادل المعطيات إلكترونيا يقلّص "مهل الانتظار" (مثل مهلة انتظار الزبون لتسلم بضاعته أو دراسة طلبه): إنه عامل على درجة كبيرة من الأهمية إذا ما تعلق الأمر بالمنافسة بين المؤسسات على الصعيد العالمي، سيما منافسة الشركات اليابانية التي تعمل بالقاعدة "الورق=0، الانتظار=0، المخزون=0 (أي تقليص المخزون بفضل سرعة التعامل)، العيوب=0 (أي التحكم في جودة المنتوج بفضل سرعة التدخل)" (6،7) .

لنضرب مثلا عن فوائد تبادل المعطيات إلكترونيا: هب أن زبونا اشترى قطعة صابون من إحدى الأسواق الضخمة التي تعمل بتبادل المعطيات إلكترونيا ومرّر القابض قطعة الصابون على الإشارة الضوئية لتسجيل السعر. يمكن أن تجهّز تلك الآلة (التي تقوم في الظاهر بنقل السعر من علبة الصابون إلى الفاتورة) بشكل يسمح لها باستنتاج أن ذلك النوع من الصابون

وشيك النفاذ. ومن ثم ترسل الآلة أمرا إلى الجهة المعنية – دون علم القابض– تطلب فيه تزويد سوقها بهذه المادة. وهكذا نلاحظ أن عملية الشراء ولدت أمرا بالتموين دون تدخل الإنسان ودون علمه. والأمر بالتموين تتبعه، بطبيعة الحال، سلسلة من الأوامر الأخرى : طلب المنتوج ← صناعته← التزوّد منه ← فوترته ← تخليصه. يهدف تبادل المعطيات إلكترونيا إلى جعل هذه الأوامر تُعطىَ دون أيّ تدخل بشري.

وخبراء المحاسبة في العالم يتابعون عن كثب هذه التطورات التكنولوجية ويعملون على تكييف مهنتهم مع المعطيات الجديدة. ذلك أن هذه المستجدات التي طرأت على مستوى تسيير المؤسسات وهياكلها ونظمها لا بد أن تؤخذ بالحسبان من قبل الخبير المحاسب. وعليه أن يراجع طريقة عمله بما يتماشى مع متطلبات زبائنه. وهكذا صار لزاما على الخبير المحاسب التحقق من معطيات محاسبية ومالية تمت بتبادل المعطيات إلكترونيا. كما أن حجم المعطيات التي يعالجها يتزايد يوما بعد يوم ... والأدهى من ذلك أن معالجتها ينبغي أن تتم في وقت قياسي وإلا فقد زبائنه وشركاءه.

وفي هذا السياق يجتهد الخبراء في توحيد المعايير لتكون الملفات والمعطيات المتبادلة إلكترونيا خاضعة لمقاييس عالمية يسهل من خلالها تبادل الوثائق المحاسبية والجبائية والضريبية بين مختلف الأطراف. كما تسهل قراءة هذه الوثائق من أي مكان في العالم مع إمكانية تخزينها في الأرشيف. ذلك أن التخاطب بين الآلات في تبادل المعلومات يشبه التخاطب بين بني آدم: الإنسان والآلة كلاهما بحاجة إلى توحيد لغة التبادل

والتخاطب وإلا صارت المعطيات المتبادلة عسيرة التحويل والتسيير والمعالجة. وقد بذلت جهود معتبرة لابتكار برامج معلوماتية تسعى إلى تحقيق هذا الهدف.

إن انتشار المعلوماتية بهذه الكثافة سيؤدي تدريجيا إلى زوال التسيير الورقي زوالا شبه كلي للوثائق والأرشيفات. كيف لا والتسيير الإلكتروني يسمح بالحصول على كل الوثائق المطلوبة في لحظات سواء عبر الشبكة الداخلية أو عبر أقراص الليزر التي تخزّن فيها كل الوثائق. وهكذا لا يسع خبراء المحاسبة إلا أن يتعاملوا بهذه التكنولوجيات الجديدة مع مسؤولي المؤسسات. ومن ثمّ ينبغي على هؤلاء المحاسبين دعم تكوينهم وتجديد معلوماتهم باستمرار في هذا المجال (1،4).

وعلينا ألا ننسى النقطة السوداء في انتشار المعلوماتية داخل المؤسسات: لقد أشارت الإحصائيات إلى أن 73% من المؤسسات المنتشرة عبر العالم لاحظت خلال السنوات الأخيرة اختراقا لشبكاتها يبيّن ضعف احتياطات أمنها. وتوضّح هذه الإحصائيات أن 60 % من الاختراقات يقوم بها موظفون من داخل المؤسسات ذاتها. ومعظم المؤسسات المستهدفة هي تلك التي تطوّر مواقع للتجارة الإلكترونية من أجل بيع بضاعتها أو تسيير منتجاتها (1).

ومن جهة أخرى فإن نصف المؤسسات التي سئلت عما إذا كانت مداخيلها قد تضررت بعمليات القرصنة نتيجة ضعف أنظمتها الأمنية لم تستطع الإجابة لصعوبة القيام بهذا التقييم. ويقدر الخبراء بـ 20 % نسبة المؤسسات التي تمتلك أنظمة متطورة لمراقبة شبكاتها ضد القرصنة. وتجدر الملاحظة إلى أن العديد من المؤسسات لازالت في حيرة من أمرها حيث

اشترت تجهيزات أمنية لا تفي بحاجياتها، وهذا راجع إلى عدم الإلمام بمقتضيات مواجهة القرصنة. هل خبراء المحاسبة معنيون بهذه القضية؟ وهل من فائدتهم الإسهام في الحيلولة دون تورط مؤسسات زبائنهم في عمليات قرصنة سواء دبّرت من داخل المؤسسة أو من خارجها؟ نعتقد أن الجواب عن هذه التساؤلات واضح وأن دور المحاسبين في هذا المقام دور حاسم.

إننا نكون مخطئين إذا ما تصورنا أن القرصنة واختراق الأسرار بمختلف أنواعها (محاسبة، مالية، اقتصاد، صناعة، الخ.) من محدثات الإنترنت والشبكات الداخلية للمؤسسات. فالقرصنة بدأت منذ بدأت التعمية cryptography أي منذ عشرات القرون. غير أن الجديد الذي أظهرته الشبكات المعلوماتية في مجال القرصنة هو اتساع رقعتها باتساع تلك الشبكات وتميّز أساليبها وتقنياتها واختلاف مشارب القراصنة (خبراء، جواسيس، طلبة، مدارس، محتالون، مجرمون، موظفون، الخ.). ولذا وجب على فئة المحاسبين أخذ الجانب الأمني بعين الاعتبار والتعامل معه بحكمة ودراية حتى يتحقق لهم النجاح في مهمتهم ويفوزوا بثقة زبائنهم (2،3).

وخلاصة القول إنه لا مفرّ للمحاسبين من استغلال ما وفرته لهم وسائل الاتصال الحديثة. ولعل أفضل أداة تضعها المعلوماتية في متناول المحاسبة هي تبادل المعطيات والوثائق إلكترونيا. إنها أداة تخدم في آن واحد المحاسب وكافة شركائه خدمة لم يكن أحد يحلم بها قبل عشرين سنة.

المراجع

1. مواقع على الإنترنت :

http://www.premenos.com

http://www.cenclcbel.be

http://www.unicc.org

2. سعد الله أ. ب. : القرصنة على شبكة الإنترنت، مجلة آفاق الإنترنت الكويتية، عدد يناير 2000.

3. X. Lai. On the design and security of block ciphers, ETH Series in Information Processing 1, Hartung-Gorre Verlag Konstanz, 1992.

4. C.Meinel, Pirates sur Internet, Pour la Science, June 1999.

5. R. Rivest, Pour la libéralisation de la cryptographie, Pour la Science, June 1999.

6. U.S. National Bureau of Standards. Data Encryption Standard. Federal Information Processing Standard Publication 46, 1977.

7. U.S. Department of Commerce, National Institute of Standards and Technology. Secure Hash Standard. Federal Information Processing Standard Publication 180, 1993.

ملامح من إسهامات الصحافة الوطنية بالجزائر
في النهوض باللغة العربية

د.محمد بن سمينة
جامعة الجزائر

تحاول هذه الكلمة أن تتلمس طريقها في دروب الصحافة الوطنية، للوقوف عل بعض ما كان لها من إسهامات في النهوض باللغة العربية: إحياءا ونشرا، تمكينا ومنافحة، ويمكن أن يدور النقاش لإجلاء ذلك في هذه المحاور:

1. الصحافة الأجنبية في الجزائر ظهورها واتجاهاتها.
2. الصحافة الوطنية بداياتها وأنواعها.
3. الصحافة الإصلاحية واسهاماتها في النهوض بالعربية.
4. مستويات الأداء اللغوي في الخطاب الإعلامي الإصلاحي.
5. الصحافة الجزائرية بين الأمس واليوم.

6. الخلاصة.

الصحافة الأجنبية في الجزائر نشأتها واتجاهاتها:

نبادر بالقول أن الباحث في تاريخ الصحافة بالجزائر ينتهي به الدرس إلى أن بداية ظهورها، إنما يرجع إلى تلك الصحف التي أصدرها الفرنسيون بعد الاحتلال بقليل ،وتتوزع هذه الصحف الأجنبية إلى مجموعتين:

1. **المجموعة الأولى:** صحف استدمارية توجها ولسانا، ويعود ظهورها إلى العشرية الأولى بعد الغزو، وتأتي في مقدمتها صحيفة (الأخبار)، وقد أصدرتها الولاية العامة في (1837/07/12)، ثم ظهرت (المبشر) في (1847/07/15)، وتأتي هذه الصحيفة في المرتبة الثالثة من بين ما صدر من صحف في العالم العربي،بعد صحيفتي (التنبيه 1800) و(الوقائع المصرية 1828)، وكلتاهما مصريتان. وقد جاءت (المبشر) على شاكلة سابقتها (الأخبار) توجها وتحريرا، باستثناء ترجمة بعض النصوص منها إلى العربية، بلغة ركيكة وأسلوب هزيل.

ثم ظهرت (النصيح) باللسان العربي في (أكتوبر (1899)، وكانت على خطى سابقتيها إدارة وأغراضا، كما لم تكن أحسن حالا منهما في أدائها اللغوي.

وإن المتصفح لهذا النوع من الجرائد الاستدمارية يقف على ضعف أدائها وكثرة أخطائها وركاكة أسلوبها، وهي إلى جانب هذا الحال من التدني في أسلوبها، كانت مكرسة في توجهها الإعلامي لخدمة أغراض الاحتلال،

ويمكن للمرء أن يلمس ذلك من خلال بعض النصوص من جريدة (النصيح) التي تعكس بوضوح ذلك التوجه الإعلامي الاستدماري، و ذاك المستوى اللغوي الهابط بهذا النوع من الصحف، ويمكن أن يمثل لذلك بهذا النص من صحيفة (النصيح) "الواجب علينا انوصوا (كذا) المسلمين أحبابنا، فالمطلوب منكم لا تشتغلون (كذا) بالأمور التي خاطيتكم (كذا) ومهما صارت دعوة أو وقع فساد فإياكم والمخالطة مع فعالها (كذا) واتركوا أصحابها وابعدوا عنهم"[1].

وإن صحفا هذا حالها، احتفالا بالأخطاء اللغوية والنحوية، وتشبثا بأذيال العامية، وتجافيا للفصاحة والإعراب، ليس من المنطقي أن يوطن باحث نفسه بأن يعثر في مثلها على ما يراعي أبسط قواعد العربية وأوضح أساليبها، بله أن يجد فيها ما نحن بصدد البحث فيه من النهوض بالعربية وترقيتها.

2. **المجموعة الثانية**: جرائد استدمارية توجها وأغراضا، وجزائرية تحريرا ولسانا، ويمكن أن يؤرخ لها بمطلع القرن العشرين، وهي كصحف المجموعة الأولى من حيث إشراف سلطات الاحتلال على إدارتها، إلا أنها تختلف عنها من حيث تحريرها، فقد كان ينهض به فريق من الكتاب الجزائريين، ومن أهم جرائد هذه المجموعة إسهاما في النهوض بالعربية: هاتان الصحيفتان (المغرب 04/10 /1903) و(كوكب إفريقيا 1907/05/17)، وكان يشرف عليهما – ممثلا لسلطات الاحتلال– الفرنسي (بيار فونتانا P.FONTANA)، صاحب المطبعة الشهيرة. وكان يرأس تحرير هذه الأخيرة

---

1. د. محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية ص: 24.

الشيخ محمود كحول (1870/ 1936)، ويقول عنها عمر بن قدور: "أما كوكب إفريقيا فإنها لم تكن إلا جريدة شبيهة بالرسمية،عارية من كل صبغة وطنية"[1].

ومما يمكن تسجيله على هاتين الصحيفتين من حيث أسلوبها، أنهما استطاعتا أن تتحررا بعض التحرر في أدائهما اللغوي، من بعض ما كان يرسف فيه الإنشاء الصحفي سابقا من رطانة وركاكة وعامية. وإن الفضل في ذلك لا يعود إلى إرادة الاحتلال، ولا إلى إدارته، وإنما يرجع إلى أولئك النفر من الجزائريين الذين كانوا يشرفون على تحرير مادة تلكما الصحيفتين، من أمثال هؤلاء الشيوخ: عبد القادر المجاوي (1914/1848)، محمد مصطفى بن الخوجة (1917/1865)،عبد الحليم بن سماية (1933/1866)، المولود بن الموهوب (1939/1866)، محمد بن شنب (1929/1869).. وغيرهم.

وكان لما بذله هؤلاء الأعلام من جهد في المجالين الثقافي والفني بعض الأثر في نشر الوعي الاجتماعي من نحو، والإسهام من نحو ثان في ترقية لغة الخطاب الإعلامي في هذه المرحلة. ولعل ذلك هو الذي جعل الإمام محمد عبده (1905/1849) يقول أثناء زيارته إلى الجزائر 1903 عن صحيفة (المغرب)"... وهي على قبحها وسوء طبعها نافعة للجزائريين المحرومين من الصحف الوطنية العربية التي تعرفهم بعض أحوال العالم وشؤون الاجتماع، فنتمنى لها دوام القصد والرواج في تلك البلاد"[2].

الصحف الوطنية بداياتها وأنواعها

---

1. جريدة الصديق ع:52 (1932.03.06) نقلا عن المصدر السابق ص 32.
2. سعد الدين بن شنب: مجلة كلية الآداب جامعة الجزائر، ع:1 (1964).

نشير بدءا إلى أن ما يعنيه البحث بالصحف الوطنية هي تلك التي أنشأها الجزائريون لخدمة أغراض وطنية، ويعود ظهورها إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى بقليل، ويمكن أن تتوزع إلى أربع مجموعات هي:

1. **صحف الحركة الإصلاحية:** وهي كثيرة وقد قامت بجهد مميز في نشر العربية وترقيتها.

2. **صحف الطرق الصوفية:** من بينها: البلاغ (1926/12/24) والمعيار (1932/12/18). وقد ساهمت هذه الصحف بشيء في نشر العربية، بقدر ما بين يديها من إمكانات، وقد ساعدها على ذلك ما كان بين بعض هذه الصحف، و مجموعة الصحف الإصلاحية من حوار ونقاش.

3. **صحف الحركة السياسية:** وهي لسان حزب النجم، ثم حزب الشعب الجزائري، ومن أهمها جريدة (الأمة) الصادرة باللسان العربي في باريس 1930.

4. **صحف النخبة التغريبية:** وهي لسان حال بعض الاندماجيين والمتجنسين، ومن بينها: جريدة (التقدم) التي صدرت باللسانين في (1923/05/25)، ويشرف على إدارتها الطبيب ابن التهامي، وصحيفة (الوفاق)، وجريدة (صوت الأهالي).

ومما يمكن أن يستخلصه المرء مما تقدم عن هذه الصحف الوطنية، أن الإسهامات الفاعلة في عملية إحياء العربية ونشرها والذود عنها، إنما كانت قد نهضت بالقسط الأوفر منها صحف الحركة الإصلاحية، وبشيء من ذلك صحف الطرق الصوفية. وأما صحافة المجموعة الثالثة (الحركة السياسية الاستقلالية) فقد كان مفعولها في الموضوع المدروس ضئيلا، ليس

لأن خدمة العربية لم تكن من اهتماماتها، وإنما لأن هذه الصحف كانت قليلة من نحو، كما أنها لم تعمر إلا قليلا من نحو ثان، وكان العامل السياسي يغلب على غيره في اهتماماتها العامة من نحو ثالث.

وأما صحف المجموعة الرابعة (صحافة النخبة) فقد كان بعضها يتخذ من الفرنسية لسانا له، وما كان منها باللسان العربي فقد كان أداؤه ضعيفا هزيلا، بالإضافة إلى أن النهوض بالعربية لم يكن من الأمور التي توليها هذه الصحافة شيئا من عنايتها.

ويخلص البحث من هذا التحليل والنقاش إلى أن الصحف الوطنية التي كان لها الدور الفاعل في نشر العربية، إنما هي صحف الحركة الإصلاحية، فماذا عن ذلك ؟.

الصحافة الإصلاحية وإسهاماتها في النهوض بالعربية:

لعل من المنهجي أن يستهل البحث معالجته لإسهامات هذه الصحافة في الموضوع المدروس بشيء من الإلماع إلى مراحل تطورها ،ويمكن القول في هذا الصدد أن هذه الصحف قد مرت عبر تطورها بمراحل ثلاث هي:

1. **المرحلة الأولى:** ويؤرخ لها بما قبل الحرب العالمية الأولى بقليل، و من أهم صحفها: الجزائر(1908/10/27)، ثم ذو الفقار (1913/10/15)، وكلتا الجريدتين للصحافي الرائد عمر راسم (1959/1883) ثم الفاروق (1913/02/18)، للصحافي الرائد عمر بن قدور (1932/1886).

وقد وقفت هذه الصحف بكامل روحها الملية والقومية إلى جانب لسان الأمة (اللغة العربية)، وحرصت على النهوض بها، بالرغم من انعدام الحريات وضعف الإمكانات وكثرة الملاحقات.

2. المرحلة الثانية: وتعود إلى العشرينات من القرن الماضي، وقد شهدت هذه المرحلة الانطلاقة الفاعلة للصحافة الإصلاحية، ومن أهمها: النجاح (1919) لصاحبها عبد الحفيظ الهاشمي (1895 . ؟)، ثم تلتها: الإقدام (1920) للأمير خالد (1875 . 1936) وكانت هذه الصحف قد شهدت في أواسط العشرينات بعض الانتعاش في أعقاب دخول بعض أعلام الحركة الوطنية الحضارية الميدان الإعلامي، في محاولة منهم للنهوض بالحركة الفكرية والأدبية. وكان في مقدمة هؤلاء الإمام ابن باديس (1889-1940) الذي أصدر صحيفته الأولى: المنتقدم (1925/07/02) فكانت الفاتحة الميمونة والانطلاقة الرشيدة على درب النهضة الوطنية العامة إلا أن المحتلين لم يطمئنوا لظهور (المنتقد) ولم يرقهم منهجها الوطني الحضاري، فسارعوا إلى وأدها وهي صبية بنت بضعة أشهر. ولم تكتحل عيون الأمة بنورها، لأكثر من ثمانية عشر عددا فكانت هذه الثمانية عشر عددا " في بنيان النهضة ثمانية عشر سندا "[1] غير أن هذه السياسة الجائرة لم تثن عزم ابن باديس على مواصلة جهاده في هذا الميدان، فلم يلبث أن أصدر الشهاب (1925/09/12) فأحيا الله بها (المنتقد الشهيدة) وأطال الله في عمرها، فاستمرت في الظهور إلى سنة 1939. وكان الشيخ الطيب العقبي (1890- 1960) قد أصدر جريدته: (الإصلاح) (1927) فكان

1. الشهاب ج1 م5 (أفريل 1935).

لها دورها المميز في خدمة الحركة الفكرية، كما أصدر في السنة نفسها محمد السعيد الزاهري (1956/1999) جريدة (البرق) فكان لها الأثر البارز في موكب النهضة.

وقد شهدت هذه الفترة أيضا صدور مجموعة من جرائد الشيخ أبي اليقظان (1888- 1973) (وادي ميزاب، المغرب، النور و الأمة وغيرها...)، وكانت هذه الأخيرة من أطول صحفه عمرا وأعظمها عناية بالناحية الثقافية والأدبية، إذ عمرت من (1933 إلى 1938)، وحينما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائرية (05 ماي 1931) سارعت إلى اقتحام أسوار الميدان الإعلامي، فأصدرت تباعا في (عام 1933) ثلاث جرائد هي: (السنة، الشريعة، السراط). إلا أن الاحتلال كان من وراء هذه الصحف، فأوقفها الواحدة تلوى الأخرى، ولم يترك لأية منها أن تعمر أكثر من بضعة أشهر معدودة ،إلا أن الشيء لا يستغرب من معدنه، ففرنسا دولة (الحرية والأخوة والمساواة!) هكذا كانت ألفاظ شعار ثورتها التاريخية، الذي كان يتشدق به المتشدقون في المحافل هنا وهناك. أما مصداقية ذلك الشعار في واقع الحال فلا تسل، فقد كانت نارا يتلظى بجحيمها (المستضعفون) على مستوى (رفيع!)، وذلك أن فرنسا قد استعبدت (بالحرية!) رقاب الناس، واغتصبت ديارهم وأموالهم، وفرضت عليهم (بالأخوة!) سياسة التعصب والميز العنصري، وحكمتهم (بالمساواة) فظلمت وجارت وأجحفت، وكان من آثار هذا (العدل والإنصاف والأخوة والإنسانية!) أن أصبح الناس في الجزائر قسمين: سادة وهم المحتلون، ولهم الحظ الأوفر من خيرات (المستضعفين) ولهم السلطة المطلقة على كل شيء في أرض (المقهورين). وعبيد وهم

الأهـالي (الأنـديجينا) ولـيس لهـم ممـا تزخـر بـه بلادهـم مـن غـلال وثـروات وجمال، إلا الحظ الأوكس.

وقـد تـوهم المحتلـون أنهـم بهـذه السياسـة الجـائرة، وبمصـادرتهم تلـك الصـحف الـثلاث لجمعيـة العلمـاء قـد يسـتطيعون أن يوقفـوا جهـاد الشـعب الجزائري، ويسكتوا صوته، دفاعا عن أصالته وحقوقه. إلا أن أحداث الواقع زيفت أحلامهم وأوقفتهم علـى غير مـا كـانوا يتمنـون، فمـا كـادت شـمس تلـك الصـحف تختفـي مـن الأفـق حتـى أشـرق ضـياء الحـق فـي سـماء الجزائـر فـي اليـوم السـابع والعشـرين مـن شـهر ديسـمبر عـام 1935، بنـور المولـود الجديـد (البصائر)، فكانت الصحيفة الرابعة للجمعية، والثانية بعد الشهاب في قائمة كبرى الصحف الوطنية.

3. **المرحلـة الثالثـة:** تعـود إلـى مـا بعـد الحـرب العالميـة الثانيـة، وقـد شهدت الصحافة الإصلاحية أثناءها بعض الازدهار في إطار تطور حركة النهضـة الوطنيـة العامـة. فصـدرت (البصـائر) مـن جديـد فـي سلسـلتها الثانيـة (جوليـت 1947)، كمـا ظهـرت صـحيفة (المغـرب العربـي) للأديـب محمـد السعيد الزاهري(1947)، وجريدة المنار (1951) لمحمود بوزوزو.

وكـان الشـيخ الإبراهيمـي علـى رأس تحريـر البصـائر، وإلـى جانبـه كوكبـة مـن الكتـاب يشـدون عضـده، وكـان هـؤلاء يعنـون فـي كتابـاتهم بصـحة اللفـظ وفصـاحته وقـوة أدائـه ،إلـى جانـب شـيء مـن التصـوير، وشـيء مـن الإيقـاع ،وشـيء مـن الجمـال يسـتعينون بـذلك علـى نقـل خطـابهم الإعلامـي إلـى المتلقين نقلا مؤثرا و ممتعا، وكان من ذلك ما ميز الإنشاء الصحفي في هذه المرحلة بخاصية (المزاوجة ما بين القيم التبليغية و القيم الجمالية).

ونخلص من هذا النقاش عن مراحل تطور الصحف الإصلاحية إلى القول بأن هذه الصحف قد كان لها بجميع أنواعها و في جميع مراحلها، الأثر الفاعل في نشر العربية وترقيتها، فسمت بذلك بالخطاب الإعلامي من حيث موضوعه، فاقترب ذلك من اهتمامات الأمة فكرا وثقافة واجتماعا، كما حررت صورة هذا الخطاب مما كان يرسف فيه في الصحف السابقة من عامية ورطانة وإسفاف، وقد تجلى هذا الجهد في الميدانين النظري والعملي، فماذا عن ذلك ؟

إسهامات الصحافة الإصلاحية في الحقل النظري:

يمكن القول أن إسهامات الصحف الإصلاحية في هذا الحقل تتمركز في هذه المحاور:

1. **التأكيد على إبراز مكانة العربية في حياة الأمة** بوصفها اللسان المعبر عن عقيدتها ،والمقوم المميز لشخصيتها، والوعاء المؤتمن على حضارتها، ويؤكد هذه الحقيقة أكثر من واحد من أعلام الأمة، يأتي في مقدمتهم الأمير خالد الذي يقول في هذا الشأن " إن حياة الأمة بحياة لغتها "[1].

وتأخذ العربية هذه المكانة عند الجزائريين، لأنها الآصرة الصلبة والعروة الوثقى التي توحد ما بين أفراد الأمة، وتعبر عن إرادتهم وتشد أواصر الصلة بينهم، ماضيا وحاضرا ومستقبلا، يقول ابن باديس في هذا الشأن" ولا رابطة تربط ماضينا المجيد بحاضرنا الأغر والمستقبل السعيد، إلا

1. الصديق ع: 7 (1920.10.12) نقلا عن د/ محمد ناصر: المقالة الصحفية الجزائرية 2: 45.

هذا الحبل المتين: اللغة العربية، لغة الدين، لغة الجنس، لغة القومية، لغة الوطنية المغروسة"[1].

2. **الدعوة إلى الإقبال على تعلم العربية والعمل على نشرها وترقيتها:** لقد عنيت الصحافة الإصلاحية أيما عناية بعملية إحياء العربية ونشرها والحث على تعلمها وتعليمها، ومن بين ما سجلته هذه الصحافة في هذا الموضوع، هذا النص المعبر للشيخ المولود ابن الموهوب الذي نشره في جريدة (الصديق) يخاطب فيه الأمة، موضحا لها فاعلية الصلة بين تعلم العربية وتعليمها، وبين الوحدة الوطنية من نحو، وما بين الزهد في تعلمها، وبين ما ينجم عن ذلك من مخاطر على هذه الوحدة من نحو ثان " أنتم تعلمون أن الداعي إلى الوحدة الوطنية منا يسعى في تعليم لغتنا وتعميم نشرها، حتى تكون هذه اللغة الجارية في خطاباتنا وتحريراتنا على وجه الصحة، لا نعدل إلى التفاهم بغيرها إلا عند الحاجة.. أنتم تعلمون متى أهملت أمة لغتها وزهدت في تعلمها انفصمت عرى جامعتها . لا محالة . وتفرقت أيدي سبأ" [2]

وقد ظل ابن باديس طوال حياته يعلم الجيل العربية، ويحثه على الإقبال على تعلمها والالتزام بالتحدث بها في الخطاب اليومي، وينكر على من يستبدل العامية بها في ذلك وفي غيره [3]، كما كان قد توجه في إطار الغيرة على لسان الأمة ومحاولة النهوض به، ببعض انتقاداته إلى من ظلوا يسلكون في مناهج تدريس العربية للجيل تلك الطرق العويصة والأساليب

1. البصائر ع: 71 (1939.06.22).
2. الصديق ع:16 (1921.01.10) نقلا عن د/ ناصر المقالة الصحفية الجزائرية 2: 46.
3. مجلة "لمحات" ع: 2 (1968) الجزائر.

العقيمة، مما كان من بين أكبر العوامل التي كرست جمودها وأعاقت على تطورها[1].

ويقف الشيخ أبو اليقظان عند تلكم الظاهرة الموروثة عن فترة الاحتلال الأجنبي، والتي ما تزال بلادنا تعاني من أدوائها في عدة ميادين من حياتنا التربوية واللغوية والإدارية، تلكم هي علة الازدواجية اللغوية التي استفحل أمرها في أوساطنا حتى كادت أن تصبح سلوكا من السلوكات الواجب الالتزام بها في جميع مظاهر حياتنا، من أشدها تفاهة إلى أعظمها قداسة، إن الشيخ أبا اليقظان يصور بكل مرارة ذلك التدني الذي انحدر إليه الآداء في الخطاب اليومي في مجتمعنا، وقد انتهى به ذلك الهبوط إلى رطانة عجيبة وخليط غريب "لا هو عربي ولا بربري ولا فرنسي، وإنما هو مزيج من اللغة العربية والبربرية و الفرنسية، والعربية منه أقل الثلاثة، مع ما هي عليه من التكسر والاختزال، والأغرب من هذا، أنه كثير ما يقع إشكال المتخاطبين بالعربية، وإذا التجئوا إلى الفرنسية تفاهموا وزال الإشكال، والكل عرب مسلمون"[2].

3. **إن جهود أعلام الصحافة الإصلاحية** في حقل النهوض بالعربية لم تقتصر . رغم العوائق الكثيرة والإمكانات القليلة . على ما رأينا من إصرار على الاعتزاز بها، و حرص على نشرها وترقيتها، وإنما أبلى أولئك الأعلام . إلى جانب ذلك . البلاء الحسن في المنافحة عن العربية، والتأكيد على حق الأمة في تعلمها وتعليمها، والتصدي لما كان يستهدفها من جور السلطة

1. الشهاب ج8 م5 (1929.09.09) نقلا عن المصدر السابق 2: 52.
2. جريدة "وادي ميزاب" ع:55 (1927.11.03) نقلا عن المصدر السابق 2: 50.

وتعسف القوانين، والاضطهاد البوليسي للقائمين على تعليمها ونشرها، وملاحقتهم بالتغريم والسجن، ومصادرة صحفهم وإغلاق مدارسهم، من ذلك منشور (ميشال) أمين عام عمالة الجزائر سنة 1933. وقانون 08 مارس 1938 الذي أصدره وزير الداخلية الفرنسية (شوطان) القاضي باعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر.

لقد واجه أولئك الكتاب المجاهدون بحكمة وصرامة هذه السياسة الظالمة ضد العربية، كما حرصوا في الوقت ذاته على الرفع من مستوى وعي الأمة بالمخاطر التي تهدد شخصيتها ووحدتها من جراء تلكم المظالم التي بلغت أو تكاد منتهاها، بأن جعلت العربية كما يقول ابن باديس "اللغة المهملة بين أبنائها، المحرومة من ميزانية بلدها، المطاردة في عقر دارها، المغلقة مدارسها، المحارب القائمون على نشرها من أبنائها"[1]

ويقول الشاعر محمد العيد في هذا المضمار:

ونقصى عن الفصحى ونلهى بغيرها***وليس سوى الفصحى لسان لنا رسمي

وما نحن إلا من سلالة يعرب***من رام عنها فصلنا باء بالرغم[2]

ونخلص بهذا القدر من بيان ما كان من دور الصحافة الإصلاحية (نظريا) في نشر العربية وترقيتها، إلى الوقوف عند بعض ما كان لهذه الصحف من ذلك (عمليا). فكيف كان ذلك ؟

إسهامات الصحافة الإصلاحية في الحقل العملي

---

1. البصائر ع: 136 (1938.10.21).
2. ديوانه ص: 205 الجزائر (1967)

لقد كان لأعلام الصحافة جهد ملموس في الحقل العملي نهوضا بالعربية، ألفاظا وتراكيب، صيغا وأساليب، ويمكن الوقوف على شيء من ذلك من خلال الرجوع إلى أعمال هؤلاء الكتاب، ومعاينة ما تتميز به آثارهم من حرص على صحة اللغة وسلامتها وبلاغتها وفصاحتها، والالتزام بقواعدها وعدم التساهل فيها، والعمل على تيسير أساليب الخطاب بها وتحريرها مما كانت تتعثر فيه من قيود الصنعة والتكلف، وترسف فيه من مظاهر الابتذال و الإسفاف، والسمو بها إلى مراقي الفن والجمال، وقد وفر هؤلاء الكتاب بذلك للخطاب الإعلامي ما سمح له بمسايرة مستجدات العصر والتعبير عن متطلباته، مما مكنه من تحقيق المواءمة ما بين طبيعة الموضوعات المعالجة والأهداف المتوخاة، وما بين الصورة اللفظية المعبرة عنها.

وإنه من الواضح في تطبيقات النقد في الأدب العربي أن القيم التعبيرية والسمات الأسلوبية للخطاب، إنما تتشكل طوابعها استجابة لتلك القاعدة البلاغية التي أقرها النقاد العرب القدامى في تقييم فنية الخطاب، وحرص الأدباء على الوفاء بها، ومؤداها أن بلاغة الخطاب إنما تتمثل في (مطابقة الكلام لمقتضى الحال)[1]. ولكي تتحقق هذه المقولة في النص ينبغي أن تتوفر في بنائه جملة من العناصر من أهمها: (مراعاة حقائق الموضوع المعالج-حال صاحب النص-حال المتلقي- الغاية المتوخاة).

ونلحظ أن صاحب الخطاب الإعلامي، إنما يعالج في الغالب قضايا موضوعية تتصل بمختلف مظاهر حياة الإنسان فردا ومجتمعا، ويتوجه بخطابه إلى العامة والخاصة بغرض الإفهام والإقناع والتوعية والإعلام، مما يدفعه إلى

1. ابن خلدون: المقدمة تحقيق د/علي عبد الواحد وافي. ط2 القاهرة 1965.

الحرص على انتقاء لغته وتطويعها، وتبسيط أسلوبه والابتعاد به عن الإغراب والتأنق – وهذه بعض خصائص الأسلوب الصحفي– [1]، حتى يستطيع بذلك أن يمهد الطريق أمام رسالته لتأخذ مسارها في يسر ومباشرة وسهولة، ومن دون عوائق ومنعرجات، إلى قلب المتلقي وعقله، فيساعده ذلك على فهم تلك الرسالة والانفعال بها.

وقد أخذ الخطاب الإعلامي في الصحف الإصلاحية، في ضوء هذا المنهج خصائصه من خلال ما تفتقت عنه قرائح محرري هذه الصحف، ومما دبجته أقلامهم من كتابات، حرص فيها هؤلاء على انتقاء معجمهم اللغوي من الصحيح المتداول من لغة العصر، ومن الجزل الفصيح من لغة التراث،

فجمعوا بذلك في كثير من أساليب أعمالهم ما بين الأصالة و المعاصرة، وإن الشواهد على هذه النقلة الملحوظة في أداء الخطاب الإعلامي في الصحف الإصلاحية كثيرة، إلا أن صدر المقام لا يتسع إلى استعراض النصوص الدالة على ذلك ومناقشتها، ويمكن لمن أراد أن يضع يده على ذلك أن يرجع إلى الصحف الإصلاحية، فإنه واجد بها ضالته في كثير من كتابات معظم أعلام هذه الصحافة، من أمثال: عبد الحميد بن باديس، والطيب العقبي، ومحمد البشير الإبراهيمي، ومحمد مبارك الميلي، وأحمد توفيق المدني، وأبي اليقظان، و حمزة بوكوشة، وعبد الحفيظ الهاشمي، ومحمد السعيد الزاهري، ومحمد الهادي السنوسي... وغيرهم.

1. د/ عبد اللطيف حمزة: أدب المقالة الصحفية بمصر ط 3 القاهرة 1964.

وإن المتأمل في جهود هؤلاء وأضرابهم في عملية تطوير التحرير الصحفي والسمو به يمكن أن يتبين ذلك في جملة من السمات المميزة من أهمها:

1. **العناية بالعنصر المنطقي** في بنية الخطاب الإعلامي، وفي منهجية عرض أفكاره، وفي طرائق معالجتها، لقد كان الصحفي يعمد في الغالب في بناء عمله إلى تنسيق معانيه وترتيبها وحسن تبويبها، كما يحرص على صياغتها في أسلوب سهل مباشر يساعد على نقلها إلى أهدافها في يسر و وضوح.

2. **الحرص على ظاهرة التكامل الوظيفي** ما بين اللفظ والمعنى في نظم الخطاب، وإن الكتاب كانوا ينهضون بذلك عمليا، كما كانوا ينصون على ذلك أيضا نظريا، فها هو الإمام ابن باديس يؤكد ذلك بقوله بأن الكلام " لا يكون كريما شريفا إلا إذا كان عنوانا صادقا حسن مظهره ومخبره، وعذب جناه وطاب مغرسه، وما ثماره وما غرسه، إلا القلب الذي صدر منه"[1].

ويبدو أن ابن باديس بذهابه في هذه القضية هذا المذهب، يقترب في الموضوع من رأي عبد القاهر الجرجاني صاحب (نظرية النظم) الذي يرى أن قيمة الخطاب، إنما تكمن في المعنى الممتاز، و المشاعر الصادقة، و العبارة الجيدة، وعليه فإن الصورة فرع في النص وليست أصلا. إن البلاغة في الأسلوب تنتهي إلى نظم الكلام وفق حاجة المعنى[2]. ويبتعد ابن باديس في هذا الباب من نحو آخر، عما ذهب إليه الجاحظ الذي يقدم اللفظ عن المعنى في عملية تقييم الخطاب، فيرى أن " المعاني مطروحة في الطريق

---

1. الشهاب ج4 م6 (ماي 1930)

2. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ص: 69 تح محمود محمد شاكر ط3 القاهرة 1992.

يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وصحة الطبع وكثرة الماء وجودة السبك"[1].

3. **غلبة الميول الجدية** في التعامل مع معظم ما يعالجه كتاب الصحف الإصلاحية من قضايا، وما يتناولونه من موضوعات، وإن هذه هي القاعدة العامة عند هؤلاء الكتاب، أما الاستثناء فهو المزاوجة أحيانا ما بين هذا الأسلوب الجدي الحازم، وبين شيء من أسلوب ا لسخرية والتهكم في بعض المواقف ومع بعض الشخصيات، كما يفعل ذلك بعضهم من أمثال (أحمد رضا حوحو، وحمزة بوكوشة، والسعيد الزاهري، والشيخ الإبراهيمي)[2].

4. **الميل إلى الإيجاز والقصد** ويبدو ذلك خاصة في التعبير عن الخطاب الإعلامي بأسلوب موجز مركز، يعمد فيه الكاتب إلى نقل معانيه إلى المتلقي بطريقة سريعة مباشرة في غير ما حاجة إلى تفصيل وإسهاب.

5. **يغلب على أسلوب الإنشاء الصحفي** في الجرائد الإصلاحية معجم لغوي، متداولة ألفاظه وتراكيبه في أوساط جمهور المتلقين ذوي المستوى التعليمي العادي، ويمكن أن يستثنى من ذلك بعض نصوص البصائر (السلسلة الثانية)، وبخاصة ما كان منها متصلا بكتابات الشيخ الإبراهيمي الذي كان يميل في بعض أعماله إلى شيء من الإغراب في معجمه اللغوي، باغترافه فيه من النموذج اللغوي التراثي.

---

1. الجاحظ، الحيوان 3: 331 دار الكتاب لبنان 1969.
2. الإبراهيمي، عيون البصائر، ص: 613–639 ط2 (ش.و) الجزائر (د.ت).

6. **الزهد في الإكثار من الخيال والأسجاع والزخارف**، والميل إلى المباشرة والترسل والقرب، وما يضارع هذه الخصائص من سمات الأسلوب الصحفي، وهي بعض ما ميز أسلوب النثر العربي الحديث " فقد نشأ في النثر أسلوب عصري بسيط لا يرى أصحابه حاجة إلى تنميق العبارة والتأنق في التركيب، وإنما يجعلون همهم إيضاح المعنى وإيصاله إلى ذهن القارئ بسهولة"[1].

مستويات الأداء اللغوي في الخطاب الإعلامي الإصلاحي

إن من يتأمل ما حاولت الصحافة الإصلاحية أن تسهم به في عملية نشر اللغة العربية وترقية أسلوب الأداء بها في الخطاب الإعلامي، وينعم النظر فيما ركزت عليه هذه الصحافة من خصائص أسلوبية، ثم يقوم يجمع المتشابه منها في وحدات، إن الذي يقوم بذلك يمكنه أن يخلص من ذلك، إلى أن الخطاب الإعلامي في الصحف الإصلاحية، إنما يتوزع من حيث صنعته إلى ثلاثة مستويات فنية هي:

1. **المستوى الأول:** وتمثله صحف مطلع القرن العشرين، سواء منها تلك التي كان يقوم على تحريرها بعض شيوخ تلك المرحلة (جماعة المجاوي)، أو تلك التي أسسها وأشرف على تحريرها رائدا الصحافة الوطنية: عمر راسم وعمر بن قدور. وقد تميز الأداء الإعلامي في هذا المستوى بمحاولة هذه الصحف الإسهام بالقدر الذي سمحت لها به إمكاناتها يومئذ، في النهوض بالإنشاء الصحفي والسمو به على بعض ما كان قد انحدر إليه في الصحف السابقة من إسفاف وركاكة وعامية.

---

1. جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية 4: 607 دار مكتبة الحياة بيروت (د.ت).

2. **المستوى الثاني:** ويعود إلى مرحلة النهضة (ما بعد الحرب العالمية الأولى) وكانت الحركة الإصلاحية(الوطنية الحضارية) قد شهدت انطلاقتها الفاعلة في هذه الفترة، وكانت عملية إحياء العربية ونشرها والمنافحة عنها، من بين أهم مرتكزات مشروعها الحضاري يومئذ، ومن ثم انطلقت هذه الحركة في هذه العملية من تحليل عميق لما يتطلبه الواقع من عوامل من أهمها: -الوضع الثقافي واللغوي المتأزم من جراء سياسة الاحتلال- ضرورة التفتح على قضايا العصر- العمل على الالتزام بعملية الرجوع إلى التراث، وتطوير عنصر الإفادة من عطاءات النهضة القومية الفكرية واللغوية.

وقد اقتضى منهج العمل الإعلامي في هذه المرحلة وفي ضوء هذه المؤثرات، التركيز في عملية النهوض ببنية الخطاب، على انتقاء اللغة من حيث صحتها وفصاحتها وسهولتها، وقدرتها على التبليغ المباشر السريع، دون ما ميل إلى التأنق اللفظي والزخرف البديعي، وكان من ذلك ما ميز الأداء اللغوي في هذا المستوى بخاصية التركيز على (القيمة التبليغية) أكثر من العناية (بالقيمة الجمالية)، كما يظهر ذلك في الخطاب الإعلامي لدى معظم أعلام النهضة ما بين الحربين.

3. **المستوى الثالث:** ويمكن أن يؤرخ له بالأربعينات، وكانت حركة النهضة في هذه الفترة قد ازدادت عنايتها – بعد الذي حققته من نجاحات في المجالين الاجتماعي والوطني – بالناحية اللغوية والأدبية، وذلك بمضاعفة الجهد في الارتقاء بلغة الإنشاء الصحافي، على ألا يقتصر ذلك على صحة اللغة وفصاحتها فحسب، كما تميز به الأداء اللغوي في المستوى السابق، وإنما على أساس أن تتسم صورة الخطاب- إلى جانب

ذلك – بشيء من جمالية النص البلاغي التراثي، وذلك من خلال انتقاء اللغة وإحكام النظم وتلوين الصورة و تنويع النغم و تجميل الديباجة، كما يبدو ذلك في الخطاب الإعلامي لأدباء هذا المستوى من أمثال (الزاهري وبوكوشة وابن ذياب)، وبخاصة ما كان من ذلك متصلا بما دبجه قلم الإبراهيمي من عيون في صحيفة (البصائر) السلسلة الثانية، فأحيا بذلك شباب العربية وألبس أسلوبها حللا من القوة والإحكام والبلاغة والبيان، وحررها من السجع المرذول والصنعة المتكلفة، فأكمل بذلك ما كانت تفتقر إلى بعضه لغة الإعلام في الصحف الجزائرية يومئذ من أدبية وجمال، فجمع الأداء الإعلامي بذلك ما بين الاستعمال اللغوي الصحيح الفصيح، وبين الأسلوب الرائق الجميل، مما ميز الأسلوب الصحفي في هذا المستوى بطابع (المزاوجة ما بين القيم التبليغية والقيم الجمالية).

ولعل من بين ما كان يهدف إليه الإبراهيمي من خلال اغترافه سمات أسلوبه من النموذج البلاغي التراثي، إبراز وجه الجزائر العربي، مفندا بذلك دعاوى المحتلين. ويعلل المرحوم الأستاذ الدكتور جنيدي خليفة ذلك برغبة الإبراهيمي ومن ورائه فريق تحرير (البصائر) في التأثير على المتلقّين بنقلهم إلى الجو التراثي المشحون بقيمهم الدينية وأصولهم اللغوية والثقافية، تنمية للشعور في نفوس مواطنيه بالانتماء المتميز عمن يحكمونهم، وتعميق الاعتزاز بهذا الإحساس في صدورهم[1].

ومما يخلص إليه البحث بعد، أن الصحافة الإصلاحية كانت مدرسة وطنية فكرية، أدبية ولغوية، فقد تخرج من فيض عطائها وعظيم نداها جيل

1. المجاهد الأسبوعي (1968.05.26) الوظيفة الاجتماعية لأسلوب الشيخ الابراهيمي.

من الإعلاميين والأدباء والمفكرين، لقد اجتهد هؤلاء جميعا وجاهدوا على غرس فضيلة حب الانتماء في نفوس النشء، إلى هذه الأمة، وإلى كل ما يتصل بها من قيم ومقومات، وكانت العربية من بين أهم ذلك، فأقبل الجيل على تعلمها وتعليمها والاعتزاز بها والغيرة عليها، واتخاذها أداة طيعة للتعبير عما يعتمل في صدورهم من مشاعر وأفكار، وعما تختلج به نفوسهم من آلام وآمال.

وكان من ذلك ما أثار إعجاب بعض المفكرين والأدباء في بعض البلاد الشقيقة، بجهود أعلام هذه النهضة الصحافية، وشد أنظارهم إليها، فأشادوا بما وصل إليه الأداء الإعلامي في جانبه الفكري في هذه الصحافة من نضج وسداد، وما بلغ إليه في جانبه الفني من رقي وجمال[1]، مما جعل هذه الصحافة– بالقوة وبالفعل– مدرسة جهاد ،وقلعة بناء ،ومبعث أ مل على طريق الغد الأغر.

وإذا كان هذا بعض ما كان من مكانة العربية في حياة الجزائريين كما تصوره الصحافة الإصلاحية يومئذ، فماذا عن تلك المكانة في حياتهم، وفي صحفهم في الوقت الحاضر؟

الصحف الجزائرية بين الأمس واليوم:

لقد استمرت الصحافة الوطنية في أعقاب الاستقلال تواصل جهادها على طريق عملية التمكين للغة العربية والنهوض بها، فظهرت مجموعة من الصحف اليومية باللسان العربي من بينها: جريدة **(الشعب)** ثم شمل التعريب

---

1. من بين من أشاد من هؤلاء الأشقاء بالصحافة الإصلاحية في الجزائر وأعلامها: الأستاذان الأمير شكيب أرسلان والدكتور زكي مبارك ينظر الشهاب ج2 م11 (ماي 1935)

جريدة (**لاديباش القسنطينية**) فأصبحت جريدة (**النصر**)، كما تعربت أيضا جريدة (**الجزائر الجمهورية**) الوهرانية.

وكانت قد ظهرت إلى جانب تلك الصحف اليومية مجموعة من اليوميات و المجلات الشهرية باللسان العربي يأتي في مقدمتها: (مجلة الجيش) و (المجاهد الثقافي) التابعةلجبهة التحرير الوطني، كما أصدرت وزارة الشؤون الدينية هذه الصحف (المعرفة، القبس، الأصالة، العصر، الرسالة). وأصدرت وزارة الثقافة: (الثقافة وآمال). كما ظهر في السنوات الأخيرة مجموعة من الدوريات الأكاديمية التي تصدرها بعض الكليات في الجامعات الجزائرية. وقد تضافرت كل هذه النشريات على خدمة العربية وترقيتها. أما الصحف الناطقة باللغة الأجنبية في هذه الفترة فكانت قليلة، لعل من أهمها (جريدة المجاهد اليومية وأسبوعيتين أو ثلاث).

ثم دخلت البلاد في عهد التعددية السياسية فظهرت مجموعة من الصحف المستقلة بالعربية وبالفرنسية.

أما الصحف العربية فقد حاولت أن تواصل المسيرة على طريق النهوض باللغة العربية والتمكين لها في حدود قدراتها المتاحة. أما الصحف الناطقة بالفرنسية فلم تقتصر على هجر العربية فحسب، وإنما حاول بعضها أن يقف منها موقفا سلبيا غير مشرف.

وتحسن الإشارة إلى أن ظاهرة وجود صحف ناطقة باللغة الأجنبية لا تنفرد بها الجزائر من بين شقيقاتها العربيات، وإنما هي ظاهرة عامة لا يكاد تخلو منها بلد عربي، إلا أن الفرق بين هذه الصحف التغريبية في الجزائر و في غيرها من البلاد الشقيقة يمكن تلخيصه في جانبين اثنين:

1. **الجانب الأول:** يتمثل في كون هذه الصحف الناطقة باللغة الأجنبية محدودة العدد في البلاد العربية. أما في الجزائر فإن عددها قد يقارب العشرين، وهي بذلك أكثر عددا وأوفر حظا من الناطقة بلسان الأمة!

2. **أما الجانب الثاني:** فيتمثل في هذه الظاهرة الغريبة، وهي أن هذه الصحف التغريبية في البلاد العربية تخاطب الناطقين بغير العربية، أما في الجزائر فإن أصحابها يتوجهون بها إلى مخاطبة الشعب الجزائري، وهذا هو وجه المفارقة بين هذا النوع من الصحف هنا وهناك.

وقد كان الخطاب الإعلامي بغير العربية في الجزائر موجودا ومقبولا في فترة الاحتلال، وذلك لأن الضرورة تفرضه لاستخدامه في النضال من أجل القضية الوطنية، فكان حال الإعلاميين الجزائريين آنذاك شبيها بحال الأدباء الجزائريين الذين كانوا يكتبون يومئذ بالفرنسية، دفاعا عن الحقوق الوطنية. كما كانت جماعة النواب تصدر بعض جرائدها باللسانين حينا وبالفرنسية وحدها طورا آخر، كما يظهر ذلك في جرائدهم: (الوفاق ،صوت الأهالي، التقدم وغيرها...).

وقد خطا الإعلام الوطني آنذاك خطوة أكثر جرأة في هذا المضمار، فأصدر بعض أعلام الحركة الوطنية بعض صحفهم باللسانين، كما يتجلى ذلك في هذه الجرائد: (الإقدام) للأمير خالد، و(الدفاع) للأديب الشهيد محمد الأمين العمودي، و في سنة 1952 أصدرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين صحيفة (الشباب المسلم) باللسان الفرنسي .

وقد كان ذلك يومئذ أسلوبا من أساليب الكفاح الوطني، أما اليوم فإن استمرارية مخاطبة الشعب الجزائري العربي المسلم بغير لغته وعلى نطاق

واسع كما رأينا، فإن ذلك يمكن أن يعتبر مظهرا من مظاهر الاختلال و الاعتلال في مسيرة الشعب الجزائري ،نحو بناء شخصيته المتميزة والمحافظة على أصالته وهويته.

ويمكن القول أن ما تقوم به هذه الصحف المتغربة اليوم يضارع ما يقوم به حاضرا من يكتب من الجزائريين بعض أعماله بغير لغة قومه (اللغة الفرنسية)، والحال أن معظم هؤلاء الإعلاميين وأولئك الكتاب من خريجي مدرسة الجزائر المستقلة التي بلغت من العمر أربعين سنة ،ألا تكفي هذه المدة لتمكين اللغة العربية من سيادتها في عقر دارها ؟ وهل ما تزال عملية تعريب الفكر واللسان في الجزائر المجاهدة تحتاج إلى وقت أكثر من هذا الوقت الذي مضى في ربيع الحرية؟

وبعد، فإن الوقوف عند هذه الظاهرة، ظاهرة الاستمرار في التعبير عن وجدان الأمة وعن عقلها بغير لغتها لا يعني بحال، الدعوة إلى التزهيد في تعلم اللغات الأجنبية، أو التقليل من أهميتها في عملية الإفادة من عطاءات الثقافة الأجنبية وابتكارات التجربة الإنسانية، وإنما كان الإلماع إلى ذلك بدافع التذكير بوجوب أولوية العناية بلغة الأمة، وضرورة تنزيلها المنزلة الأولى في جميع مجالات حياتنا التربوية والإعلامية والإدارية والأدبية والثقافية وغيرها. ويمكن أن يتأكد من هذه المقاصد من يتذكر من أن الدعوة إلى الإقبال على اللغات الأجنبية تعد من بين ما تحفز العزائم على طلبه تعاليم ديننا وتقوم على أسسه منظومة حضارتنا.

وبهذا التبصر وذلكم الوعي كان موقف أعلام الحركة الوطنية من اللغة الأجنبية، من الأمير خالد إلى الإمام ابن باديس، ومن جاء من بعدهما على

طريقهما، إذ لم يكونوا من المتعصبين ضد لغة الآخر، كما لم يكونوا أيضا من دعاة الانغلاق والانكفاء على الذات، وإنما كان وعيهم عميقا بأهمية اللسان وفاعليته في عملية التواصل الحضاري بين الأمم، ومحاولة الإفادة من مختلف عطاءات الخبرة الإنسانية. كما لم يكن من المنطقي أن تغيب هذه الحقيقة على ذهن من عاصر معركة الصراع الفكري، وكان له إلمام بملابسات انتقال الحضارة من أمة إلى أخرى. وكان لذلك من البديهي أن يشجع أولئك الأعلام على تعلم اللغات الأجنبية، وهم إذ يدعون إلى ذلك، إنما كانوا يعتقدون أن تعلم اللغات مما يحض عليه الدين، و قد استوعب السلف هذا الدرس فأخذوا به في أبحاثهم العلمية، فشيدوا على أركانه صرح حضارة رائدة يقول ابن باديس في هذا الصدد:" كنا نؤمن بأن اللغات الأجنبية كلها محترمة، وأنها من آيات الله من قول ربنا (ومن آياته اختلاف ألسنتكم)"[1].

وقد جسد ابن باديس هذا الإيمان سلوكيا في الواقع العملي، من خلال ما يشرف عليه من مؤسسات تربوية و اجتماعية، فقد نص القانون الداخلي لجمعية التربية و التعليم التي كان يرأسها الإمام على تعليم تلامذتها اللسان الفرنسي كلغة ثانوية إلى جانب اللغة العربية[2]، كما سرى العمل بذلك من بعد، في مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مختلف أرجاء الوطن .

1. البصائر ع: 115 (1938.05.27) الآية: 22 من سورة الروم
2. البصائر ع: 171 (1939.06.22)

ونـذكر أن هـؤلاء الأعـلام وهـم يحـاولون أن يحثـوا الجيـل فـي فتـرة الاحتلال على الإفادة من اللغة الأجنبية، فقد كانوا في الوقت ذاته يحرصون أشد الحرص على أن ينزلوا اللغة العربية المنزلة اللائقة بها في قلوبهم وفي عقولهم، وفي جميع مظاهر حياتهم...

الخلاصـة: وينتهي البحث في خاتمته إلى القول أن معظم الصحف الوطنية كان لها دورها الفاعل في النهضة الوطنية العامة، وفي احتضان الحركة الثقافية واللغوية وتطويرها بوجه خاص، مما جعل هذه الصحف (بحق) المصدر الرئيسي الذي لا يمكن أن يستغني عن الرجوع إليه كل من يتصدى للتأريخ والبحث في أوضاع الجزائر في العصر الحديث: اجتماعا وسياسة وثقافة وأدبا ولغة. وبالرغم من هذه الأهمية لهذه الصحف فإن الخزائن العامة في الجزائر تكاد تخلو من هذه الدوريات، وإذا ما عثر الباحث في هذه الدور على شيء من ذلك، فإنه واجد القليل منه في مجلدات، وأما كثيره فهو على شكل أشرطة مصورة (ميكرو فيلم)، ومن ثم فإن جل ما يرجع إليه الباحثون ويقيمون عليه دراستهم في هذا المجال يعود إلى بعض المكتبات الخاصة. أما مجموع هذه الدوريات فهو من وراء البحر. وإنه لمما يحز في النفس أن تظل تلك الكنوز من تراث الأمة مدفونة في دهاليز بعض المكتبات الأجنبية، غريبة عن منابتها الأصلية، وكأنما أريد لها بذلك أن تعيش عناء هذه الغربة مرتين، تعيشها بالأمس حين كانت تلاحق بالقوانين الجائرة وهي في طريقها إلى الأمة، فتزعم على التوقف والمصادرة، وتجبر على السكون والسكوت، وتعيشها اليوم وهي سجينة في منفاها هنالك وراء البحر، تتلظى بنار الشوق والحنين إلى استنشاق نسمات

الربوع التي ولدت فيها، وعرفت طريقها إلى نور الحياة فوق جنبات ثراها، وامتطت صهوة الجهاد والمغالبة من أجل استرداد حريتها وفك أسرها.

فمتى تتحرك الضمائر الحرة و الإرادات المخلصة إلى إطلاق سراح هذه الذخائر الحبيسة، وإخلاء السبيل أمام عودتها إلى أهلها وذويها ؟ ويومئذ ستنتعش الأرواح بأريج عبير أوبة تلك الآثار، وتصقل العقول بثاقب أفكارها، وتستقيم مناهج البحث بناصع حقائقها، وتزهر حقول الثقافة والفكر والأدب واللغة، بثمار غلالها، وفيض نداها، وكريم محتدها...

وإن المرء وقد انتهي به البحث إلى رسم بعض الملامح، مما كانت تفيض به صدور رجالات الأمة وتجسده أعمالهم ومواقفهم بالأمس، حبا واعتزازا بالعربية، نشرا وترقية لها، غيرة ومنافحة عليها، فإنه وهو يسجل هذه الحقيقة، ليشعر بأمل كبير يغمر قلبه بأن تكون همم رجالات الأمة اليوم وغدا في عصر (العولمة) التي تعني – في جملة ما تعنيه – تهميش وإقصاء الخصوصيات اللغوية والثقافية للأمم الأخرى، أكثر وفاء للغة الملة والأرومة، وأشد حرصا على النهوض بها، وترقيتها ونشرها، حفاظا على أصالة الأمة، وحماية لشخصها، وصيانة لوحدتها، والله الموفق...

الهوامش: نشير بدءا إلى أن البحث رجع فيما يتصل بعملية التأريخ للصحف المدروسة، إلى أهم الأبحاث التي عنيت بالصحف الجزائرية وهي:

أولا. الصحف العربية الجزائرية: د/ محمد ناصر (ش. و.ن.ت) الجزائر 1980.

ثانيا. تاريخ الصحافة في الجزائر: الزبير سيف الإسلام (ش.و.ن.ت) الجزائر 1986

ثالثا. الصحافة الإسلامية الجزائرية: د/زهير إحدادن (م.و) الجزائر ب. ت.

فن الدراما الإذاعية

أ. ابراهيم جديدي

توطئة

إن الفن بجميع أشكاله ليس سوى عملية تعبير.. عملية اتصال بين الفنان و المجتمع الذي يعيش فيه، والفنون أو المشاعر التي تنتقل بمضمونها من الروح البشرية الفردية إلى قلوب جمهرة من الناس، يتم لها هذا الانتشار عن طريق أشكال مختلفة من الفن.. كالرسم أو النحت أو الموسيقى أو التمثيل أو الشعر أو الكتابة، وفقا لاستعداد الفنان وموهبته وقدراته المكتسبة.

وغني عن البيان والإثبات؛ أن معظم الفنون التي لها مقدرة على الانتشار والوصول السريع إلى قلوب الجماهير في عصرنا هذا هي الأعمال الدرامية: مسرحية كانت أم سينمائية أم تليفزيونية أم إذاعية..ولكي يضع الفنان الدرامي مضمون فكرته في شكل فني يسهل على الناس فهمه واستيعابه؛ فإنه لابد أن يستعمل أساليب التعبير التي يفهمها الناس، والتي تطورت عبر التاريخ.

لهذا كان المسح الشامل لتاريخ الفكر البشري، والفلسفات الاجتماعية والدراسات العلمية التي عاصرت تطور الدراما، وأثرت عليه عبر التاريخ، وكان عاملا حيويا بالنسبة للمبدع الدرامي "المؤلف والمخرج"، ومما أهله كذلك لفهم واستيعاب القواعد المتطورة للبناء الدرامي، والحوار، والفعل، وغيرها من الأشكال والرموز الفنية الحديثة التي تتماشى وتطورات العصر، والتي يتقبلها المستمع أو الملتقي بكل صدر رحب.

في طبيعة كل إنسان شيء ما يدفعه إلى محاكاة الآخرين في طفولته، ثم يكبر هذا الشيء مع كبر سنه، فيتحول إلى شوق دائم لرواية الأحداث أو الاستماع إلى روايتها، ولقد أطلق البعض على هذا الشعور لدى كل إنسان: "الرغبة الدرامية" ، واعتبرها البعض نقطة ضعف بشرية، والحقيقة أن فن الدراما موجود في دماء كل منا، نحب أن نصنعه أو نتفاعل معه، ولا يمكن لأي منا أن ينسى أمتع لحظات طفولته، وهو يستمع إلى حكايات جدته ويشد إليها شدا، ثم ينام ليعيشها في أحلام منامه كما عاشها في أحلام يقظته.

والدراما تعريفا هي فن الأفعال الإنسانية، وكلمة "دراما" تعني الحركة المتجددة، ولا بد لأي عقل إنساني كي يسمى دراما من أن يكون فعلا تاما، يحتوي على صراع بين قوتين، كصراع الإنسان مع نفسه، أو صراع الإنسان الخيِّر مع الإنسان الشرير، أو صراع الإنسان مع بيئته، أو صراع الإنسان مع القدر، فكل ذلك فعل إنساني، يتم فيه صراع ذو مبررات، ينتهي بنتائج منطقية ومقبولة. وباعتبار الدراما فعل إنساني فهي إذن تعتمد على المحاكاة، "وهي تقتبس مادتها من الحياة " وكلمة **تقتبس** يجب الانتباه إليها،

لأن الدراما لا تنقل الواقع نقلا مباشرا أو مطابقا، بل إنها تظهر الواقع بالأسلوب الفني المطلوب، وبالطريقة التي تجعل العمل الدرامي عملا فنيا متكاملا، ولأن الإنسان هو المحور الرئيسي للعمل الدرامي، فإن فن الدراما يبقى بقاء الإنسان، ليقدم التجربة البشرية الدائمة التي تبرز مشاكل، وتساهم في التعايش مع عواطفه وأحاسيسه.

كيف ومتى نشأت الدراما؟

بدأت ملامح الدراما بالظهور في الطقوس التي كان يقوم بها الناس، يعبرون فيها عن معتقدات دينية، أو أحداث حياتية هامة؛ كالحصاد عند الفلاحين مثلا، ولأن غريزة المحاكاة فطرية في الإنسان، والمحاكاة أصل التمثيل، فالدراما نشأت منذ القديم وتطورت نابعة من الطقوس، ولقد ثبت أن التمثيل كان معروفا لدى الإغريق، وهم أول من بنوا مسرحا، ولدى الفراعنة أيضا، واتخذت الطقوس شكلا من أشكال العرض في الحضارات القديمة، وبتطور الدراما أصبحت فنا ذا أصول وقواعد ولها ألوانها، فالدراما قد تكون **تراجيديا** أو ما نسميه بالمأساة، مواضيعها اجتماعية عاطفية، وتدور غالبا حول صراع الإنسان مع قوى خارجة عن نطاقه كالآلهة مثلا أو المجتمع، فتتناول فاجعة أو تنتهي بفاجعة، وقد تكون الدراما كوميديا أو ما نسميه بالملهاة، وهي تحتوي أيضا على صراع يكون غالبا على مستوى ذهني بسيط دون عمق، ويجب أن يكون للمأساة والملهاة، مواصفات العمل الدرامي المتكامل كي تصح تسميتها بالمأساة أو الملهاة. وإلى المأساة تعود الدراما بل "الدراما الافتعالية " التي نسميها **ميلودراما**، وهي العمل الذي يلهث وراء تجميع مواقف تستجدي الدموع، وتثير الانفعالات الإنسانية بكثير

أو بقليل من المبالغة، ويقابل الميلودراما في الملهاة "الفارس" أو ما نسميه **بالتهريج** أو الهزل، وهو العمل الذي يخلق مواقف تثير الضحك؛ دون الاهتمام بالدوافع الإنسانية، أي أنها تستجدي الضحك كما تستجدي الميلودراما البكاء، ولا مانع من أن يكون استجداء الضحك عن طريق التهريج.

وغالبا ما يعتمد المهرج على شخصيات العمل الدرامي، والمعروف أن الدراما بصورة عامة أنها تبدأ بتقدم شخصياتها، ثم تنتقل إلى الأزمة التي تعرضها، فتصل بها إلى حد القمة، حيث يحتدم الصراع بين الشخصيات، ثم تبدأ عملية فك العقدة وإنهاء الصراع، عن طريق إيجاد الحل الملائم، وبهذا تأتي نهاية العمل الدرامي، ويمكن القول أن العمل الدرامي يمثل بالهرم، تبدأ الشخصيات بالصعود مع أحداث العمل وتصل قمة الهرم، ثم تنتهي لتبدأ بالهبوط من الطرف الآخر، حتى تصل الأرض ثانية بسلام .. ولكلّ عمل درامي زمان ومكان محدّدين ومضمون .. والزمان قد يطول وقد يقصر، لكنه يبقى محددا، والمكان قد يختلف لكنه يبقى معينا، أما المضمون فهو الأحداث وشخصيات تلك الأحداث، ويرتبط تقييم أي عمل درامي بالمضمون، فالفكرة التي يطرحها العمل وكيفية معالجته لها؛ ومدى وصولها إلى الجمهور المتلقي.. كل ذلك يحدد نجاح العمل أو فشله، وبقدر ما تكون الفكرة المطروحة واضحة والعرض الدرامي ناجحا في خدمة تلك الفكرة بقدر ما تكون الحبكة الدرامية منسوجة، وبقدر ما ينجذب المتسمع إلى العمل الفني ويصبح عنصرا فاعلا فيه، عن طريق تخيلاته ومعايشته لأبطال الحدث، بل وأحيانا محاولته تقليدهم، ونستطيع إدراك مدى أهمية فن

الدراما عندما نجد أن كثيرا من الجوانب الإعلامية والإخبارية باتت تقدم بطريقة أقرب إلى الدرامية، وذلك بقصد شد الجمهور المشاهد أو المستمع، وكثيرا ما نحتال في "الإذاعة" على موضوع جاف يصعب تقديمه بخلق شيء من الدرامية مهما كانت بسيطة، معتمدين على متعة الإنسان بالحكاية، وانجذابه إلى أي عمل فيه شيء من القصصية والرواية.

بقي أن نقول أن مجال فن الدراما يتوزع بين المسرح والسينما والإذاعة والتلفزيون، وهو بشكل رئيسي يعتمد على الكلمة التي تمثل الحدث، وتعبر عن الشخصيات، لكن هناك عوامل أخرى إلى جانب الكلمة تزيد أهميتها أو تقل حسب المجال الذي تعرض فيه الدراما، فالمسرح يعني بالكلمة إلى نسبة 57 % تقريبا من العرض المسرحي، بينما يقوم الديكور والإضاءة والملابس والمؤثرات الصوتية والموسيقى بـ 25 %، أما السينما ولكونها ذات تقنية متقدمة، لا يلعب الحوار فيها الدور الرئيسي بقدر ما تلعبه الصورة، والصورة طبعا تعبر عن الموقف في السينما، ولو لم يكن هناك حوار، لأن الكاميرا تستطيع أن تقدم كل شيء، وأن تحدد الزمان والمكان، وطبعا تقوم المؤثرات الصوتية بمهمتها هنا كي تنوب عن الكلمة، إذ يقال بقدر ما يقل الحوار في السينما بقدر ما يكون العمل مقبولا من المشاهد وناجحا، والدرامي التلفزيوني لا يحتاج لأكثر من 50%، حوارا على أن تعرض الصورة البقية الباقية، أما الإذاعة فالدراما هي الدراما المسموعة، أي أن اعتمادنا فقط على السمع، بحيث أن الكلمة هي الأساس، وأن الحوار يجب أن يأخذ كل حيز العمل الدرامي، فتصل نسبته إلى 100%، وطبعا للمؤثرات الصوتية والموسيقى دورها الأساسي أيضا إلى جانب الحوار.

الدراما المسموعة:

الدراما المسموعة هي ما نطلق عليه اسم " **التمثيلية الإذاعية**"، وتعريفها هي الكلمة التي تعطي حوارا بين شخصيات تمثل واقعا حياتيا، ومع الكلمة المؤثرات الصوتية والموسيقي، ومع تطور الفن الإذاعي احتلت التمثيلية الإذاعية أولى مراتب الأهمية كعمل فني متكامل وملتزم، وصارت من أقرب الأعمال الإذاعية إلى قلب المستمع، وذهنه لأنها تدعو لأن يعيش صورة من الواقع الذي يكون واقعه هو بالذات، وباعتبار أن عنصر الانفعال هو العامل الفعال في الإذاعة، فإن التمثيلية الإذاعية هي التي تصل إلى المستمع، قبل غيرها من المواد المذاعة الأخرى، لأن القالب الانفعالي هو المسيطر عليها بشكل عام.

تطور التمثيلية المسموعة:

إذا أرادنا العودة إلى بدايات التمثيلية الإذاعية واستعراض مراحل تطورها، نتوقف في نهايات العام 1921 لنجد المسؤولين في الإذاعة البريطانية يقررون أن تقوم الإذاعة بنقل المسرحيات من المسرح مباشرة وبثها عبر المذياع إلى المستمعين في كل مكان، ولا شك أن الحدث كان كبيرا آنذاك، فأن يجلس المستمع مسترخيا في بيته ليستمع إلى مسرحيات شكسبير الخالدة دون عناء الذهاب إلى المسرح والجلوس ضمن شروط معينة، أمر ليس بالقليل، وبخاصة أن إنجلترا هي أم المسرح، وأن شكسبير جعلها تكون الرائدة في هذا الفن الدرامي العظيم .. وبعد تنفيذ التجربة الرائدة ونقل مسرحيات شكسبير، وجد الإذاعيون أن المسرحية المنقولة إنما أعدت لكي تشاهد وتسمع، بينما لا يعتمد متلقيها عبر المذياع إلا على حاسة

السمع فقط، فتضيع منه نقاط كثيرة قد تكون هامة، إلى درجة تشويه العمل الفني بكامله، وكان أن وصل الإذاعيون إلى مرحلة جديدة، فأضافوا إلى عملية النقل المباشر من المسرح مذيعا أو معلقا، يشرح لجمهور المستمعين ما يشهده على خشبة المسرح، بحيث تصبح الصورة المتخيلة في ذهن المستمع أكثر وضوحا.

لكن الفن الإذاعي كغيره وبنموه وتطوره من الفنون، لا يقف عند حدود، بل إنه ينمو ويتطور وبنموه وتطوره وصل الإذاعيون في الإذاعة البريطانية إلى حقيقة، أن الإذاعة بحاجة إلى عمل درامي خاص بها، فكما أن الدراما المسرحية تختلف عن دراما السينما تبعا لخصائص كل من المسرح والسينما، كذلك فإن الإذاعة باعتمادها على حاسة السمع فقط تتطلب عملا دراميا خاصا بها، يمكنه أن يوحي للمستمع بكل ما يريد العمل أن يقوله بالكلمة والكلمة فقط، ولا شك أن توصل الإذاعيين إلى هذه النقطة كان كشفا هاما، يدين له كل الدراميين الإذاعيين، ليس اليوم فقط، بل وغدا أيضا.. وبالتحديد في الخامس عشر من شهر جانفي لعام 1924 أذيعت أول تمثيلية إذاعية في العالم من إذاعة لندن، كانت التمثيلية بعنوان "خطر"، وقد خرجت بعد جهود مضنية، فلم يسبق أن كتب كاتب ما معتمدا على الكلمة التي تشكل حوارا وتخاطب ذهن المستمع فقط عن طريق أذنيه، كذلك لم يسبق أن وقف الممثلون أمام الميكروفون في أستوديو مغلق، مستغنين عن الماكياج والملابس الخاصة والحركات المعبرة وكل ما يحيط بهم بالكلمة التي تخرج من أفواههم وبها فقط، ونفس القول يشمل المخرج أيضا، لكل هذا فإنه من العبث أن نناقش نسبة الجودة في أول تمثيلية إذاعية، فالمهم

هنا هو التوصل إلى الفكرة وتنفيذها قبل كل شيء، أما التطور فيأتي مع التجربة والاستمرار.. الطريف في تمثيلية "خطر" أن مؤلفا جعل كل الأحداث تدور في الظلام، ولكي يشعر المستمع بذلك بدأها بقول أحد شخصياتها :" ما الذي أطفأ النور؟".. ثم استمرت الأحداث خلال خمس عشرة دقيقة في منجم صادف أن كان فيه زائران، وبانطفاء النور بدأ الغاز يتسرب والمياه تعلو، ومع الخطر الذي يتهدد الشخصين يظهر المؤلف نفسية كل منهما، ويصل التوتر إلى حد أن يحاول كل واحد منهما أن يقتل الآخر، علّه ينقذ نفسه، وفي قمة التوتر يعود النور، فتنتهي التمثلية بجملة الممثل : "ها قد عاد النور".

وبعد تمثيلية "خطر" تستمر المحاولات، وتتنافس إذاعات بريطانيا وأمريكا وألمانيا في تقديم التمثيلية الإذاعية وتطويرها، بعد أن أصبحت فنا قائما بذاته، يعتمد على الكاتب الإذاعي والممثل الإذاعي والمخرج الإذاعي، وكما كانت لنا وقفة مع أول تمثيلية إذاعية عام 1924، نتوقف في العام 1939، حيث بثت الإذاعة الأمريكية تمثيلية "حرب الكواكب"، المعدة عن قصة "هربرت جورج ويلز " والتي أخرجها الفنان المعروف "أورسون ويلز" .. ووقفتنا مع تمثيلية "حرب الكواكب "تأتي لما كان لهذه التمثيلية من أثر في فن الدراما الإذاعية، إذ بلغت براعة مخرجها حدا جعل الآلاف من الأمريكيين المستمعين يعتقدون أن غزو أهل الكواكب للأرض حقيقة واقعة. فيخرجون من منازلهم مذعورين تائهين في الشوارع، وذلك قبل أن يفطنوا إلى أن ما سمعوه عبر المذياع ليس إلا تمثلية، تخيل كاتبها أن أهل الكواكب الأخرى قد غزوا كوكب الأرض، إن تمثيلية "حرب الكواكب " تمثل

مرحلة متطورة من مراحل تطور فن الدراما الإذاعية، حيث وضعت بأسلوب الإثارة الذي اتبعه المخرج أساسا من الأسس الإذاعية الهامة..

وقفة أخرى مع التمثيلية الإذاعية، وهذه المرة مع التمثيلية الإذاعية العربية، وبالذات في إذاعة القاهرة عام 1937، حيث ألف الفنان "محمد فتحي " فرقة هواة الإذاعة للتمثيل، وقدمت هذه الفرقة مسمعا إذاعيا، يتضمن مشهد الشرفة المعروف في مسرحية "روميو وجولييت " بعد الترجمة، والطريف أن الإذاعيين آنذاك لم يسمحوا بأكثر من المسمع المذكور، على أساس أن طاقة الإذاعة لا تحتمل تمثيلية كاملة، ويذكر مع ذكر هذا الحدث : إذاعة مسمع الشرفة لروميو وجولييت الكثير من المفارقات المضحكة التي وقعت أثناء إذاعته، رغم أنه لم يتطلب أكثر من ممثل وممثلة يتحاوران، ولم تكن المؤثرات الصوتية معروفة في عالم الإذاعة بعد، والتجربة الإذاعية هذه في عالم الدراما تسجل سبقا لإذاعة القاهرة، التي كانت رائدة التمثيلية الإذاعية في الوطن العربي.

وفي العام 1939 وما بعده أثناء الحرب العالمية الثانية، غزا الراديو الجمهور، وأصبح ذا أهمية بالغة، لكل الناس الذين أرغموا على ملازمة منازلهم، وكان للتمثيلية الإذاعية حظها، حيث ارتفعت أسهمها في تلك الفترة، مع افتقاد الناس للمسرح والسينما.. أخيرا لا ننسى أن نشير إلى أن عملية التسجيل الإذاعي لم تكن معروفة بعد، وبذلك فإن كل تجارب التمثيليات الإذاعية وخلال سنوات طوال كانت تبث على الهواء مباشرة.. ومازال بعض الزملاء الإذاعيين من رواد التمثيلية الإذاعية يتندرون بالمقالب والمفارقات التي وقعوا فيها وهم يذيعون على الهواء مباشرة

تمثيلياتهم الإذاعية.. ومن الجدير بالذكر أن الدراما المسموعة أ وما نسميه التمثيلية الإذاعية فتحت الباب أمام استعمال مسامع تمثيلية في البرامج الأخرى، مما ساعد على إدخال تنوع جديد في مضمار البرنامج الإذاعي المتطور، بحيث صارت الدراما تخدم برامج المنوعات خدمة مباشرة وتساهم في رفع قيمتها الفنية وتجعلها أكثر قبولا واستمتاعا.

كتابة التمثيلية الإذاعية

إن كل حركة وانفعال يترجم في الإذاعة إلى كلمة، فمن يرفع يده أثناء حديثه يمكن أن يترجم إلى كلمات تجري على لسان إحدى الشخصيات، لتوحي إلى المستمع بأن شخصية ما في التمثيلية رفعت يدها، فيقول : لماذا ترفع يدك هكذا ؟ وهذه الكلمات البسيطة تصل إلى ذهن المستمع، فيتخيل أن أحد أشخاص التمثيلية المشار عليه قد رفع يده..

إن وسائل التعبير التي يمكن للدراما الإذاعية أن تعتمد عليها هي ثلاث: **الحوار، المؤثرات الصوتية، والموسيقي**، بينما تزيد تلك الوسائل في الدراما للمسرح أو السينما أو التلفزيون، لتشمل إلى جانب وسائل التعبير الثلاث المذكورة حركة الممثلين، وتعبيرات وجوههم وشكلهم الخارجي وملابسهم، وإلى جانب المؤثرات الصوتية والمناظر، من طبيعية مصورة أو ديكور، والحيل الفوتوغرافية والألوان، ولقطات الكاميرا المختلفة حسب ما يتطلبه الحال، ولا شك أن الكاتب الدرامي الذي يستطيع الاستعانة بكل هذه الوسائل والاعتماد على ثلاث منها: يجب أن تقوم مقام باقي الوسائل، ويجب أن تعبر عن العمل أيضا التعبير الكافي والمطلوب.

مصادر الكاتب الدرامي الإذاعي

1. مصادر تراثية؛ وأهمها الحكايات الشعبية والأمثال، فهي الأكثر قابلية للتحول إلى دراما.

2. التاريخ العربي والإسلامي والعالمي، القديم والمعاصر، وأحداث التاريخ في معظمها دراما جاهزة، والعبرة في حسن الاختيار.

3. الكتب الدينية؛ ويأتي القرآن الكريم على رأس القائمة، ثم السنة النبوية الشريفة، والمواقف الحاسمة في شؤون الدين وحياة الأئمة الصالحين.

4. الكتب الأدبية والكتب التي تؤرخ للأدباء والشعراء واللغويين.

5. المسرحيات العربية والعالمية والقصص والروايات والأقاصيص بأي لغة.

6. الواقع المعاصر المحلي والعربي والعالمي، ويمكن أن يستوحي الكاتب موضوعه منه مباشرة، أو من خلال ما تنشره الصحف والمجلات.

7. الخيال وهو مصدر ذاتي للكتاب، يستمد منه تركيبات درامية لا حصر لها.

8. الكتب العلمية؛ ومنها ما يقتبس ما شاء من حياة المكتشفين والمخترعين.

9. الكتب النفسية؛ ومنها يستمدّ حالات الأمراض النفسيّة التي يمكن أن تتحول إلى دراما إذاعية.

10. حكايات الأطفال العربية والعالمية.

وهكذا نجد أن المصدر بل المصادر التي تحيط بالكاتب الدرامي الإذاعي كثيرة ومتوفرة.

تقنية الكتابة الدرامية الإذاعية

الدراما الإذاعية كغيرها من أنواع الدراما المشاهدة في المسرح أو المرئية في السينما والتلفزيون تقوم على قواعد وأسس، غير أنها تخاطب السمع والخيال، وغيرها يخاطب السمع والبصر جميعا؛ ونصيب التخيل قليل، إلا أن يكون من فعل البناء الدرامي الذي يعمد في كثير من الأحيان إلى الإضفاء على سبيل التشويق، فيتيح فرصة للتخيل والتنبؤ أو التقدير والتخمين.

مقومات الدراما الإذاعية وقواعدها

1. الفكرة والموضوع؛ فأي دراما إذاعية سواء صيغت في مشهد أو تمثيلية أو مسلسل لابد لها من فكرة أساسية تنطلق منها، ثم تغنى بمكملاتها من هنا وهناك، حتى تغدو موضوعا متكاملا، ومنه تؤلف قصة أولية تعالجه دون إسهاب، ثم يأتي الكاتب بشخصيات فيرسمها رسما متقنا، ويعمق أبعادها النفسية والاجتماعية لينطقها بلغتها، وليجعلها تسلك سلوكها المنسجم مع طبيعتها، ويصنف الكاتب شخصياته على النحو التالي:

أ . شخصيات محورية أساسية؛ وأهمها البطل ومن يقف مقابله.

ب. شخصيات مساعدة متوسطة الفعالية.

ج. شخصيات ثانوية.

2. ومهما تكن الدراما الإذاعية بسيطة، فهي تقوم على صراع بين قوتين أو أكثر، ولابد في النهاية أن تنتصر القوة الأعظم على القوة الأقل احتمالا، والنهايات الأخلاقية تحتم انتصار الخير على الشر.

3. تنفرد الإذاعة عن غيرها من وسائل الاتصال بأنها تخاطب السمع فقط، وأن الدراما فيها حوار يحمل حركته الداخلية التي تتجسد في خيال المستمع حركة ظاهرة، ولا بد للحوار أن يفصح عن الشخصيات المتحاورة التي تصنع الحدث، والكاتب الحاذق هو الذي يعرف كيف ينطق شخصيته بحوار ذي مستويات مختلفة من حيث اللغة والتركيب والأداء.

خصائص التمثيلية الإذاعية

التمثلية الإذاعية عمادها حاسة السمع، الخيال الرحب الفسيح الذي يتيح للمستمع أن يخلق في آفاق رحبة فسيحة غير محدودة بزمان أو مكان؛ أي سرعان ما يدرك أن مكان الحدث في الجزائر، ثم ينتقل به إلى مصر أو اليمن أو سوريا مثلا، والزمان قد يكون صباحا، وبفاصل الموسيقى ندرك أننا في الظهيرة أو الليل. وهكذا يتاح للتمثيلية الإذاعية حرية التنقل في الزمان والمكان في سهولة ويسر.

والتمثيلية الإذاعية محدودة بوقت معين بين ربع الساعة ونصف الساعة، أو الساعة وهذا يستدعي أن تكون مركزة بعيدًاعن التفاصيل، بينما المسرحية أو الشريط (كما يسمى في بعض البلدان الشقيقة) تمتد من ساعة إلى ثلاث ساعات، فالوقت أمام المسرحية فسيح يتسع لكثير من التفاصيل التي لا نوردها، إذا كنا بصدد التأليف للتمثيلية الإذاعية التي تعتمد على الحوار الذي يوضح لنا المكان والزمان والشخصيات .. ولكي تتضح لنا هذه النقطة، نقارن في موقف معين بين أن يعبر عن هذا الموفق في قصة أو تمثيلية إذاعية .. فلنفرض أننا في قصة معينة أمام حالة التلميذ سمير الذي لم يتقدم في دراسته في الريف، فقرر أبواه إرساله إلى خالته زينب بالمدينة،

لأن المدينة متوفر فيها كل وسائل التطور، والمعرفة التي تساعد على فهم واستيعاب المعلومات التي تقوم على التلفزة، أو تصدر في بعض المجلات والصحف التي لم تكن في متناول جميع الأسر بالريف، وفي مساء أحد الأيام كتبت الخالة زينب رسالة إلى أبوي سمير لتطمئنهما عن حالته الصحية والدراسية..والتفتت إلى سمير قائلة له : " هذه رسالة سترسلها إلى أبويك في الريف لذا يجب عليك غدا صباحا أن تنهض باكرا لتضع الرسالة في صندوق البريد الذي يوجد في آخر الشارع المقابل لشارعنا، لأن موزع البريد يأخذ الرسائل صباحا على الساعة الثامنة "..

استيقظت الخالة زينب من نومها متأخرة، ولم يبق أمامها على موعد أخذ الرسائل سوى نصف ساعة، وسمير ما يزال في سبات عميق يغط في نومه، وأن عليه أن يكون متواجدا أمام صندوق البريد في حدود هذا الزمن.. الموقف في القصة يعتمد على السرد والحكاية.

"السيدة زينب استبد بها السهر حتى أثقل عليها نومها، فراحت في سبات عميق، نسيت فيه نفسها، ونسيت أن عليها أن تستيقظ مبكرا، وتوقظ سمير ليتناول فطور الصباح، ثم ليأخذ الرسالة ويضعها في صندوق البريد، الذي يبعد قليلا عن مقر سكناهم"، فإذا كنا بصدد تمثيلية إذاعية فإننا سنطرح أسلوب السرد هذا إلى الحوار المباشر ..(يسمع صوت ملعقة القهوة تسقط من يد الخالة زينب وهي في المطبخ).

سمير : (مرعوبا) خالتي، خالتي!

الخالة زينب : سمير ماذا تريد؟

سمير : كم الساعة الآن؟

الخالة زينب : الساعة الآن !! هيا بسرعة يا سمير.. الساعة السابعة وأربعون دقيقة!! هيا ..هيا تناول فطورك!!

سمير : وما العمل يا خالة ؟ الوقت يمر بسرعة!

الخالة زينب : هكذا تلبس ثيابك دون أن تغسل وجهك؟

سمير : لم يبق الوقت! سيمرّ موزع البريد يا خالتي!!

الخالة زينب : خذ يا سمير اشرب حليبك.

سمير : هيا اسرعي يا خالتي ناوليني الرسالة!

الخالة زينب : خذ يا سمير.. لتذهب سريعا .. والله معك يا بني.

وإلى جانب الحوار تأخذ التمثيلية الإذاعية جوها المناسب من تلك المؤثرات الصوتية المتنوعة؛ التي تبين ما إذا كنا في حديقة بين زقزقة العصافير، أو مصنع جديد بين الطرقات وضجيج العمال .. هذا إلى جانب الموسيقى بين المسامع، والتي تضفي طابعا عاطفيا معينا، قد يكون المرح والفرح، أو الكآبة والحزن.

وتأتي الموسيقى لتأخذ مكانها مع الحوار والمؤثرات الصوتية المتنوعة، فتضفي على التمثيلية طابعها الريفي أو الحضري، بل وقد تحدد عصرها تبعا للأسلوب الموسيقي الذي يرتبط بالعصر والمكان والبيئة، ويعكس الحالة الاجتماعية للشخصيات وأذواقهم، هذا إلى جانب ما تكشف عنه الموسيقى في التمثيلية الإذاعية من أبعاد نفسية، وصراعات درامية.

البناء الدرامي للتمثيلية الإذاعية

اختيار الموسيقى والمؤثرات الصوتية له أهمية كبرى وضرورة قصوى، بالنسبة للبناء الدرامي للتمثيلية الإذاعية .. إلى جانب إلمام الكاتب الإذاعي بألوان هذه الموسيقى وأنواع المؤثرات الصوتية، حتى يستطيع أن يستعين بها في تأليفه، أو في إعداده للتمثيلية.

وإذا كان إلمام الكاتب الإذاعي الجيد بألوان الموسيقى وأنواع المؤثرات ضرورة بالنسبة لطبيعة عمله، فإنها (الموسيقى والمؤثرات الصوتية) أكثر ضرورة وأهمية بالنسبة للمخرج الإذاعي، الذي يستعين بهما في تجسيد عمله وبعث الحياة فيه، حتى يصل إلى آذان المستمعين مؤثرا مقنعا مستحوذا على مشاعرهم.. والمخرج الناجح هو الذي يكون عنده رصيد وافر من التذوق الموسيقي، والإلمام المستفيض بألوان وطبوع الموسيقى، سواء أكانت شعبية محلية أم عالمية، ومن هنا كان عليه أن يخصص من وقته للسماع والتذوق الموسيقي، سواء أكانت شعبية محلية أم عالمية، ومن هنا كان عليه أن يخصص من وقته للسماع والتذوق الموسيقي، حتى تتكون لديه مكتبة موسيقية، وحصيلة وافرة في ذاكرته ووعيه، ومن المخرجين من لا يعتمد على مكتبة الإذاعية الموسيقية، بل يعمد إلى تكوين مكتبته الخاصة، حتى تكون عونا له عند اختيار الموسيقى المناسبة للتمثيلية المكلف بإخراجها.

الموسيقى في التمثيلية الإذاعية

الموسيقى لها أكثر من وظيفة في التمثيلية الإذاعية، ويمكن تلخيص دورها أو وظيفتها في النقاط الآتية:

1. تستخدم كافتتاحية للتمثيلية، وهي فيها بمثابة "رفع الستار عن المسرحية"، وبذلك فإن لها أهميتها في جذب انتباه المستمع وتشويقه إلى

سماع التمثيلية .. وينبغي على المخرج أن يستعرض في المكتبة الموسيقية ويتأنى في اختيار الافتتاحية الموسيقية، التي تعد بمثابة مقدمة المقال، أو براعة الاستهلال في الخطبة، وبقدر ما تكون قوية جذابة مؤثرة بقدر ما تشد انتباه المستمع.

2. كما تكون الموسيقى كخلفية للمستمع تناسب الحدث والحوار، وهي أشبه ما تكون بستار المؤخرة في المسرح.. ولكن يجب استعمالها بحذر، بحيث لا تطغى على الحوار، وينصرف إلى التركيز على الموسيقى.

3. وتستعمل الموسيقى كذلك لإنهاء المسامع داخل التمثيلية، منتقلة بالمستمع من مكان إلى آخر، ومن زمان إلى آخر، وتوقيت النقلة الموسيقية بين المسامع من الأهمية بمكان ؛ لا تكون قصيرة خاطفة، ولا طويلة مملة تصرف المستمع عن أحداث التمثيلية، بل تأخذ المستمع وتنتقل به انتقالا طبيعيا هادئا، ممهدا لما يليه من مسمع جديد في تماسك وتشابك .. وهنا يلعب ذوق المخرج دورا بارزا، إذ أنه يمثل الذوق العام، وحس فئات المستمعين على مختلف شرائحهم في تحديد زمن الفاصل الموسيقي بين مسامع التمثيلية الإذاعية.

4. للموسيقى دور هام في إبراز العواطف والألوان في المسامع، عندما تلتحم مع مواقف الحب أو الغضب أو الانتقام أم التهديد، وهنا يكون دورها أشبه بدور الإضاءة في المسرحية على المسرح، إذ تزيد من أثر العواطف في المسمع وتركز الضوء على الحدث.

5. قد تكون الموسيقى جزءا من الحدث في التمثيلية، وذلك إذا كانت إحدى الشخصيات تقوم بالعزف على آلة موسيقية، أو تغني أغنية تتماشى

والموضوع المتناول، ويظهر دور الموسيقى هنا بوضوح في التمثيليات الغنائية، التي تمزج بين التمثيل والغناء.

6. تعبر الموسيقى أحيانا عن صوت الضمير في الإنسان، أو عن الفزع أو الذكرى، ففي بعض المواقف يكون الممثل في صراع درامي بين الخير والشر، أو بين الفضيلة والرذيلة ويحدث نفسه أي الاتجاهين يسلك فتأتي الموسيقى في مثل هذه المواقف ممثلة ليقظة وصحوة الضمير الإنساني.

وهكذا مواقف الفزع ومواقف الذكريات تجسدها الموسيقي، التي يحسن المخرج الإذاعي اختيارها.

وفي ختام التمثيلية تأتي الموسيقى معبرة عن النهاية، وكخلفية لاستعراض أسماء الممثلين والفنيين والمخرج.. وكما لا بد من الدقة في الافتتاحية والذوق، فلا بد كذلك من مراعاة حسن الختام، الذي يعتبر أشبه بتحية الوداع مع المستمعين.

أهمية المؤثرات الصوتية

هذه الاستعمالات الموسيقية المتنوعة في التمثيلية يجب أن تكون ماثلة في ذهن وحس المخرج الإذاعي، الذي عليه بعد أن تكون أحداث التمثيلية قد تمثلت بوضوح في مخيلته ووجدانه، وبعد أن تكون أبعادها وشخصياتها وجوّها العام قد وضح لديه بصورة كاملة، عليه بعد هذا كله أن يجلس هو ومساعده إلى المكتبة الموسيقية بالإذاعة، أو إلى مكتبته الخاصة ليختار ما يلائم النص الذي بين يديه، ويستمع مرات ومرات إلى الفقرات الموسيقية الملائمة لجو وأحداث التمثيلية، وعليه بعد ذلك أن يحدد لكل مسمع ولكل فاصل الفقرات أو الجمل الموسيقية المناسبة، سواء في ذلك الافتتاحية أم

خليفة المسامع، أم بين المسامع أم في ختام التمثلية، حتى إذا دقت ساعة التسجيل كان جاهزا بالموسيقى في أماكنها وتوقيتاتها المناسبة، وإذا توفرت الإمكانات الفنية في التأليف الموسيقى للتمثيلية، كان أفضل، ويكون المخرج سعيدا ومحظوظا في أن تحظى تمثيلية بموسيقى حية جديدة، لها ملامحها ومميزاتها التي تلائم جو التمثيلية، (في الافتتاحية أو في خلفية المسامع أو بين المسامع أو في ختام التمثيلية).

وتأخذ المؤثرات الصوتية أهميتها كذلك في التمثيلية الإذاعية، من حيث أنها تقوم مقام المناظر المسرحية في المسرح، فمن خلال المؤثرات الصوتية ندرك أننا مثلا في مطار أو محطة حافلات، أو في طريق أو في حديقة أو بحر أو غابة أو صحراء أو مصنع أو مدرسة، إلى غير ذلك من الأماكن التي تدور فيها أحداث التمثيلية، كما أن المؤثرات الصوتية تقوم مقام "الإكسسوار" في المسرح، فمن خلالها تعرف أن الشخصية تحمل مسدسا أو منشارًا أو مطرقة أو تفتح زجاجة مياه غازية أو تجلس على أريكة، إلى غير ذلك من المهمات التي نراها على المسرح، والتي نحس بها ونتخيلها من خلال المؤثرات الصوتية، على أنه يمكن تصنيف المؤثرات ؛ فهناك مؤثرات صوتية للانتقال من مسمع إلى آخر م الحدث مثل جرس المدرسة مثلا، فننتقل بذلك من البيت إلى المدرسة، ومثل صوت آلة الطباعة التي تنقلنا إلى مكان الطباعة، أو صوت خرير المياه ينقلنا إلى نهر، أو صوت زقزقة العصافير وحفيف الأشجار فينقلنا إلى غابة، وهكذا دواليك، وهناك المؤثرات الصوتية التي تحكي حدثا ما، مؤثرا في أحداث التمثيلية، مثل صوت تصادم سيارتين، أو انهيار منزل، أو هبوب عاصفة

هوجاء.. وهناك المؤثرات الصوتية التي تحكي وتصور لنا مكانا ما، مثل أزيز وإقلاع الطائرات، وصوت المذيعة عن بعد بموعد وصول الطائرة، وكذلك أصوات الجماهير، هذه المؤثرات كلها تجعلنا نتخيل المطار وما يكتظ به من جمهور، وهناك المؤثرات الصوتية التي تصور لنا زمانا معينا، أو فصلا من فصول السنة كالشتاء، وذلك مثل صوت الرعد والرياح وهطول الأمطار.

وقد يتعدى أثر المؤثرات الصوتية ما تقدم، إلى تصوير حالات نفسية لشخصيات التمثيلية، كصوت الرعد مثلا لتصوير حالة الغضب، أو صوت هديل الحمام للتعبير عن الارتياح النفسي.. وعموما فإن مجال الموسيقى والمؤثرات الصوتية المتنوعة مجال رحب وخصب وفسيح بالنسبة للمخرج الإذاعي، وعلى الرغم من خصوبته فإن الاختيار منه يجب أن يكون بدقة وحذر، بحيث تأتي الاستعمالات الموسيقية والمؤثرات الصوتية في أماكنها المناسبة، وبقدرها المؤثر، دون أن تطغى على صلب التمثيلية نفسها، فإذا تمكن المخرج من ذلك كانت موسيقاه ومؤثراته الصوتية عاملا هاما من عوامل نجاح التمثيلية الإذاعية، وبعد اختيار الموسيقى والمؤثرات الصوتية بالإضافة إلى انتهاء المخرج من التدريبات الفنية للممثلين، يدخل المخرج مرحلة التنفيذ والتسجيل النهائي.

المراجع:

1. نظرية الدراما من أرسطو إلى الآن تأليف: الدكتور رشاد رشدي نشر دار العودة . بيروت، لبنان– 1975، الطبعة الأولى.

2. الدراما بين النظرية والتطبيق، تأليف: حسين رامز محمد رضا، نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر . مطبعة الحرية، بيروت– 1972، الطبعة الأولى.

3. الإذاعة والتمثيلية الإذاعية، تأليف: الأستاذ الخبير فاروق حيدر، منشورات اتحاد إذاعات الدول العربية– دراسات وبحوث إذاعية دمشق، سوريا–1988، الطبعة الأولى. .

4. إعداد الممثّل، تأليف: قسطنطين ستانلانسكي، ترجمة: د.محمد زكي العشماوي ومحمود مرسي أحمد، نشر دار النهضة العربية . القاهرة- 1974، الطبعة الأولى.

5 . تدريب الممثل، تأليف: موريس فيشمان، ترجمة: نور الدين مصطفى نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة- القاهرة- 1974. ط.1.

6. التمثيلية الإذاعية، تأليف: الأستاذ محمد ماهر فهيم، نشر الدار العربية للكتاب- ليبيا- تونس- 1977 الطبعة الأولى.

7. برامج المنوّعات في الإذاعة والتليفزيون: مبادئ عامة، تأليف: الأستاذ الخبير فاروق حيدر، منشورات المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني- اتحاد إذاعات الدول العربية- دمشق- سوريا 2002 الطبعة الأولى.

من نشاطات المجلس

إعداد: أ. حسن بهلول

بدعوة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألسكو) وجمعية الدعوة الإسلامية في الجماهيرية الإسلامية شارك الدكتور محمد العربي ولد خليفة رئيس المجلس الأعلى للغة العربية في ندوة علمية عقدت بجامعة الشيخ انتاد جوب بداكار عاصمة السينغال تحت عنوان: "**التاريخ والرمز الحضاري والهوية**" وذلك يوم 2004/04/16.

وخلال هذه الندوة قدم الأستاذ محمد العربي ولد خليفة بمشاركة الأستاذ موسى زمولي ورقة عمل عنوانها: "**الهويّة الإفريقية والثقافة العربية الإسلامية**" لقيت استحسانا كبيرا من المشاركين. ونظرا لأهميتها وفائدتها في التأكيد على الهوية وفي تشكيل الثقافة الإفريقية ذات الأبعاد المتعددة سيما البعدين العربي والإسلامي حتى لا تذوب في العولمة الجارفة رأينا تقديم ملخص عنها فيما يأتي:

الهوية الإفريقية والثقافة العربية الإسلامية

لمحة تاريخية:

تعتبر منطقة العالم العربي والإفريقي مهد الحضارات القديمة ومهبط الأديان، ونظرا لأهمية مصادرها وخيراتها وتنوّع مناخها واستراتيجية موقعها الجغرافي طمع فيها الغزاة من يونان وروما وبزنط وغيرهم في العصور القديمة الذين بنوا فيها مراكز استيطان وتجارة وحصنوها بأسوار منيعة لترد عنهم ضربات المقاومة الإفريقية الإسلامية الصامدة.

ولكن سرعان ما تبدلت أوضاع هذه المنطقة الهامة بظهور الفتح الإسلامي الذي تصدى بقوّة العزيمة والإيمان لدحر الغزاة ليعود الأمن والسلام إلى ربوع هذه المنطقة وتصبح مراكز إشعاع حضاري ومنارات للعلم مثلما كانت عليه زمن حضارة الفراعنة وحضارة الطاسيلي ووادي الرافدين.

لقد اعتنقت معظم شعوب المنطقة الإفريقية الإسلام عن طواعية، وحملت رايته عاليا منذ القرن السابع الميلادي، حيث عاشت وتعايشت في ظل مبادئه وقيمه الحضارية مدّة عشرة قرون من الزمن.

وبعد أن استشرى الوهن في أوصال الدولة العربية والإسلامية وتعاظمت الثورة الصناعية الأوروبية وظهرت حاجتها الماسة إلى أسواق خارجية لصرف بضائعها، وجدت في قارة إفريقيا البكر والعالم العربي والإسلامي الخزّان الرئيسي الزاخر بالمعادن الأولية واليد العاملة واستعباد الأهالي وتصديرهم بعشرات الآلاف كالأغنام مقيدين بالأغلال إلى أمريكا والكراييب للقيام بالأعمال الشاقة، والموت تحت السياط وبنيران الجلادين البيض.

عاد الأوروبيون إلى استعمار ربوع إفريقيا والعالم العربي الإسلامي مرة أخرى بدعوى المساعدة، وتحضير السكان، وشكلت الجزائر وسواحل إفريقيا عامة محطات لهذا المخطط الاستعماري منذ القرن الخامس عشر الميلادي، بتدبير من البرتغال واسبانيا ثم تبعتهما باقي الدول الأوربية مثل: فرنسا وألمانيا وبلجيكا وبريطانيا العظمى لتتوغل داخل القارة الإفريقية وإعلانها أقاليم تابعة لنفوذها، وأطلقت عليها أسماء الملوك الجنرالات الغزاة..

وهكذا استباح الغربيون الأجانب حرمة أراضينا، وقرروا في مؤتمر برلين المشؤوم سنة 1885 تقسيم إفريقيا مثل الكعكة فيما بينهم.

وهذا بالضبط ما خططوا له ونفذوه في اتفاقية سايكس بيكو (Sykes Picot) سنة 1916 بالنسبة لمنطقة المشرق العربي. وكان لزاما على شعوب المنطقة في إفريقيا والعالم الإسلامي والعربي التصدي من جديد لهذا العدوان الأوروبي في بدايات وأواسط القرن العشرين.

لقد أدّت الهجمات الاستعمارية العسكرية والسياسية والثقافية والاقتصادية إلى وضع كارثي بالمنطقة يتمثل في التخلف والفقر والأوبئة (مجاعات، مرض نقص المناعة، جراد، وجفاف إلخ...)، وإرهاب وحروب أهلية، واستيلاب ثقافي قصد تحويلها إلى مناطق نفوذ لتوسع المركب الصناعي العسكري الرأسمالي لعدّة قرون.

الإسلام والهويّة الثقافية:

أشعت أنوار الإسلام في فترة تاريخية كانت فيها الشعوب الأوروبية من فرنك ووسالت وكلت وجرمان وغيرهم، تبحث عن هويتها ووحدتها لتنتقل من

المجتمع القبلي إلى شكل الدولة الأمة، ساعد انتشار الإسلام على تأسيس هوية ثقافية مبنية على الاحترام المتبادل بين الصغير والكبير الضعيف والقوي والمرأة والرجل بين رب الأسرة وأفرادها بين الإمام والمؤمنين وبين الحاكم والمحكومين داخل بيت العقيدة أودار الإسلام، قال تعالى: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير" (الحجرات– الآية 13).

ومن دون شك فقد كان للفضائل والمثل العليا التي جاء بها الدين الإسلامي الحنيف الأثر الكبير في تقبّله والترحيب به ليس في شمال إفريقيا وغربها فحسب، بل شمل وسطها وشرقها، وجنوبها منذ زمن الاتصال بالنجاشي، وهذا ما جعل تأثر هذه الأمصار بالحضارة العربية الإسلامية في العادات والسلوك وفنون العمارة واضحا للعيان.

اللغة وعاء حضاري وركيزة ثقافية أساسية:

تتضمن الثقافة–فيما تتضمنه– منتوجها الفكري وتراثها الروحي ولا ريب أن علاقة الثقافة باللغة أكثر من عضوية، حيث أن اللغة هي: "تعبير عن الفكر والشخصية والهويّة الجماعية للأمّة"، واللغة هي: "الوسيلة الإنسانية الأولى للاتصال وتبليغ الأفكار والمشاعر والرغبات عن طريق نظام من الرموز الشفوية أوالمكتوبة التي يتحقق بها التواصل والتفاهم والشعور بالوحدة والانتماء، وفي الوقت الذي يشهد فيه قاموس بعض اللغات تقلصا وانحسارا جغرافيا نجد أن اللغة العربية هي لغة علم وحضارة ولغة القرآن الكريم.

نشير إلى أن في إفريقيا 31 % من الألسن المتداولة في العالم وأن 11 بلدا فيها يعتمد العربية لغة رسمية وأن 15 بلدا آخر تُستعمل فيها العربية إما

باعتبارها اللغة الأولى أوالثانية لقسم من مواطنيها، كما يلاحظ تمازج بين اللغات الإفريقية الأصلية مع العربية وخاصة في التراث الديني كما هوالحال في لغات الولوف والهاوسا والسواحلي والماندينغ والفولاني والسانغوإلخ...

أستسمحكم وأنا قادم من بلد ساهم في الدفاع عن إفريقيا وتأسيس منظمة الوحدة الإفريقية، بعد أقل من سنة من انتصاره على الكولونيالية الاستيطانية أن ألاحظ أن أطروحة القومية الزنجية Négritude ومدونتها (corpus) الناطقة بالفرنسية بوجه خاص، لا تخدم التكامل الثقافي والاقتصادي والتنسيق السياسي في إطار الاتحاد الإفريقي الوليد ومستقبله المأمول.

إن المدخل الصحيح لدراسة التراث الإفريقي واكتشاف مكنوناته هوالألسن الإفريقية، منها يبدأ إحياء وعصرنة الهوية وغرس العلوم والتقانات الحديثة وربطها بخزان الثقافة الإفريقية فلا وجود لما يسمى اللغة المحايدة في أي زمان أومكان ولا يعني ذلك شطب اللغات التي دخلت إفريقيا بعد الغزووالاحتلال مثل البرتغالية والانكليزية والفرنسية والاسبانية، بل ينبغي اعتبار منتوجها هوجزء من حضورها العدواني ومقاربته، مناهج ومضامين، من خلال هذا المنظور.

وقد نبه الشيخ أنتادجوب الذي تحمل هذه الجامعة اسمه، إلى هذه المسلمة بقوله: "في أول يوم يدخل فيه الطفل الإفريقي إلى المدرسة يكون لديه القدر الكافي من الحس المنطقي لكي يفهم الحقيقة الهندسية القائلة بأن أية نقطة تنتقل من مكان إلى آخر ينتج عنها خط، ولكن بسبب اعتماد لغة أجنبية لتعليم هذه الحقيقة فإن على الطفل الإفريقي أن يمضي من 4 إلى 6

سنوات لكي يحصل على ما يكفي من المفردات والنحووالتراكيب لكي يستوعب ذلك" (ح. بوهدرة).

لا شك أنه من الضروري أن نهتم بلغات الأم الإفريقية ونخصّها بالعناية، لأنها تعتبر خزائن للتراث الشفوي، حتى لا يبقى الاهتمام بها حكرا على أوساط ليست كلها نزيهة أوتهدف لخدمة الثقافة الإفريقية الأصيلة، كما أنه من الضروري العناية باللغات العالمية الأخرى.

يقول المفكر المالي سيدوباديان كوياتي في هذا الصدد "بفضل اللغة، نعرف الرسالة التي تركها لنا أجدادنا، وماذا يعد لنا الحاضر، إن اللغة هي العروة الوثقى بيننا، وهي التي تحدد هويتنا، ولا ثقافة بدون لغة... كنا مغلوبين عن أمرنا، وكانت اللغات الأجنبية مجرد وسيلة وأداة للنضال"

الهويّة الثقافية في فترتي الاحتلال والاستقلال:

جرّب المستعمر الدخيل كل الأساليب والمخططات لصرفنا نحن الأفارقة عن لغاتنا واحلال لغته محلها، مدّعيا بأن لغاتنا متخلفة وتقاليدنا قد أكل عليها الدهر وشرب، ولا تستجيب لمتطلبات العصر، وأجبرت الشعوب العربية والإفريقية على التعامل بلغات وثقافات غريبة عن بيئتنا، لغات وثقافات هي بالطبع متطوّرة في قواميسها اللسانية والمفاهيمية، ومن المفيد أن نسعى إلى التمكن منها، لكن ليس على حساب هويتنا، وبنفس المغالطة أجبرنا الغرب على تبنّي نموذج حياته واستنساخ قوالبه الثقافية كما هي، بدون أن نسعى لتأسيس حداثة تستفيد من تراكم التجربة الإنسانية وتكيفها لمسارها التاريخي وأولويات بلداننا في البناء والتقدّم.

ولعلّه من الأولويّات بعد استعادة استقلال بلداننا وتحررها من الكولونيالية المباشرة، أن تعمل نخبنا المفكرة والسياسية وهيئات المجتمع المدني، بمساعدة المنظمات الجهوية والدولية على إحياء هويتنا الثقافية، وتجديد مناهج التربية والتكوين، وتطوير مضامين وسائط الاتصال والإعلام، وتشجيع الباحثين على العناية بتراثنا العربي الإفريقي والتعريف بكنوزه بين مواطنينا والشباب بوجه خاص، والعمل على تحريره من الفلكلورية والغرائبية التي تسيطر عليه إلى حد الآن.

African Identity and Arab-Islamic Culture

Prof: M. L.Ould Khelifa
And Prof: M. Zemouli

Cultural Identity is an anthropological concept that concerns a historical period in which a community, a people recognized in precise practiced values: way of thinkin, communicating, believing, arts, and customs,…

The Arab-Islamic word and Africa that rather a mosaic of peoples and communities having in common remarkable ancient civilizations and recent gloomy common denominator characterized by slavery and colonialism era.

This hegemony led to the disappearance of a valuable and original cultural identity. This also applies to the Arab-Islamic World because, here people’s cultures are organically embrocated for geographically reasons-in the time where there was no entry visa required-and having common believe in most countries.

Besides the multitude of languages and dialects as one knows, the language is the backbone of any cultural identity- in our region and the use in some cases of Portuguese English or French colonial languages to deal with western civilizations, nevertheless african languages such as Arabic (our spiritual and scientific language) as well as Tamazight, Hausa, Swahili, Noubia, Bambara and other African languages play more important role in our heritage and cultural identity because it is derived from people's soul, ancient famous civilizations, and from daily suffereing and happiness.

The last decades successful struggle for liberation in our region, give our Arab-Islamic and African Nations a great confidence to reconquer its original and updeted cultural identity to the enrich the globalization space.

In this paper, we will draw Arab-Islamic and African cultural characteristics, especially by cultural and scientific work- In Chankit, Timbuktu, harar, besides those well known centers in Arab contries, that allowed our nations to build the Arab-Islamic civilization, which built the famous knowledge bridges between ancient's and western modern civilizations. Finally, in the spirit of the African Union, some suggestions, about future aspirations for the promotion, renaissance of our culture, and to restore our identity, are presented.

تكريم الطلبة المتفوقين في البكالوريا بدرجة جيد جدًا ومادة اللغة العربية"

أقام المجلس الأعلى للغة العربية بالاشتراك مع وزارة التربية الوطنية حفلا بهيجا على شرف الطلبة المتفوقين في شهادة الباكالوريا ولا سيما في اللغة العربية لعام 2004 بفندق الجزائر يوم 28 جويلية، حضره جمع غفير من رجالات الفكر والتربية، تمّ خلاله توزيع الجوائز على الطلبة والطالبات وألقيت بهذه المناسبة العلمية السعيدة كلمتا المجلس الأعلى للغة العربية ووزارة التربية الوطنية تنويها بالمتفوقين وداعية إلى التحصيل العلمي والرفع من شأن اللغة العربية لتكون في طليعة اللغات الحية في العالم وفيما يلي قائمة اسمية بالناجحين والناجحات ومؤسساتهم التعليمية التابعين لها.

الرقم	الاسم واللقب	الولاية	المؤسسة	الشعبة	مادة اللغة العربية	معدل البكالوريا

					وآدابها	
1.	بوعكاز عدنان	جيجل	ثانوية الأمير عبد القادر	علوم الطبيعة والحياة	17.5	16.3
2.	بتقاوي ابراهيم	وهران	مديرية التربية	العلوم الدقيقة	17.5	17.67
3.	هريش سهام	الجزائر	ثانوية طاريس المحمدية	الآداب والعلوم الإنسانية	17	16.1
4.	بيطام سمية	باتنة	ثانوية نقاوس	علوم الطبيعة والحياة	17	16.48
5.	بن أحمد دحو	عين تيموشنت	ثا/ مغني صنديد محمد	العلوم الدقيقة	17	16.39
6.	ساقني ميمونة	تمنراست	ثا/المختلطة عين صالح	علوم الطبيعة والحياة	16.5	16.03
7.	درباشي عبير	سطيف	ثا/ مرزوقي علاوة	علوم الطبيعة والحياة	16.5	16.03
8.	قباج ريم نسرين	الجزائر	ثا/المقراني 2 بن عكنون	علوم الطبيعة والحياة	16	16.94
9.	خليفة كرفة كمال	الشلف	ثا/وادي سلي	علوم الطبيعة والحياة	16	17.15
10.	ذيب عثمان	المدية	ثا/ نور الدين زرواق	علوم الطبيعة والحياة	16	16.39
11.	عالم ابتسام	سطيف	ثا/ فاطمة الزهراء	علوم الطبيعة والحياة	16	16.23
12.	طباخ كريمة	قسنطينة	ثا/ حسان بوجنانة	علوم الطبيعة والحياة	16	16.09
13.	بونعاس لقمان	قسنطينة	ثا/ ابن باديس	علـــوم الطبيعـــة والحياة	16	16.73
14.	غالي سليم	وهران	ثا/ العقيد لطفي	رياضيات	16	16.62
15.	خالد فاطمة	سعيدة	ثا/ مالك بن نبي	علوم الطبيعة والحياة	16	16.19
16.	تونسي نور الدين	البيض	مديرية التربية	العلوم الدقيقة	16	16.15
17.	ملياني عالية	الجزائر	ثا/ حسيبة بن بوعلي	علوم الطبيعة والحياة	15.5	16.27
18.	مشتاوي نعيمة	باتنة	ثانوية مروانة	علوم الطبيعة والحياة	15.5	16.22
19.	بالعيد ايمان	بسكرة	ثا/ محمد العربي بعرير	العلوم الدقيقة	15.5	16.92
20.	بخوش بخوش	خنشلة	ثا/ قنطري الصديق	علوم الطبيعة والحياة	15.5	17.05

ملتقى العلامة موسى الأحمدي نويوات

– شارك المجلس الأعلى للغة العربية في الملتقي الوطني الثاني للعلامة الشيخ موسى الأحمدي نويوات الذي انعقد يومي 09 . 10 جوان 2004 ببرج بوعريريج، بوفد ضم الأساتذة : د. عبد الجليل مرتاض، د. صالح بلعيد، سي إ . مزياني.

وقد تمحورت أشغال هذا الملتقى في محورين رئيسيين هما:

1. حياة وأثار الشيخ العلامة موسى الأحمدي نويوات من خلال مؤلفاته.
2. توظيف سمات التراث في الأدب الجزائري.

الملتقى الأول للشاعر الدكتور صالح خرفي

كما شارك المجلس أيضا في الملتقى الأول للمجاهد الأديب الدكتور صالح خرفي بناء على دعوة من الجمعية الثقافية " أنغام الحياة " وقد مثل المجلس في هذه التظاهرة الثقافية التي جرت فعالياتها في مدينة "القرارة" ولاية غرداية يومي 1 . 2 جويلية 2004. الأستاذان سي بشير محمد الطيب، وعبد المجيد بن داود.

" تكريم ثانوية ابن خلدون (الطارف) "

في إطار استكمال عملية تكريم المؤسسات التربوية التي تحقق أعلى النسب في امتحان الباكالوريا ولا سيما اللغة العربية على المستوى الوطني

قام الأستاذ حسن بهلول نيابة عن السيد رئيس المجلس الأعلى للغة العربية بتكريم ثانوية ابن خلدون المتواجدة بمدينة الذرعان (ولاية الطارف) يوم 22 جوان 2004.

والجدير بالذكر أن المجلس قد كرم خلال السنة الماضية 15 ثانوية ومتقنة على المستوى الوطني وتعد ثانوية ابن خلدون، الطارف أخرها.

إصدارات المجلس

أصدر المجلس الأعلى للغة العربية مؤخرا عددا من المنشورات الخاصة ببعض نشاطاته الثقافية الفكرية والعلمية مثل الندوة المغاربية التي عقدها يومي 29 . 30 /2003/06 تحت الرعاية السامية لفخامة السيد رئيس الجمهورية بعنوان : "**مساهمة اللغة العربية في التواصل والتضامن والوحدة بين أقطار المغرب العربي.**

وكذلك أعمال ندوة الترجمة التي صدرت في كتاب بعنوان : "**أهمية الترجمة وشروط إحيائها**"، والتي انعقدت بمكتبة الحامة يومي 16 .17 جوان 2001.

تأملات في الخطاب الجامعي للدكتور عبد الكاظم العبودي أستاذ بجامعة وهران نال بها المعني جائزة اللغة العربية السنوية للمجلس لعام 2000.

معجم المبرق للإعلام والاتصال للدكتور محمود ابراقن أستاذ بجامعة الجزائر فاز بهذا على جائزة اللغة العربية السنوية لعام 2000 والكتاب يقارب 800 صفحة من الحجم المتوسط .

أعمال ندوة **مساهمة وسائل الإعلام في نشر اللغة العربية وترقيتها المنعقدة يوم 15 جويلية بالجزائر.**

كتاب للأستاذ الفاضل الشيخ محمد الصالح رمضان بعنوان: "**سوانح وارتسامات عابر سبيل**".

يوجد تحت الطبع. الجزءان: 1 ، 2 ، من كتاب الكهرومغناطسية، بالإضافة إلى أعمال بعض الموائد المستديرة والمحاضرات التي ينتظر صدورها خلال الأيام القريبة القادمة بحول الله.

*** ماضي الأمة الجزائرية جزء لا يتجزأ**

ترأس الدكتور محمد العربي ولد خليفة رئيس المجلس الأعلى للغة العربية يوم الخميس 05 أوت 2004 بقصر الثقافة اللقاء الحادي عشر للرابطة الجزائرية للفكر والثقافة حول "صورة الثورة الجزائرية عند أجيال ما بعد الاستقلال" وهومشروع أعدّه واقترحه السيد ولد خليفة سنة 2003، وقد حضر اللّقاء العديد من الوجوه التاريخية والفكريّة والثقافية وضبّاط الشرطة والجمارك والطلاّب من مختلف كليات الجامعة.

وألقى الدكتور ولد خليفة خلال هذا اللقاء كلمة وجيهة ألح فيها على كتابة تاريخ الثورة التحريرية بطريقة مبسطة ومفهومة وواقعية لتستلهم الأجيال الحاضرة والقادمة العبر والدروس، مبرزا في هذا السبيل بأن "ماضي الأمة الجزائرية موحد يتضمن مبادئ الدين واللغة والوطنية وإقصاء أي جزء منها هوتفكيك للهوية الوطنية".

هذا ونشير إلى أن الرابطة الجزائرية للفكر والثقافة كانت قد نظمت سلسلة من اللقاءات تندرج في إطارإحياء الذكرى الخمسين للثورة التحريرية وستجمع محاضرها في كتاب سيوزع بنفس المناسبة.

المجلس الأعلى للغة العربية يستضيف اجتماع مؤسسة مفدي زكرياء في الذكرى 27 لوفاته

استضاف المجلس الأعلى للغة العربية يوم 17 أوت 2004 مؤسسة مفدي زكرياء، وذلك احتفاءً بالذكرى 27 لوفاة الشّاعر العصامي الكبير بحضور نخبة من المثقّفين وأعضاء المكتب الوطني للمؤسسة، وبعد قراءة فاتحة الكتاب على روح شاعر الحرية مفدي، قدّم رئيس المؤسّسة الدّكتور محمد عيسى وموسى تقييمًا لنشاط المؤسسة ورسم الخطوط العريضة المستقبيلة لها، كما ركّز الدكتور محمد العربي ولد خليفة على ضرورة إحياء ميلاد الشّاعر بدلاً من تقليد الوفاة، على الرّغم من انتهاج الباحثين تقليد و"فايات الأعيان"، وقدّم بالمناسبة مجموعة من المقترحات كضرورة نشر مختارات من شعر مفدي في شكل كتيّب "الجيب" ليكون موجّهًا إلى النّاشئة مع احترام الإخراج الجيّد، والعمل المستمر على تحسيس الجيل الجديد بشعرية مفدي، أمّا الدكتور سليمان الشيخ الرئيس الشرفي للمؤسسة فقد ثمّن اقتراح ولد خليفة على أن يكون الاحتفال بمولد الشاعر ابتداءً من السنة المقبلة بتاريخ 12 جوان ودعا إلى إصدار كتاب "أناشيد وأغاني" لمفدي

زكرياء وركّز أيضًا على الانفتاح على المؤسسات الثقافية والهيئات العربية والدولية لترقية نشاط المؤسسة. في حين أكّد الفنّان محمد الأمين بشيشي على حسن استثمار رموزنا وتقديمهم للعالم العربي والدولي في حلّة تليق بهم.

وإلى جانب الإصدارات السابقة للمؤسسة: "ديوان أمجادنا تتكلّم" لمفدي زكرياء، "تاريخ الصحافة العربية بالجزائر" لمفدي زكرياء، كلمات: "مفدي زكرياء في ذاكرة الصحافة الوطنية" للدكتور محمد عيسى وموسى، و"مفدي زكرياء شاعر مجّد ثورة" للأديب بلقاسم بن عبد الله، وديوان "أنغام الوفاء" للشّاعر سليمان دوّاق، ومع مطلع السنة الجديدة تنوي المؤسسة في إطار الذكرى الخمسين للثورة التحريرية إصدار عناوين أخرى مهمّة منها: "مفدي زكرياء في حنايا الجزائر" مجموع أعمال ملتقى افتتاح سنة مفدي زكرياء، "إبداع وذكرى" مجموع أعمال مهرجان اختتام سنة مفدي زكرياء، " إلياذة الجزائر" في حلّة جديدة، " ثورة نوفمبر في الأدب الجزائري الحديث" للدّكتور السوري أحمد دوغان، وإصدار قرص مضغوط بصوت الشّاعر، وناقش الحضور برنامج المؤسسة في المعرض الدولي للكتاب المزمع عقده في مطلع شهر سبتمبر.

وبهذه المناسبة تمّ إعطاء إشارة انطلاق موقع مؤسسة مفدي زكرياء على شبكة الإنتر نت (www.moufdizakaria.org) وفي ختام الجلسة زار الحضور المقر الجديد للمؤسسة المتواجد بحي الموز ببلدية المحمدية.

منظام المجلس

مرسوم رئاسي رقم 03 ـ 423 مؤرخ في 15 رمضان عام 1424هـ الموافق 10 نوفمبر سنة 2003، يتضمن تنظيم الأمانة الإدارية والتقنية وعملها في المجلس الأعلى للغة العربية

إن رئيس الجمهورية،

ـ بناء على الدستور، لا سيما المواد 3 و 77 ـ 6 و 125 (الفقرة الأولى) منه،

ـ وبمقتضى المرسوم رقم 85 ـ 59 المؤرخ في أول رجب عام 1405 الموافق 23 مارس سنة 1985 والمتضمن القانون الأساسي النموذجي لعمال المؤسسات والإدارات العمومية .

ـ وبمقتضى المرسوم الرئاسي رقم 98 ـ 226 المؤرخ في 17 ربيع الأول عام 1419 الموافق 11 يوليو سنة 1998 والمتضمن صلاحيات المجلس الأعلى للغة العربية وتنظيمه وعمله، لا سيما المادة 30 منه.

- وبمقتضى المرسوم الرئاسي رقم 99 . 240 المؤرخ في 17 رجب عام 1420 الموافق 27 أكتوبر سنة 1999 والمتعلق بالتعيين في الوظائف المدنية والعسكرية للدولة.

- وبمقتضى المرسوم التنفيذي رقم 89 . 224 المؤرخ في 7 جمادى الأولى عام 1410 الموافق 5 ديسمبر سنة 1989 والمتضمن القانون الأساسي الخاص المطبق على العمال المنتمين إلى الأسلاك المشتركة في المؤسسات والإدارات العمومية، المعدّل والمتمّم.

- وبمقتضى المرسوم التنفيذي رقم 89 . 225 المؤرخ في 7 جمادى الأولى عام 1410 الموافق 5 ديسمبر سنة 1989 والمتضمن القانون الأساسي الخاص بالعمال المهنيين وسائقي السيارات الحجاب.

- وبمقتضى المرسوم التنفيذي رقم 90 . 226 المؤرخ في 3 محرم عام 1411 الموافق 25 يوليو سنة 1990 الذي يحدد حقوق العمال الذين يمارسون وظائف عليا في الدولة وواجباتهم.

- وبمقتضى المرسوم التنفيذي رقم 90 . 227 المؤرخ في 3 محرم عام 1411 الموافق 25 يوليو سنة 1990 الذي يحدد قائمة الوظائف العليا في الدولة بعنوان الإدارة والمؤسسات والهيئات العمومية.

- وبمقتضى المرسوم التنفيذي رقم 90 . 228 المؤرخ في 3 محرم عام 1411 الموافق 25 يوليو سنة 1990 الذي يحدد كيفية منح المرتبات التي تطبق على العمال الذين يمارسون وظائف عليا في الدولة.

يرسم ما يأتي:

المادة الأولى: يحدد هذا المرسوم تنظيم الأمانة الإدارية والتقنية وعملها في المجلس الأعلى للغة العربية.

المـادة 2 : توضـع الأمانـة الإداريـة والتقنيـة فـي المجلـس الأعلـى للغـة العربية تحت سلطة رئيس المجلس، وتتكون مما يلي:

- الأمين العام.
- ثلاثة (3) مديرين للدراسات.
- مكلفان اثنان (2) بالدراسات والتخليص.
- خمسة (5) رؤساء دراسات.
- مديرية الإدارة والوسائل.

ـ **المـادة 3** : يسير الأمين العام الأمانـة الإداريـة والتقنيـة فـي المجلـس ويكلف على الخصوص بما يأتي:

- السهر على السير الحسن للهياكل الموضوعة تحت سلطته.
- ضمان التنسيق بين الهياكل الإدارية واللجان الدائمة.
- السهر على تحضير أشغال المجلس وتنظيمها.
- يحضر الأمين العام اجتماعات مكتب المجلس ويتولى أمانته.

المادة 4 : يتولى المكلفان بالدراسات والتلخيص، على التوالي، ما يأتي:

ـ العلاقات مع الهيئات والجمعيات والمؤسسات ذات العلاقة بنشاطات المجلس.

- الاتصال والعلاقات مع وسائل الإعلام والتشريفات.

المادة 5 : يتولى مديرو الدراسات على التوالي المهام الآتية.

- متابعة وتنسيق أشغال اللجان الدائمة ومجموعات العمل.
- تنسيق أحكام القانون المتعلق بتعميم استعمال اللغة العربية. ومتابعتها وتقييمها وتنفيذها.

- النشر والتوثيق وتنظيم المحاضرات والمنتديات واللقاءات.

- يساعد مديري الدراسات خمسة (05) رؤساء دراسات يحدد رئيس المجلس مهامهم بمقرر.

المادة 6 : تكلف مديرية الإدارة والوسائل بما يأتي:

- تسيير المستخدمين.
- تحضير ميزانية المجلس وتنفيذها.
- تسيير الوسائل.

وتضم مديريتين فرعيتين.

- المديرية الفرعية للمستخدمين والوسائل العامة.
- المديرية الفرعية للميزانية والمحاسبة.

المادة 7 : تنظم المديريتان الفرعيتان في شكل مكاتب بموجب قرار مشترك بين الوزير المكلف بالمالية ورئيس المجلس الأعلى للغة العربية والسلطة المكلفة بالوظيفة العمومية في حدود مكتبين اثنين لكل مديرية فرعية.

المادة 8 : وظائف الأمين العام والمدير ومدير الدراسات والمكلف بالدراسات والتخليص ونائب المدير ورئيس الدراسات وظائف عليا في الدولة، تصنف ويدفع مرتبها استنادا إلى الوظائف المماثلة لها في الإدارة المركزية للوزارة.

المادة 9 : ينشر هذا المرسوم في الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.



"محاور أساسية عديدة و مقالات متنوعة تهدف إلى خدمة اللغة العربية بما توفر من معلومات تاريخية اجتماعية تطبعها الروح العلمية المعاصرة، و بما تقترح من وسائل تقنية حديثة لمعالجة كبريات قضايانا بكفاءة و نجاعة، أو تبسط قضايا أدبية أو لغوية كان عالجها القدماء من علماء العرب بطريقتهم. تلك أهم مكونات العدد العاشر الذي نقدمه إلى القراء الكرام، شاكرين محرري مقالاته على مشاركتهم في إنجازه بالرغم من مهامهم الكبرى، آملين أن ينضم من ذوي الكفاءة و من الغير على مستقبل الجزائر من يرافقهم في طريقهم الشاق الطويل."



المجلس الأعلى للغة العربية

06، شارع العقيد أمحمد بوقرة، الجزائر

الهاتف : 24/25 07 23 21 213 الفاكس : 07 07 23 21 213

ص ب 575 الجزائر، ديدوش مراد

www.csla.dz